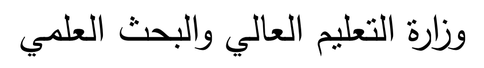

جمهورية العراق


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة ديالى

كلية التربية للعلـــــــوم الإنسانية

بلاد الهند والصين في رحلة أبي زيد السيرافي

دراسة تاريخية نقدية

رسالة مقدمة الى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية

- جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة

الماجستير في التاريخ الإسلامي.

من قبل الطالبة

إسراء علي رحمان

بإشراف

الأُستاذ الدكتور

صدام جاسم محمد البياتي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م



﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا(70) ﴾



(سورة الإسراء : الآية 70)

إقرار المشرف

أشهد بأن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **(بلاد الهند والصين في رحلة أبي زيد السيرافي دراسة تاريخية نقدية)**، المقدمة من قبل الطالبة **(إسراء علي رحمان)**، قد جرت تحت إشرافي في قسم التاريخ – كلية التربية للعلوم الإنسانية– جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي .

التوقيع :

الاسم : **أ.د. صدام جاسم محمد البياتي.**

التاريخ / / 2022م

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع:

الاسم: **أ.د عبد الخالق خميس علي التميمي.**

رئيس قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ / / 2022م

إقرار المقوّم اللغوي

أشهد بأن تقويم الرسالة الموسومة بـ **(بلاد الهند والصين في رحلة أبي زيد السيرافي دراسة تاريخية نقدية)** التي تقدمت بها الطالبة **(إسراء علي رحمان)** صالحة من الناحية اللغوية واسلوبها سليم، ولأجلها وقعت .

التوقيع:

الاسم: أ. د. لؤي صيهود التميمي

التاريخ 28 / تموز / 2022م.

إقرار الخبير العلمي

أشهد بأني قد قرأتُ هذه الرسالة الموسومة بـ **(بلاد الهند والصين في رحلة أبي زيد السيرافي دراسة تاريخية نقدية)** التي تقدمت بها الطالبة **(إسراء علي رحمان)**، وقد وجدتها صالحة من الناحية العلمية وهي جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير في تاريخ إسلامي ولأجلها وقعت.

التوقيع :

الاسم: أ.م.د نذير صبار عبد الله

التاريخ / /2022م.

إقرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا رئيس وأعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ **(بلاد الهند والصين في رحلة السيرافي أبي زيد دراسة تاريخية نقدية)** وقد ناقشنا الطالبة **(إسراء علي رحمان)** في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ونرى إنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بتقدير (   ).

التوقيع :
الإسم : أ. د عبد الستار نصيف جاسم
التاريخ   /   / 2022م.
رئيساً.

التوقيع :
الإسم : أ. د محمد علي حسين
التاريخ   /   / 2022م.
عضواً.

التوقيع :
الإسم : أ. د صدام جاسم محمد
التاريخ   /   / 2022م.
عضواً.

التوقيع :
الإسم:أ.د عبدالباسط عبدالرزاق حسين
التاريخ   /   / 2022م.
عضواً ومشرفاً.

صدقت الرسالة من قبل مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية– جامعة ديالى.

أ.د. نصيف جاسم محمد الخفاجي.
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية
/   /   202 2

الإهـــــــــــــداء ...

إلى ... منارة العلم وسيد الخلق .... رسولنا الكريم محمد (ﷺ) ...
إلى من أعتبره قدوةٌ لي ... أُستاذي الأُستاذ الدكتور صدام جاسم محمد البياتي ...
إلى من رآني قلبُها قبل أن تراني عينُها ... أُمي الغالية ...
إلى القلب الذي حُرمتُ من حنانهِ ... والدي العزيز (رحمه الله) ...
إلى من ساندني ... وكان سبب نجاحي ... زوجي الغالي ....
إلى من يترقبون نجاحي كل يومٍ ... أولادي الأعزاء ...

الباحثة



الشـــــكر و العرفـــــان

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد حمداً مباركاً كما ينبغي لجلال وجهه الكريم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

بعد أن من الله تعالى علينا بفضله وكرمه بإتمام هذه الرسالة أقف بين يديه شاكرةً له ذلك الفضل، وعرفاناً بالجميل أتقدم بوافر شكري لأستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور صدام جاسم محمد البياتي، الذي تفضل مشكوراً بالأشراف على رسالتي والذي من علي برعايته وتوجيهاته الدائمة، وكان لملاحظاته وارشاداته الأثر البالغ في إتمام العمل الذي رأى النور، ولطالما كانت روحهُ الطيبة وابتسامتهُ الرقيقة وعطائهُ المدرار سبب في إصراري على اتمام هذا العمل بأروع ما يكون، وأبعث أجمل باقات الشكر والامتنان معطرةً بأزكى روائح الورد لشخصه الكريم .

وأتقدم بالشكر الجزيل لرئيس قسم التاريخ – كلية التربية للعلوم الإنسانية الأستاذ الدكتور: عبد الخالق خميس علي، على ما قدّمه لي من دعم معنوي وعلمي على طول فترة دراسة البكالوريوس والماجستير، وأبعث أشعة نور لتخترق جدار التميز والإبداع لصاحب التميز والعطاء، فله منِّي كل الاحترام والتقدير، كما أتقدم بالشكر لجميع أساتذة قسم التاريخ الذين تتلمذت على أيديهم الكريمة جميعاً، على ما قدموه لي من نصائح ومعلومات وارشادات رافقتني على طوال فترة الدراسة، ولا يسعني إلا أن أدعوا الله أن يمُن عليهم بالصحة والعافية وطول العمر، وأخص بالشكر منهم أ. د عبد الباسط عبد الرزاق حسين، و أ. أحمد مطر خضير على

ما قدماه لي من دعم علمي ومعنوي على طوال مدة الدراسة فلهم مني جزيل الشكر والتقدير.

كما اقدم شكري الى سبب نجاحي وقوتي وإصراري على النجاح زوجي الغالي أمدَّ الله في عمره وحفظه من كل مكروه، وأتقدم بالشكر لبناتي وصديقات دربي (طيف، وحوراء، وإيفان) مهما خطت الأيدي بوصفهم ومهما جسّدت الروح معانيها أبقى عاجزةً عن وصف روعتهم وعلو همتهم بتقديم الدعم لي وتشجيعي ولو كان القلب كتابا لرأيتم أسمائكم عنوانا له، كما إني أتقدم بالشكر إلى شمعة دربي وأريج شبابي ابني (علي)، وادعو من الله أن يحفظهم من كل مكروه. وعرفاناً بالجميل مني أتقدم بالشكر الجزيل إلى صديقتي العزيزة (زينب فوزي جميل)، لما قدمتهُ من دعم نفسي ومعنوي طيلة فترة الدراسة، كما أتقدم بالشكر لكل من أُستاذ (رائد الكرخي)، وأُستاذ (معتز إبراهيم)، الذين لم يبخلوا في تقديم المساعدة والدعم. وختاما شكري الى من سطرت أناملهُ هذه الدراسة الأخ المدرس المساعد (غسان داود محمد علي)، ولكل من أعانني في إتمام هذا العمل لهم مني جميعا كل الشكر والتقدير.

الباحثة:

قائمـة الرمـــوز والاختصـارات العربية والإنكليزية

ت	الــرمــز	معنـــــــــــــــاه
1.	ت	تـاريخ (زمن الوفاة)
2.	تح	تـــحقيق
3.	ج	جـــــزء
4.	بلات	بلا تاريخ
5.	ص	الـصفحة
6.	ط	الـــطبعة
7.	هـ	هــــجرية
8.	م	ميـــلادية
9.	مج	مـــــــجلد
10.	مط	المـطبعة
11.	بلا مك	بــلا مكان
12.	P	(PAG)رقم الصفحة بالمراجع الانكليزية
13.	ق.م	قبل الميلاد

قائمـــــــــة المحتويـــــــــات

المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــــــــــــــــــــة

١- نطاق البحث :

الحمد لله الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من لم يكتب بقلم، ودان له كل قلم، وعلى اله وأصحابهِ السادات القمم...

أما بعد.. يعد كتاب رحلة السيرافي من الرحلات المهمة التي أثارت اهتمام العديد من الجغرافيون والمؤرخين العرب والمستشرقين على حدٍ سواء لما تحتويه هذه الرحلة من معلومات غنية عن بلدان المشرق في تلك العهود المبكرة، وتعد هذه الرحلة من بواكير الرحلات العربية المدونة الأولى التي أكدت لنا عن عمق الصلات التجارية مع تلك البلدان. وإذ ولينا وجهنا شطر المشرق أمكننا أن نقدر وبكل ثقة إن الاهتمام الرئيسي للعرب قد انصب حقاً على تلك البلدان، ورحلة أبي زيد السيرافي جاءت لتثبت لنا تلك الحقائق، وعليه كانت الدراسة **(بلاد الهند والصين في رحلة ابي زيد السيرافي دراسة تأريخيه نقدية)** من الدراسات المهمة والممتعة التي سلطت الأضواء على العديد من الحقائق المجهولة عن تلك المجتمعات والتي أثبتت أن العرب لم يكونوا بمعزلٍ عن النشاط التجاري عبر البحار الواسعة منذُ عهودٍ مبكره، في حين كانت السفن الأجنبية تلتزم الملاحة الشاطئية في بحر الهند ولم تكتشف سر الملاحة الموسمية التي عرفها ملاحو العرب والفرس منذ أقدم العصور، ثم أدركوا فيما بعد انتظام هبوبها ستة أشهر في العام، وكانت المراكب الصينية في ذلك الوقت بل قبله بزمن طويل، تسافر إلى جزيرة سرنديب في جنوب الهند وتتبادل متاعها مع ما تجيئ به مراكب العرب والفرس من الخليج العربي، ويبدو إن تلك الصلات التجارية بين الشرق والغرب كانت وثيقة في بدايات القرن الثاني والثالث الهجري/الثامن والتاسع الميلادي، وقد ذكرت في العديد من كتب الجغرافيون والرحالة العرب مادة مقتضيه منذ عهود مبكرة حول ما يتناقله الرحالة المغامرون نحو بلدان المشرق عامة وبلاد الهند والصين خاصة، وقد يندهش القارئ إذ علم إن عدداً كبيراً من تلك الرحلات لم تدوّن، فقد أحجم عن ذلك أصحابها؛ ترفعا عن

ذكر ما يعرفونه من الأمور الشخصية، وقد لا يرى البعض في ذلك نفعا لأحدٍ، والكثير منهم لم يتحمس للكتابة عنها. وبما لا يدع مجالاً للشك، إن عدم التدوين دلالة على إن هؤلاء الرحالة لم يدركوا تماما أهمية رحلاتهم، أو في الأغلب استقر في أعماقهم أنها فعل شخصي ،وقد شهد مطلع القرن الثالث والرابع الهجريين /التاسع والعاشر الميلاديين، العديد من الرحلات وخصوصاً بعد اهتمام خلفاء بنو العباس بالتجارة، وشجعوا على التجارة مع بلدان الشرق. علماً إن تلك البلاد كانت جزاءً منها يخضع للخلافة العباسية. على أي حال أخذ الرحالة والتجار العرب المسلمون يسيحون في جولات واسعة شرقاً وغرباً، ويخوضون فيها عباب المحيطات ووصلوا إلى البلاد بعيدة وغير معروفة عند الأمم التي سبقتهم؛ ولعل من المفيد أن نؤكد أن هؤلاء الرحالة وإنْ كان هدفهم التجارة إلا أنهم امتعوا رجال الجغرافيا والتأريخ بكتاباتهم الوصفية للحياة اليومية للسكان في البلاد مختلفة وكانوا يسجلونها أو يقصونها من باب التعجب والتندر على اختلاف الطبائع والملل، وعلية انتهت الحقبة الطويلة من الصمت فجاء بعجالة وكتبها صاحبها وأملاها في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي بقلم أبي زيد حسن السيرافي، وتعد هذه المدونة من أهم الأثار العربية عن الرحلات البحرية في المحيط الهندي وبحر الصين، وربما كانت الأثر العربي الأول الذي يتحدث عن سواحل البحر الشرقي الكبير. ومن هذا المنطلق جاء هدف الدراسة من خلال اختيارنا لهذا الموضوع ولأهميته من الجوانب التاريخية، والوقوف على ما ورد في هذه الرحلة من كتابات هذا المؤرخ، وهل جاء في كتاباته شيئاً من الأساطير والخرافات علماً أن كتاباته تعد من أوائل كُتب الرحالة. وعند التعريف بمخطوط أبو زيد حسن السيرافي فإنه يتكون من جزئين في مجلدٍ واحد، الجزء الأول يعود لمذكرات التاجر والرحالة سليمان التاجر الذي دونها سنة(٢٣٧هـ/٨٥١م) على حسب ما جاء في بداية الجزء الثاني من كتاب رحلة السيرافي، أما الجزء الثاني من الكتاب دون بقلم أبو زيد السيرافي وهذا الرجل ليس بتاجر ولا رحالة، وإنما كان عالماً وجغرافياً وجامع قصص البحار من أفواه التجار والرحالة الوافدين من وإلى ميناء سيراف ودونها بعد سنه (٢٦٤هـ/٨٧٧م).

وقد أثار هذا العمل اهتمام العديد من كبارا الجغرافيون والباحثين العرب والمستشرقين على حدٍ سواء، لما أثاره المؤرخ في مسألة أن هنالك من أمره بتأمل وأثبات بما جاء في تلك المذكرة من معلومات عن البحار والممالك والمدن التي زارها سليمان التاجر؛ أما في الوقت الحاضر فقد جاء من ينكر نسب تلك المخطوطة، أي الجزء الاول من الكتاب لسليمان التاجر، علماً أن صاحب الكتاب أبي زيد السيرافي لم يُشر هو الأخر إلى إسم سليمان التاجر بل أشار إلى أن الرحلة وقعت أحداثها سنة سبع وثلاثين ومائتين، ومن هنا جاء دورنا بالبحث والتقصي في الكتب المحققة لهذه الرحلة وما جاء في كتابات الباحثين من حقائق تؤكد نسبة هذه المخطوطة أو المذكرة لسليمان التاجر أم لغيره؟

ولأهمية هذه الرحلة، فقد تناول الباحثين هذا الموضوع وحقق الكتاب أكثر من مرة، ومنهم من حقق الجزء الأول من الكتاب، ومنهم من حقق الكتاب بجزئية، وعليه يمكننا أن نتناول ذكرهم وفق تأريخ التحقيق والنشر:

١. رحلة سليمان التاجر زائداً أبي زيد السيرافي، تحقيق: لانجليس رينوود، حقق باللغة الفرنسية، سنة ١٨١١م.

٢. المحقق سوفاجيه، حقق الجزء الأول من الكتاب باللغة الفرنسية أيضا، سنة ١٩٤٦م.

٣. رحلة سليمان التاجر زائداً كتاب أبي زيد السيرافي، تحقيق إبراهيم الخوري، سنة ١٩٩١م.

٤. رحلة سليمان التاجر زائداً كتاب أبي زيد السيرافي، تحقيق عبد الله حبشي، سنة ١٩٩٩م.

٥. رحلة سليمان التاجر زائداً كتاب أبي زيد السيرافي ،تحقيق يوسف الشاروني سنة٢٠٠٠م.

٦. رحلة سليمان التاجر، تحقيق سيف شاهين المريخي، سنة ٢٠٠٥م.

٧. رحلة سليمان التاجر زائداً كتاب أبي زيد السيرافي، تحقيق ماكنتوش سميث سنة٢٠١٤م. النسخة الالكترونية لهذا المحقق غير كاملة، إذ ينقصها الدراسة التي أعدّها المحقق والترجمة الى الانكليزية، لكن النص العربي كامل.

٨. رحلة سليمان التاجر زائد كتاب أبي زيد السيرافي، تحقيق علي البصري، سنة ٢٠٠٦م.

ولابد من الإشارة إلى أن هذه المخطوطة التي جاءت لنا بقلم أبي زيد السيرافي قد نشرت بعناوين عديدة، سواء التي نشرت مرفقة مع الترجمات الفرنسية، أو من المحققين العرب، وهي كما يلي:

١.جاءت المخطوطة بعنوان سلسلة التواريخ، وطبع سنة ١٨١١م.وبحثنا في العديد من كتب الفهارس فلم نعثر فيها على أي إشارة تميط اللثام عن عنوان المخطوط ،غير أن المؤلف يشير في مقدمة المخطوط أن هذا الكتاب فيه سلسلة من التواريخ البلاد والبحور.

٢. أخبار الصين والهند وهي صحيحة وفق ما جاء عند يوسف الشاروني، وتيم ماكنتوش سميث.

٣. عجائب الدنيا وقياس البلدان، حسب ما جاء عند المحقق سيف شاهين المريخي.

٤. رحلة السيرافي، وهي تسميه للمحقق عبد الله حبشي.

٥. رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان واندونيسية سنة ٢٢٧هـ/٨٥١م، تحقيق علي البصري.

وعليه فقد ارتأينا في البحث النسخة المحققة لرجل الدين الإسلامي والباحث والمؤرخ من محافظة حضرموت الأستاذ عبد الله بن محمد حبشي، ويعد هذا المحقق من علماء حضرموت الموسوعيين، كما يرجع نسبه الى أهل بيت النبوة ومن الفرع الحسيني، وقد ألف هذا المؤرخ تسع وعشرون كتاباً في التأريخ والتراث والمعاجم والأدب، وحقق أكثر من خمس وخمسين كتاباً ومنهم كتاب رحلة السيرافي .

وعلية اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون على ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد، وتتلوها خاتمه ضمت أهم النتائج، وتضمن كل فصل مباحث تتفق مع عنوان الفصل،

وجاء الفصل الأول بعنوان (السيرة الذاتية لأبي زيد السيرافي وما أورده عن جغرافية بلاد الهند والصين)، وقد تضمن الفصل ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول سيرة أبي زيد السيرافي ومصادرة الرئيسية في تدوين رحلتهِ، وما جاء في هذا المبحث من نسب الرحالة وكنيتهم، وزمن تدوين رحلاتهم، وسبب تدوينها، والمخطوطة والمأخذ التي أخذت على كتاباته حسب أراء الباحثين والمحققين.

أما المبحث الثاني جاء بعنوان (نظرة جغرافية عن بلاد الهند وفقاً لما اورده السيرافي في رحلتهُ)، وجاء فيه أصل تسمية بلاد الهند وموقع وحدود الهند وتضاريسها وحالة المناخ فيها.

أما المبحث الثالث جاء بعنوان (نظرة جغرافية عامة عن بلاد الصين وفقا لما أورده السيرافي في رحلتهُ)، وتناولنا أصل تسمية الصين وموقع البلاد وحدودها وتضاريس المنطقة ومناخها.

أما الفصل الثاني جاء بعنوان (رحلة أبي زيد السيرافي)، وتضمن الفصل ثلاثة مباحث، المبحث الأول حمل عنوان (رحلة سليمان التاجر)، وشمل المبحث مرافئ ومسارات التي تقلع المراكب إليها أثناء الرحلة، وزمن الرحلة وموسمها.

أما المبحث الثاني حمل عنوان (وسائل النقل البحري ودورها في أنتعاش التجارة مع بلاد الهند والصين). وقد تضمن المبحث أيضا نوع المراكب، والخشب المستعمل في بنائها، وكيفية طلاء تلك المراكب، فضلاً عن العوامل المؤثرة في حركة التبادل التجاري بين بلاد العرب والهند والصين، وقد قسم الى عاملين الأول عوامل الطبيعية والأخر عوامل بشرية .

أما المبحث الثالث جاء بعنوان (المعاملات التجارية المتبادلة بين العرب وبلاد الهند والصين)، وقسم المبحث إلى عدة محاور، ومنها المعاملات المالية المتداولة، فضلاً عن السلع والمنتوجات الصادرة والواردة من بلاد العرب الى بلاد الهند والصين، علاوة إلى الأنظمة والقوانين التجارية في الصين المتمثلة في تنظيم عمليات بيع وشراء السلع والبضائع الواردة، والكتب المرخصة للسفر (تذاكر المرور).

أما الفصل الثالث حمل عنوان: الجوانب السياسية، والدينية، والاجتماعية في بلاد الهند والصين وفقا لما أورده أبو زيد السيرافي في رحلته، وقد تضمن الفصل ثلاثة مباحث، فقد تناول المبحث الأول الجوانب السياسية لكل من بلاد الهند والصين. أما المبحث الثاني حمل عنوان (المعتقدات الدينية السائدة في بلاد الهند والصين). أما المبحث الثالث جاء بعنوان (الجوانب الاجتماعية لبلاد الهند والصين).

٢- عرض المصادر والمراجع:

أ- كتب الجغرافية والبلدان:

اولاً: كتاب البلدان: لابن الفقيه (ت٣٤٠/٩٥١م) من المصادر المهمة، ويأتي أهمية هذا المصدر من تأريخه، فالكتاب مؤلف في القرن الرابع الهجري، وجاء برواية منفردة عن التجارة إلى بلاد الهند والصين وينسبها إلى صاحبها سليمان التاجر. وجاء هذا الرجل لينصف رحلة سليمان ويضع بصماته لإثبات تلك الرحلة لصاحبها، كما جاء المؤرخ بمادة غنية عن بلاد الهند والصين. وأغنت مادة الكتاب في جميع فصول الرسالة ومباحثها، لما جاء به المؤرخ من معلومات عن بلاد الهند والصين، فضلاً عن ذكر أوجه التشابه والاختلاف بين الحضارتين الهندية والصينية في تلك العهود المبكرة.

ثانياً: كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم: للمؤرخ شمس الدين أبو عبد الله البشاري المقدسي(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) وكتابة يعد من الكتب التي أغنت فصول ومباحث الرسالة بالمعلومات القيمة وتحديداً الفصل الاول من الدراسة، إذ ذكر جغرافية بلاد الهند والصين وذكر جزائر ومدن كل من البلدين، فضلاً عن ذكره بعض الجوانب الاجتماعية لكلا الحضارتين، على الرغم من إن هذا الرجل يعد من الرحالة الذي زاروا العديد من البلدان بجميع أرجاء العالم، إلا إنه لم يزر بلاد الهند والصين، ويبدو إنه استمد معلوماته من الأشخاص الذين التقى بهم، وعليه إن كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم وما دون به من معلومات دقيقة عن الهند والصين بجميع جوانب الحياة. وعليه كانت لمادة الكتاب وما وردت بها من المعلومات ما أغنى فصول البحث ومباحثة .

ثالثاً: كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله، أو ما يعرف (تاريخ الهند): للمؤرخ والرحالة الفارسي البيروني(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، يعد هذا الكتاب مصدراً أساسيا كاملاً للحضارة الهندية، وعلية جاءت مادة الكتاب وأغنت المبحث الثاني والثالث من الفصل الثالث من الدراسة، علماً إن تلك المعلومات التي استقاها البيروني عن الهند جاءت من خلال مرافقتهُ للسلطان محمود الغزنوي في معظم حملاته على الهند، إذ ذكر أنه شهد معه ثلاث عشر غزوة، وتمخضت تلك الرحلات عن تأليف كتاب عن الهند الذي ضمن الجغرافية الوصفية والإخبارية عن حضارة تلك المجتمعات، وعلية إن علم البيروني وفطنته دعمت أسفاره العديدة للكشف عن الحضارات المختلفة من آسيا الوسطى وأفغانستان وإيران والهند بعد أن خالط التجار الهنود واليونانيين وغيرهم، والذي ساعدة على ذلك اتقانه عدة لغات منها اللغة السريانية، والعبرية، والسنسكريتية، إضاقة إلى العربية.

رابعاً: كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف(رحلة بن بطوطة): للرحالة أبو عبد الله محمد المعروف بأبن بطوطة(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، وقد لا يستغني أي باحث يخوض في دراسة بلدان المشرق وبالأخص بلاد الهند والصين دون الرجوع إلى هذا المصدر؛ وذلك لأن هذا الرجل قد دخل إلى بلاد الهند ونقل غرائب أخباره، وعجائب مشاهداتهُ، إلا أن هناك بعض المآخذ التي أخذت على كتاباتهُ، ومنها أن المؤرخ لم يتبع في سرد الأحداث ترتيباً معينا، ولم يرتب الأحداث وفق الترتيب الزمني، على الرغم من ذلك من غير الممكن إنكار أن بن بطوطة قد تجشم الأسفار الشاقة في الزمن الذي ضاقت وسائل الانتقال معه. كما تعد رحلة ابن بطوطة من المصادر العربية التي لها أهمية ليس للباحثين العرب، فقط بل وحتى للمستشرقين ممن يخوض في هذا المضمار المهم ؛ لأنها تفيد بمعلومات ذات أهمية أساسية حول التجارة في البحار الشرقية في فترة القرون الوسطى. وقد أغنت مادة الكتاب الفصل الثاني من الدراسة تحديداً المبحث الثاني، إذ أشار المؤرخ إلى أنواع المراكب المستخدمة لدى العرب وبلاد الهند والصين، كما أغنت مادة البحث في المبحث الثالث من الفصل الثاني بذكره القوانين والأنظمة المتبعة في بلاد الصين

وفرضهم الضرائب الجمركية في تلك العهود المبكرة، كما أشار الرحالة إلى مجمل الحياة الاجتماعية في كل من بلاد الهند والصين، لذا جاءت مادة الكتاب لكي تضع الحقائق في نصابها في المبحث الثالث من الفصل الثالث من الدراسة.

ب- الكتب التاريخية (كتب التاريخ العام):

كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، والذي استسقى مادته العلمية من كثير من المصادر التاريخية التي كانت موجودة في ايامه منها كتاب فتوح البلدان للبلاذري وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري، وقد سجل لنا المسعودي في هذا الكتاب عادات بعض الشعوب والبلدان، فقد كان يسجل ما يراه ويشاهده في رحلاته، وما كان يتناقله الناس من أحاديث كابر عن كابر وكتاب مروج الذهب موسوعة تاريخية جغرافية كبرى فهو يشتمل على تاريخ عام شامل للإنسانية منذ بدأ الخليقة حتى سنة(٣٣٦هـ/ ٩٤٧م) وهي السنة الثانية من خلافة المطيع لله العباسي، وقد أشار المسعودي في هذا الكتاب بصراحة إلى لقائه بأبي زيد السيرافي في سنة(٣٠٣هـ/٩٥١م) في البصرة، ودار بين بينهما العديد من الأحاديث والقصص والروايات تم إدراج البعض منها في كتابة المشار ألية، وعلية فقد كانت مادة الكتاب وما جاء به من استعراض عن جزائر الهند ومدن الصين مهمة جداً، كما تناول الحياة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية لبلدان عدة.

وعليه كان التنوع واضح في ذكر جميع جوانب الحياة في بلاد الهند والصين. ومادة هذا الكتاب أغنت جميع فصول البحث ومباحثة بمعلومات قيمه لا يمكن أن يكمل البحث من دون الرجوع إليه، ولابد من الإشارة إلى المصادر التي استسقى منها المسعودي رواياته عن الهند تمثلت في رحلاتُه ومشاهداتهُ الخاصة، إذ كان كثير الأسفار وزار بلاد الهند والسند ومن المحتمل إنه زار الصين، وكثيراً ما يثبت في مصنفاته تأريخ زيارتُه لمواضع معينة أذ ذكر إنهُ دخل الُملتان بعد سنة ثلاث مائة أي بعد ستين سنة من رحلة التاجر سليمان إلى بلاد الهند والصين. وعليه

رافقت مادة الكتاب جميع فصول ومباحث الدراسة؛ لأنه كما يبدو هو ذلك الشخص الذي أمر أبي زيد بالنظر بأمر تلك الروايات عن التجار و البحارة.

ت- معاجم اللغة:

كتاب(الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية): للمؤرخ أبي نصر إسماعيل المعروف بالجوهر(٣٩٨هـ/١٠٠٧م) من المصادر اللغوية المهمة التي أغنت الدراسة بتفسير العديد من الكلمات والمصطلحات الواردة في الرحلة أذ كان خير مصدر في تفسير بعض الكلمات والوقوف على معانيها.

ث- كتب المراجع:

قدّمت لنا كتب المراجع الحديثة العربية منها والمترجمة معلومات قيمة جداً، إذ أمدّت الدراسة ببعض الآراء، وما توصلت إلية من استنتاجات من خلال تطرقهم في كتبهم عن بلاد الهند والصين، ومن تلك المراجع التي أغنت البحث بمعلومات قيمة، هي كما يلي:

اولاً: كتاب (حديث السندباد القديم) لحسين فوزي، إذ عُدّ من المراجع المهمة، والتي قدمت لنا وصفا دقيقاً عن رحلة سليمان التاجر، ووصف الروايات وتحليلها واستنتاجها، وتحديد الروايات الصحيحة من الروايات المبالغ بها وأسناد بعضها إلى قصص الخُرافات والأساطير. وعلية استناداً إلى ما سبق، فقد خدم هذا المرجع فصول البحث والوصول إلى تحليل واستنتاج للروايات التي وردت في الرحلة.

ثانياً: يعد كتاب (العلاقات بين العرب والصين) لبدر الدين حي الصيني من الكتب المترجمة التي تناولت تاريخ الصين وعلاقاتهم بالعرب قبل الإسلام وبعده، كما يتناول العلاقات السياسية بين البلدين في ظل الخلافة العباسية، كما يتناول ذكر الجغرافيين والرحالة الذين تناولوا في كتبهم جوانب عن الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية

في بلاد الصين، مثل ابن خرداذبة، وأبي زيد السيرافي، واليعقوبي وغيرهم من المؤرخين العرب، ولا يمكننا إغفال المعلومات التي تم إغناء مباحث الفصول من خلالها .

ثالثاً: أبدع المستشرق جورج فصلو الحوراني في كتابه (العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى)، فكانت مادة هذا الكتاب من المواضيع المهمة؛ لعرض الطرق التجارية بين بلاد العرب وصولاً للهند والصين، ومواسم تلك الرحلات والمسافات بين مرفئٍ وآخر وصولاً إلى البر الصيني، كما تناول الكاتب المراكب المستخدمة في التجارة، وأنواع الخشب المستخدم في صناعتها؛ لذا يُعد هذا الكتاب من المراجع المهمة لكل من يبحر في البحث عن معلومات للطرق التجارية في القرون الوسطى .

رابعاً-(الألفاظ المعربة): للمؤرخ الفارسي أدى شير، كانت لكتب معاجم اللغة الفارسية المعربة اهمية كبيره وذلك لورود مصطلحات عديدة في الرحلة بالغة الفارسية؛ وذلك لان مؤرخ الرحلة ابي زيد السيرافي فارسي من مدينة سيراف. فضلاً عن كتاب (تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه) للمؤرخ القس طوبيا العنبسي الحلبي-وعليةِ كانت لهذة المراجع اهمية كبيرة لتوضيح تلك المصطلحات التي رافقت جميع فصول الدراسة وتحديدا الفصل الثاني والثالث من الدراسة.

التمهيد: الصلات التجارية بين العرب وبلاد الهند والصين.

- 1: **العلاقات التجارية بين العرب وبلاد الهند والصين**.
- 2: **النشاط التجاري في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي بين التجار المسلمين وبلاد الهند والصين**.



التمهيد

العلاقات التجارية بين العرب وبلاد والهند والصين

١- العلاقات التجارية بين العرب وبلاد الهند والصين:

أ- علاقة العرب التجارية بشبه القارة الهندية:

لا يمكننا أن نحدد على وجه الدقة المدة التي تعمقت فيها العلاقات العربية ببلاد الهند قبل الفتوحات الإسلامية؛ ولكن يمكننا القول: أن تلك الأراضي لم تكن مجهولة بالنسبة للعرب، إذ كانوا على اتصال بتلك البلاد.

وبما أن البحر يفصل بلاد الهند عن الجزيرة العربية، فمن الطبيعي أن يكون هو أول حلقة اتصال بين بلاد العرب من ناحية وبلاد الهند من ناحية أخرى، وبما أن الطريق البري كان شاقًا ومحفوفًا بالمخاطر وقُطّاع الطرق، لذا فضّل التجار البحر عوضًا عن الطريق البري(١).

ومما لاشك فيه أن العرب قبل الإسلام كانوا ملاحين تمرسوا ركوب البحار إلى البلاد النائية، فركبوا **بحر القلزم**(٢) إلى مصر

(١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: كمال حسن مرعي، (مط العصرية، صيدا، بيروت-١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص١٠٩؛ الصوفي، محمد عبد العظيم أبو النصر، **تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب**، (شركة نوابغ الفكر، القاهرة،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص٥٣؛ عبد الرحمن، محمد نصر، **الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى**، (الهيئة المصرية العامة،القاهرة،٢٠١٤ م)، ص١٣.

(٢) **بحر القلزم:** شعبة من بحر الهند، ويمتد من عدن إلى مصر، وهو البحر الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون الذي حارب نبي الله موسى ﴿عليه السلام﴾. سمي القلزم بهذا الاسم؛ لألتهامه المراكب، وهذا البحر ذا أودية وفيه جبال كثيرة قد علا الماء عليها. السيرافي، أبو زيد الحسن بن عمرو بن بدر (كان حيًا ٢٠٣هـ/٨١٨م)، **رحلة السيرافي**، تح: عبد الله الحبشي، (المجمع الثقافي، أبو ظبي- الامارات العربية-١٩٩٩م)، ص٨٨-٨٩؛ ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، **صورة الأرض**، (دار ومكتبة الحياة، لبنان ، بيروت ، بلات)، ص٥١؛ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (المكتبة الثقافية الدينية القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص١٢٣؛ جمال الدين،عبدالله محمد، **التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر**=

و**الحبشة**[(١)] وركبوا **البحر الهندي**[(٢)] إلى شواطئ بلاد فارس وبلاد الهند والصين يدرون إليها ويستوردون منها البضائع[(٣)]. ولا تزال الكثير من آثار السفن الغارقة على سواحل تلك البحار تشهد للثراء التجاري المتبادل بين العرب وتلك البلدان منذ زمن بعيد[(٤)]، وهي الآن تمثل منجمًا للأثريين والباحثين في هذا الباب.

وعندما ظهر الإسلام وأطل نورهُ على الجزيرة العربية دعا القرآن الكريم النفس البشرية في مواطن مختلفة على الإرتحال والتوغل في الصحراء واقتحام البحار، والإستطلاع للعجائب وكشف الجديد وركوب الفُلك، وقد كانت الدعوات تشجيعًا لهم على تحمل مشاق السفر انتفاعًا بالخيرات، ولحمل الرسالة ونشر الدعوة[(٥)]. إذ جاء

=**فترة الحكم العربي (١٥-٤١٦هـ/٦٣٦-١٠٢٥م)**، (دار الصحوة، القاهرة،بلا ت)، ص٩.وللمزيد ينظر إلى ملحق رقم(١).

(١) **الحبشة**: وهي مدينة عظيمة، وهي دار مملكة النجاشي، وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة، وهي مقابل بلاد اليمن. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٥.

(٢) **البحر الهندي**: وهو جملة من البحر الحبشي، وبحر الصين، والهند والسند، والزنج، والبصرة، وفارس مبدؤه من مشرق الصين فوق خط الاستواء، ويجري إلى جهة الغرب فيتجاوز بلاد الواق واق، وأما الشرقي فمبدؤه من لوقين وهي أول مرافئ الصين، ثم بخانفوا الصين، ثم مليبار: وهي أول مرافئ السند، ثم إلى مكران. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٤-٦٥؛ ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، (دار صادر، بيروت،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج١، ص٣٤٥؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٥٧٧هـ/١٣٣٣م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تح: مفيد قميحة، (دار الكتب العلمية، بلا مك، بلات)، ج١، ص٢٣٣؛ عبدة، أحمد محمد وحورية محمد حسين، **جغرافية البحار والمحيطات**، (دار المعرفة الجامعية، القاهرة ،بلات)، ص٣٥١-٣٥٣.

(٣) ضيف، شوقي، **الرحلات**، ط٤، (دار المعارف، القاهرة،١١١٩م)، ص٢٧؛ جلال، السيد حسين، **فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند ١٤١٥هـ-١٤٩٨م)**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٥م)، ص٥١.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٥؛ الجميلي، عمار مرضي علاوي، **التجار مكانتهم ومساهماتهم الحضارية في الدولة العربية الإسلامية ١٣٢-٤٤٧هـ/٧٤٩-١٠٥٥م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية- قسم التاريخ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٥) قنديل، فؤاد، ادب الرحلة في التراث العربي، ط٢، (دار الكتب العربية، القاهرة١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م)، ص٣٠؛ لومبار، مُوريس،**الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس=**

في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١)، وجاء في تفسير الأيه الكريمة (قُل): قل لهم يا محمد: (سيروا في الأرض)، سافروا في الأرض، (ثم أنظروا كيف كان عاقبة المكذبين)، أي اعتبروا كيف كان مكذبي الرُسُل(٢).

وبالتالي توسع نطاق النشاط التجاري والسياسي بين العرب وبلاد الهند و**السند**(٣) بعد الفتواحات العربية الإسلامية لها سنة (٨٩هـ/٧٠٧م) (٤)، وعليه اعتبروا العرب

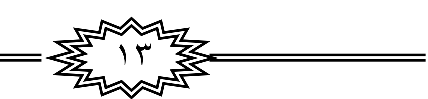
=**الهجري/الثامن إلى الحادي عشر الميلادي**، ترجمة: إسماعيل العربي، ط٣، (دار الآفاق الجديدة، الإسكندرية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص٦٩-٧٠.

(١) سورة الأنعام، الآية: ﴿١١﴾.

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ/١٠٩٣م)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: صفوان عدنان داوودي، (دار الشامية، بيروت،١٤٢٥هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص٣٤٦.

(٣) **السند:** قسّم الجغرافيون العرب شبه القارة الهندية إلى جزأين، فكان الجزء الأكبر يسمى بلاد السند والبنجاب، وأما بلاد السند متاخمة من جهة الغرب حدود كرمان، ومن الشرق بلاد فارس، أما من ناحية الشمال يحيط بها قطعة من بلاد الهند. ومن مدنها المشهورة المنصورة والمُلتان، وتشتهر بالذهب والتجارات والعقاقير. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٧٤؛ المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٣، (مكتبة مدبولي، القاهرة ،١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٤٧٤؛ أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، **تقويم البلدان**، تح: رينو وبارون مالك كوكين، (دار صادر، بيروت ،١٨٤٠م)، ص٣٤٦؛ إبراهيم، عبد الله، **عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين**، (منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة ،بلا ت)، ص٩٨.

(٤) فتحت بلاد السند في زمن الخليفة الأُموي الوليد بن عبد العزيز (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م). وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق فأمر الأخير ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا بإنفاذ حملة على بلاد السند؛ لإنقاذ زمرة من التجار المسلمين ونسوتهم الذين قد وقعوا في أيدي قُطاع الطريق البحري، وفعًلا وقعت مجريات المعركة بين محمد بن القاسم والملك داهر، وهو آخر حكام السند، وقد أصابت سيوف العرب منه مقتًلا وفتح المسلمون تلك البلاد، وعُين القائد محمد حاكمًا على تلك البلاد. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، **تاريخ اليعقوبي**، تح: عبد الأمير مهنا، (شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ج٢، ص٢١٢؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسـل والملوك**، تح: أبو الفضـــل إبراهيم،(دار =



انفسهم أصحاب الأرض وتربطهم مع تلك البلاد علاقات سياسية وتجارية على حدٍ سواء.

١. علاقة العرب التجارية ببلاد الصين:

حتمًا إن معرفة العرب لبلاد الصين شيء مؤكد ورد ذكر هذه البلاد في أحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾، إذ قال: " أُطلبوا العلم ولو كان في الصين"[(١)]، أي المبالغة في البعد وتحصيل العلم بالرحلة إلى مكانٍ بعيد جدًا لبلاد الصين.

كانت العلاقة موجودة بين الجانبين العربي والصيني بادئ الأمر بطريقة غير مباشرة أولًا، ثم تطورت إلى العلاقات المباشرة قرب ظهور الإسلام[(٢)].

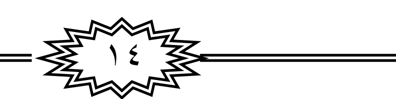
ويذكر محقق كتاب "رحلة السيرافي" **عبد الله حبشي**[(٣)]، وعندما استولى العرب

=المعارف، القاهرة ، بلات). ج٤، ص٣١٠؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عبـــــــــــاس،(دار صادر، بيروت- بلات)، ج٢، ص٢٩؛ ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي التونسي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، **تاريخ ابن خلدون المسمى العبرو ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: أبو صهيب الكوفي، (بيت الأفكار الدولية، الرياض – السعودية ، بلات)، ج١، ص٦٠؛ الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، **بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري**، (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م)، ص٩.

(١) المناوي، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت١٠٣١هـ/١٦٢١م)، **فيض شرح الجامع الصغير**، (دار المعرفة ، بيروت – لبنان، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م)، ج١، ص٥٤٣.

(٢) الصيني، بدر الدين حي، **العلاقات بين العرب والصين**، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٣٧٠هـ/١٩٥٩م)، ص٢٢٨؛ حسن، زكي محمد، **الصين وفنون الإسلام**، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م)، ص١٢.

(٣) **عبد الله حبشي:** وهو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد، يرجع نسبه إلى آل رسول الله ﴿ﷺ﴾ من ذرية الامام الحسين بن علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾. ولد في (١٣٠٧هـ/١٩٤٩م)، ويلقب بفخر علماء حضرموت الموسوعيين، وهو مؤرخ وباحث تعود أصوله إلى مدينة الغرفة إحدى المدن اليمنية التابعة لمحافظة حضرموت، ثم انتقل في مدارس عدن ثم صنعاء ليستقرأ أخيرًا في الإمارات العربية المتحدة في مدينة أبو ظبي. يبلغ عدد مؤلفاته تسع وعشرون كتابًا في التاريخ والتراث ومعاجم الأدب مطبوعًا، وأما أعماله المحققة خمس وخمسين كتابًا ومن بينها " أخبار الصين=



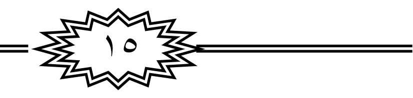
على ميناء "**الأُبُلة**"[1]، قرب **البصرة**[2] في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)، وجدوا بها المسلمين سفنًا صينية[3] وبمجرد أن أسس العرب

= والهند لسليمان التاجر وأبي زيد حسن السيرافي، حققه سنة ١٩٩٩م". حسين، عبد الرحمن بن محمد، **شمس الظهيرة في نسب أهل الـــبيت من**
بني علوي فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي (رضي الله عنه)، تح: محمد ضياء شهاب، (عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٤٧٤.

(١) **الأُبُلّة:** بلدة على شاطئ دجلة شمال الخليج العربي، اشتهرت هذه المدينة قبل الإسلام بارتباطها بأرض الهند، كما كانت مركزًا للتجارة البحرية مع الشرق، وبعد الفتح الإسلامي لها حفرت قناة الأبلة ربطت هذا الميناء بالبصرة، كما انشئ في الابلة أسواق وخانات وقصور لنزول المسافرين وفتحت هذه المدينة في زمن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). السيرافي، رحلة السيرافي، مقدمة تحقيق عبد الله الحبشي، ص٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٨٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٧٧؛ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي (ت٧٧٩هـ-١٣٧٧م)، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، (دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢٠٠؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، (مكتبة لبنان، بيروت ، ١٩٧٥م)، ص٨؛ الحوراني، جورج فصلو، **العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى**، ترجمةُ وزاد عليه: يعقوب بدر، (دار الكتاب العربي، القاهرة ، بلات)، ص١٩٦؛ التميمي، عباس جبير سلطان وانتصار لطيف، **أخلاق الشعوب من خلال الرحالة العرب والمسلمين**، (تموزة للطباعة والنشر، دمشق،٢٠١٤م)، ص١٩.

(٢) **البصرة:** مدينة عظيمة في جنوب العراق لم تكن موجودة في أيام العجم، وأنما اختطها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومدّنها عتبة بن غزوان سنة اربعة عشر هجرية، وهي مدينة قرب البحر، كثيرة النخيل والأشجار، سبخة التربة ملحة الماء؛ لأن المد يأتيها من البحر. ابن الفقيه الهمذاني ، أبي بكر أحمد بن محمد (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، **البلدان**، (مدينة ليدن، بيروت،١٣٠٢هـ)، ص١٨٧؛ خسروا، ناصر قابادياني العلوي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)، **سفرنامة**، ترجمة يحيى الخشاب، (الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة،١٩٤٣م)، ص١٦٣؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٨٣؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، (دار صادر، بيروت ، بلات)، ص٣٠٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠؛ كراتشكوفسكي، أغناطيوس، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، آيغور بلبايق، (الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية،القاهرة=



دولتهم كان من البديهي أن يتصلوا مجددًا بالبحار القديمة، وتوسع نطاق التجارة وبدأت عمليات استيراد وتصدير السلع والمنتوجات من بلاد العرب إلى بلاد الصين، علمًا أن أول الوجوه المسلمة الذي رآها أهل الصين هم التجار، وقد كانوا يذكرون في السجلات العتيقة بأسم "داشي"، وهي كلمة معناها في اللغة الصينية "التاجر"(١).

استنادًا إلى ما سبق فإذا ما أمعنا النظر شطر المشرق أمكننا أن نقرر بكل ثقة أن الاهتمام الرئيسي لكل العرب قد انصب حقًا على البلاد الواقعة إلى المشرق من العالم الإسلامي، وإن أفق معرفتهم الجغرافية بتلك النواحي قد اتسع بصورة ملحوظة من خلال التجارة عن طريق البحر مع بلاد الهند والصين.

ثانياً: النشاط التجاري خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بين التجار المسلمين وبلاد الهند والصين:

١. تجارة المسلمين مع بلاد الهند:

كانت التجارة محور العلاقات بين العرب من جهة والهند والصين من جهة أخرى منذ آلاف السنين إستهلها تجار العرب سادة التجارة الدولية الذين كان الإتجار شرق العالم حكرًا عليهم، وكانت السفن التجارية تحمل من سيراف والبصرة(٢)؛ لأن العرب هم رواد الإبحار في المحيط الهندي العارفون بأسرار الملاحة فيه، وشاركهم الفرس هذا النشاط بحكم جيرتهم المباشرة مع الهند والصين(٣)، ويرجع الفضل بأنتشار

=، بلات)، ج١، ص١٣٨؛ زيادة، نقولا، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، (الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٦٢م)، ص٢٢٣.

(١) هويدي، فهمي، **الإسلام في الصين**، (عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٨٧م)، ص٢٩؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٤٦؛ السفير، محي يوسف، **الصين الإسلام والتجارة**، (بلا مط ،القاهرة، ٢٠٢٠م)، ص٢٧-٣٦.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ لومبارد، موريس، **الجغرافيا التأريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، (دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م)، ص٦٨.

(٣) يوسف، محي، الصين الإسلام والتجارة، ص١٥؛ TRAN, IF TIKHAR AHMAD. TRADE RELATIONS BE TWEEN INDIA AND THE ARAB WORLD THE 10 TH TO THE 18TH CENTURY, DISSERTATION AHASTER=,

الإسلام بموانئ تلك البلدان إلى القرون الأولى لهجرة تجار العرب الذين منهم من أقاموا هناك إلى وقتٍ معلوم.

أذ ذُكر أن طائفة من العمانيين سكنوا الهند في مدينة ساحلية تدعى **صيمور**(١)، والملك يومئذ على صيمور يعرف بحاج، وبها من المسلمين نحو من عشر آلاف قاطنين منهم عُمانيين وسيرافيين وغيرهم من سائر الأمصار(٢). وقد استقر العرب في بلاد الهند والسند بعد الفتوحات الاسلامية وبنو فيها مدن مثل **المنصورة**(٣) و**المُلتنان**(٤) وغيرها من المدن، وهذا يؤكد أن صلات العرب ببلاد الهند والسند سبقت معرفتهم بالصين، وكانوا هم أصحاب الأرض، لذلك كان استقرار التجار ضمن الأراضي التابعة للخلافة العربية الاسلامية أمر طبيعي.

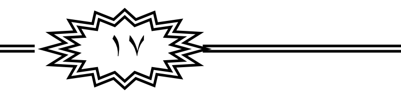
CENTRE OF WEST ASIAN STUDIES, ALIGARH MUSLIM= UNIVERSITY,1984.

(١) **صيمور**: مدينة بأرض الهند قريبة من ناحية السند، لأهلها حظٌ وافر في الجمال والملاحة؛ لكونهم متولدين من التُرك والهند، وهم مسلمون، ونصارى، ويهود، ومجوس، وفي المدينة مساجد وكنائس وبيت نار. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٦٠؛ القزويني، آثر البلاد وأخبار العباد، ص٩٧؛ المباركفوري، أبو المعالي محمد عبد الرحمن، **رجال السند والهند إلى القرن السابع**، (مط الحجازية، بومباي– الهند، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)، ص٣٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٦٠.

(٣) **المنصورة**: مدينة ساحلية مشهورة بأرض السند على نهر مهران، ويلتف حولها لتصبح كجزيرة في وسطه، وهي آخر مدن الهند من ناحية الصين. أُعيد ترميمها في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦–١٥٩هـ)، واتخذت مقرًا لولاة الأقاليم العباسيين، وتحكمها واحدة من سلالة قريش، ويروي المسعودي عندما زارها أن ملكها أبا منذر عمر بن عبد الله وهو من أولاد هبار بن الأسود من قريش، وتبلغ المسافة بين الُملتان والمنصورة حوالي خمسة وسبعين فرسخًا، أما أهلها كثيروا العدد أغلبهم مسلمون ولهم فطنة وذكاء، وحُسن أخلاق. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٩٩–١٦٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٧٦–١٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢١١–٢١٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٢٤؛ أبي الفداء، كتاب البلدان، ص٣٤٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٤٩؛ حميدة، عبد الرحمن، **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ط١، (دار الفكر، دمشق – سوريا، ١٩٨٤م)، ص٥٤٥.

(٤) **المُلتان**: مملكة عظيمة حصينة بين الهند والسند وتسمى "مرج بيت الذهب"، تضم حوالي ستين إلى سبعين ألفًا من الضياع والمدن ، وملكها من قريش من بنو منبه، ويزعمون أنهم ولد سالم بن لؤي=



وقد أوردت لنا كتب المصادر عن رحلة العرب إلى بلدان المشرق الأقصى معتمدين في ذلك على ما يتناقله الرحالة المغامرون وهم شخصيات عربية، ومن بين هؤلاء أبو عبد الله **محمد بن إسحاق**(١)، الذي سافر في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد وصل إلى **قمار**(٢) **(كمبوديا)**، وعاش فيها عامين(٣).

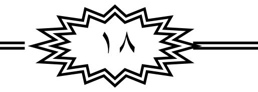
وقد أعطى هذا التاجر وصفًا عامًا لقوانين ملوك الهند ومنها: أن شُرب الخمر والزنا غير مباح عنده، ويعاقب صاحبه بالقتل، كما ذكر إن في بلد قمار مائة ألف

=وهم ملوك الهند، ويخطبون لإمام المسلمين، وفي هذه المدينة صنم يدعى (المُلتان) يعظمه أهل لهند وهي بيت حجتهم ودار عبادتهم، ودخل ملوك من مال هذا الصنم وله دخلٌ عظيم. زار المسعودي هذه المدينة بحدود (٣٠٠هـ/٩١٢م)، وبين أن ملوكها تعرضوا لهجوم الهند وعجزوا عن صدهم، وهددوا بكسر صنمها، فاضطرت الجيوش الغازية للتراجع والإنسحاب. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٦٠،٩٩،٨٤؛ المروزي، الطبيب شرف الزمان طاهر (كتبه نحو ٥١٤ هـ)، **أبواب في الصين والتُرك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان**، (بلا مط ، بلامك ، بلات)، ص٣٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٨؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٢١؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٧٦-١٧٧؛ أبو الفداء كتاب البلدان، ص٣٤٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٤٦.

(١) **محمد بن إسحاق:** من الشخصيات العربية التي ساهمت في بعض الأسفار التجارية، وهو غير بن إسحاق صاحب السيرة والمغازي. ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، **الأعلاق النفيسة**، ط٢، (مط بريل، ليدن، ١٨٩١م)، ص١٣٢.

(٢) **قمار:** مملكة لسيت كسائر ممالك الهند إلا أن ملكه عظيم القدر مظفر، والفيلة عنده كثيرة، وعطيته للعرب أنياب الفيلة، وأصل العباد في الهند من هذه المدينة، ويقال فيها مائة ألف عابد. وفي أرضهم أجود أنواع العود القماري (البخور)، وهم رحالة، كلهم يحرمّون الزنا والأنبذة كلها، فلا يكون في بلادهم ومملكتهم شيء منه، وقتل ملك القمار على يد ملك الزابج.السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧١،٧٠،٦٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج١، ص٨٤؛ المروزي، أبواب في الصين والتُرك والهند، ص٣٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١-٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٦؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧١.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٢؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص١٣٨.



عابد، وأصل العباد منهم، ولهذا الملك ثمانون قاضيًا ولو ورد عليهم ولد الملك لأنصفوا منه وأقعدوه مقعد الخصم(١).

واستنادًا لما ذكر يتبين لنا أن هذا التاجر قد ترك لنا وصفًا شامًلا لمملكة قمار، ووصف تلك المملكة وكيف أن ملكهم يسعى في تحقيق العدالة وينصف المظلوم على الظالم، حتى وإن كان من أهل بيته، وهكذا يبين لنا التاجر تلك المملكة بشكل تفصيلي ممتع، ومن خلال قراءتنا للمصادر نجد أن الطرق إلى الهند والصين قد رسمت على أيدي التجار الذين أبحرو في تلك البلدان بحثًا عن أسواق؛ لترويج بضائعهم فيها، أو لغرض الإستكشافات الجغرافية.

٢. **تجارة المسلمين مع بلاد الصين**:

مما لاشك فيه أن بلاد العرب قديمًا وحديثًا على اتصال بالصين سواء إن كان ذلك لغرض التجارة أو لغرض تبادل المنافع أو غيرها. وإن الصلات التجارية بين الجانبين كانت قد توطدت قبل مولد النبي محمد ﴿ﷺ﴾ بزمنٍ طويل، فكانت بضائع الشرق التي تتلقاها بلاد الشام وموانئ بحر القلزم تمر بنسبة هائلة عن طريق بلاد العرب(٢)، وإن أكثر السفن الصينية تحمل من **سيراف**(٣)، والمسافة بين البصرة

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٤؛ ابن رستة، الأعلاق النفسية، ص١٣٢؛ ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٧٩هـ/٩١٢م)، **المسالك والممالك**، (مط بريل، ليدن، ١٩٩٨م)،الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٢٥؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٨.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤–٢٥؛ سير توماس، آرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين وآخرون، ط٢، (مط النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م)، ص٣٣١.

(٣) **سيراف**: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديمًا فرضة الهند(محط السفن)، وقيل: كانت قصبة كورة أردشير خُرة من أعمال فارس، وهي مدينة كثيرة البساتين والعيون تأتيها من الجبال. أما مناخها حار وهي باب جهنم من شدة الحر، أما هواءها طيب، وكان أهلها حين عمارتها يفضلونها على البصرة لشدة عمارتها، وحُسن دورها، وظُرف جامعها، ولباقة أسواقها، ويسار أهلها، وبُعد صيتها، وكان حينئذ دهليز الصين دون عمان. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٤٤؛ابن عبد الحق،صفي الدين عبدالمؤمن (ت٧٣٩هـ/١٣٢٨م)، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تح: علي محمد البجاوي، (دارالجيل،=

وسيراف في الماء مائة وعشرون فرسخًا، فإذا عُبئ المتاع بسيراف استعذبوا فيها الماء، ثم يقلعون إلى موضع(١) يقال له **مسقط**(٢).

ويرجح انتشار الاسلام بتلك الموانئ في القرون الأولى للهجرة للتجار العرب الذين منهم من أقاموا هناك إلى وقت معـــــلوم(٣) بعد أن أذن لهم الإمبراطور **تانغ/تاي تسونغ**(٤).

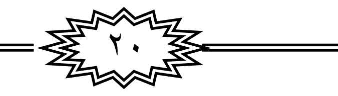
=بيروت،١٤٢٠هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص٧٦٥؛ القصير، هيلة بنت محمد بن علي، **النشاط التجاري وأبعاده الاقتصادية في ميناء سيراف خلال العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م**، بحث منشور في مجلة العلوم العربية والأنسانية ، جامعة القصيم ،المجلد ٧، العدد ٣، ٢٠١٤م، ص١٢٠٥.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤-٢٥.

(٢) **مسقط:** مدينة من نواحي عُمان في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر. وهي بين جبلين، وترفأ هناك السفن وتستقي من آبار هناك عذبة المياه وتحمل منها الحجارة؛ لرمي العدو إذا خرج عليهم، ثم تسير منها مع الشمال للوصول إلى حضرموت. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٠٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٥٩؛ حلاق، حسّان، **مُدن وشعوب إسلامية ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري**، (دار الكتاب الجامعة، القاهرة ، بلا ت)، ص١٣٣.

(٣) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٦٠.

(٤) **تانغ/تاي تسونغ:** يكتب اسم هذا الإمبراطور تاي تسونغ- تاي زونغ- تاي- تسنغ، وفي بعضها تتحول الغين إلى جيم، ويعتبر هذا الملك أحد ملوك أُسرة تانغ. اعتلى العرش واستهل حكمه في أواخر سنة (٥هـ/٦٢٦م)، وعاصرت السنوات الخمس الأولى من حكمه السنوات الخمس الأخيرة من حياة رسول الله ﴿ﷺ﴾، وامتد عهد تاي تسونغ ليغطي عهد الخليفة أبو بكر الصديق ﴿ﷺ﴾ والخلفاء الراشدون من بعده عمر بن الخطاب وعثمان ﴿ﷺ﴾، وانتهى حكمه بوفاته سنة (٢٩هـ/٦٤٩م) في عهد الخليفة عثمان ﴿ﷺ﴾، وفي زمن هذا الملك تقدم الإسلام على أرض الصين بعد استقرار التجار المسلمين بها، وقدموا معلومات عن الإسلام، ويعتبر هذا الملك هو من أمر ببناء مسجد جوانغشو وسماه " الشوق إلى النبي". يوسف، الصين الإسلام والتجارة، ص٢٩-٣٠؛ تشن، تتنغ يوي، **لمحة عن الثقافة في الصين**، ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، (مط كلمة- هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، بلامك-١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص٨٧-٨٨؛ سير توماس آرنولد، **الدعوة إلى الاسلام** ص٣٣١.



وبذلك فاستقروا في كبريات الموانئ الصينية، وتشير سجلات **أُسرة تـــــــــــانغ**[١] (٦١٨-٩٠٧م) إلى استقـــــــــــرار عدد كبير منهم في **ميناء قوانغشووتسي**[٢] (خانفوا) أكبر مرفأ للسفن[٣] التي أصبحت مجمعًا للبضائع العربية والفارسية[٤].

وهناك من التجار من قد رجعوا إلى أوطانهم، ومنهم من استوطنوا فيها حتى آخر يوم في حياتهم، نعم إن التاريخ لم يحدثنا عن حياتهم الدينية في الفترة التي سبقت سنة (٣١-٢٣٧هـ/٦٥١-٨٥١م)، لكن في أواخر القرن التاسع عشر

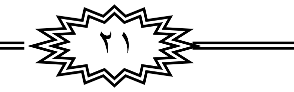
---

(١) **أُسرة تانغ:** وهي إحدى الأسر الحاكمة التي حكمت الصين ما بين (٦١٨-٩٠٧م)، وكان عصرهم عصر تقدمٍ واستقرار، وترددت وفود الأمويين والعباسيين بكثرة على البلاد وقد زار التجار والرحالة ابن وهب القريشي عاصمة تانغ عام (٢٥٧هـ/٨٧١م). السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣؛ يوسف، الصين الاسلام والتجارة، ص٢٧-٣٦؛ هويدي، فهمي، الاسلام في الصين، ص٢٩؛ القناوي، يحيى محمد الشربيني، **نشاط المسلمين التجاري في الصين وأثره على الحضارة الاسلامية في العصرالعباسي (٩٦٠-١٣٦٨م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث الاسيوية، جامعة الزقازيق، ص٣٧..

(٢) **ميناء قوانغشووتسي تون:** يقصد به خانفوا "كانتون". ميناء يحمل اسم المدينة، وهي واحدة من أكثر ثلاثة مدن في الصين، ويقع هذا الميناء على نهر اللؤلؤ جنوب الصين، وكانت هذه المدينة مستقر لوفود التجار المسلمين في زمن الامبراطور تاي تسونغ، واستقبل الأخير هؤلاء المسلمين استقبالًا حسنًا وسمح لهم بالأقامة في هذه المدينة، وبنى المسلمون دورًا جميلة طرزها مختلفة عما في بلاد الصين، وقد عملوا في التجارة وكونوا ثروات كبيرة ودانوا بالطاعة لرئيسٍ انتخبوه بأنفسهم أطلقوا عليه "شيخ التجار". وخانفوا هو مرفأ السفن ومجمع تجارات العرب. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٣-٢٤؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٣١٠؛ يوسف، الصين والاسلام والتجارة، ص٣٠؛ سير توماس، الدعوة إلى الاسلام، ص٣٣١؛ علاوي، قاسم عمر، **مدينة خانقو في العصور الوسطى**، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، العدد ٨٠، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص٥٦٦-٥٦٨.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٣.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٧؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٦١؛ سير توماس، الدعوة إلى الاسلام، ص٣٣٢.



الميلادي حالف الحظ بعض المستشرقين بأن عثروا على شواهد قبور تثبت زيارة بعض العرب للصين في ذلك العهد القديم، وذلك في مقبرة تثبت وجودهم ووجود مسجد "الشوق إلى النبي" محمد ﴿ﷺ﴾ بكانتون، كل ذلك يدل على أن عدد المسلمين بتلك المدينة لم يكن قليلًا[(١)].

ويؤكد لنا سليمان التاجر ذلك بقوله: " خانفوا وهو مجتمع التجار،وهناك رجلًا مسلمًا يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية، يتوخى ملك الصين ذلك، وإذا كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين، وإن التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئًا في أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الاسلام". وفي هذه الرواية نرى اشارة إلى مسجد الشوق إلى النبي، لكن سليمان التاجر لم يذكر لنا اسم هذا الجامع الذي يكون مجتمع المسلمين العرب في أيام الجمع والأعياد[(٢)].

وقد بلغت أعدادهم الألآف، وتذكر المصادر الصينية إن الأثرياء العرب أنفقوا الكثير من أجل تعمير خانفوا، وقد انتخب أحد التجار رئيسًا لدائرة التجارة والملاحة وتولى مقاليد التجارة الخارجية طوال ثلاثون سنة، وفي تلك الفترة بُنيّ المسجد على طراز المسجدا لأموي بدمشق، وفي جدرانه نحتت لوحة تقول أن العرب بنوه في سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) [(٣)]، وفي جنوب شرق مدينة خانفوا خصص تاجر عربي اسمه **الشناوي**[(٤)] قطعة أرض؛ لدفن موتى المسلمين ما زالت باقية إلى الآن بشواهدها التي

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٦٠؛ سير توماس، الدعوة إلى الاسلام، ص٣٣٢؛ هويدي، الاسلام في الصين، ص٣٣؛حمد،محمد حسن محمد،**الاسلام في الصين**، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ص١٩٧-١٩٨؛ وللمزيد ينظر: الملحق رقم (٢).

(٢) رحلة السيرافي، ص٢٤؛ أبو حجير، إياس سليم سلمان، **المسلمون في الصين (١٣١-٧٦٩/٧٤٨-١٣٦٧م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة- فلسطين، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٣٠-٣٥ .

(٣) حمد، الإسلام في الصين، ص١٩٨؛ وللمزيد ينظر إلى الملحق رقم (٣).

(٤) **الشناوي**: لم أعثر له على ترجمة.

تحمل كتابات عربية، وآيات، وأحاديث، ومرثيات وخضرة باتت تكسو تلك الكتابات بعدما تحولت إلى حديقة أثرية[١].

٣. **استقرار العرب في مدن وجزر الصين**:

توسعت التجارة مع بلاد الصين منذ القرن القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، بعد أن وفدت إليهم جماعة من الطالبيين العلويين من **خراسان**[٢] عبر الطريق البري فرارًا من بطش الأمويين[٣]، وكان هؤلاء الطالبيين استوطنوا خراسان، فلما رأوا بني أُمية في طلبهم وإبادتهم خلصوا نجيًا وتوجهوا نحو المشرق، ولم تثبت لهم قدم في شيء من ديار الاسلام خوفًا من الطلب فانحازوا إلى الصين واستقروا في **جزيرة سيلي**[٤] في منطقة الساحل، فعملت تلك الجماعات بالتجارة، وبلغ عددهم في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي حسب السجلات في نهاية عهد تانغ عام (٢٦٦هـ/٨٧٩م) حوالي عشرون ألفًا وبنسبة ثمانون بالمئة من اجمالي التجار الأجانب المستوطنين، ولما كانوا هم الأغلبية الغالبة بين التجار عمم الصينيون لقب العرب عندهم "تاشي" على عموم التجار أجانبًا كانوا أو عربانًا[٥].

---

(١) هويدي، الإسلام في الصين، ص٤٣.

(٢) **خراسان:** بلاد واسعة تمتد من العراق غربًا إلى كرمان وطخارستان شرقًا، ومعنى خراسان بالفارسية: مطلع الشمس، وهي مدينة عامرة كثيرة الخيرات. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢، ص٣٥٠؛ أبي الفداء، تقويم البلدان، ص٤٤١؛ البياتي، صدام جاسم محمد، **الحياة الاجتماعية في خُراسان من الفتح الإسلامي إلى نهاية سنة ٦٥٦ هجرية**، رسالة ماجستير منشورة، (دار الكتب والوثائق، بغداد،٢٠١٧م)، ص٥-٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢١؛ المروزي، أبواب الصين والتُرك والهند، ص٥؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢١٧؛ يوسف، الصين الإسلام والتجارة، ص١٩؛ شاكر، محمود، **تركستان الصينية (الشرقية)**، (مؤسسة الرسالة، بيروت،١٣٩٣هـ /١٩٧٣م)، ص٥٢.

(٤) **جزيرة سيلي:** وهي جزيرة من جزر الصين مما يلي المشرق، وتمتاز بصحة هوائها وعذوبة مائها، ولم يدخلها أحد من الغرباء وطاوعته نفسه على الخروج منها وهم بيض يهادون ملك الصينن ويزعمون أنهم إن لم يهادوه لم تمطرهم السماء. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٢-٦٥؛ النويري ،نهاية الإرب في فنون الأدب، ص٢١٧.

(٥) يوسف، الصين الإسلام والتجارة، ص١٩.

ويذكر لنا المستشرق **كراتشكوفسكي**[(١)] أن في الآونة الأخيرة حالف التوفيق العلامة البولندي لقيتبكي، فعثر على شواهد قبور تثبت زيارة بعض العرب للصين في ذلك العهد.

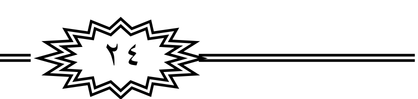
ويبدو أنهم من الخوارج **الأباظية**[(٢)]، وقد أشار الدرجيني (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م) إلى أحد شيوخ تلك الطائفة وهو **أبو عبيدة بن القاسم**[(٣)] من أهل **عُمان**[(٤)]، كان عالمًا كبيرًا لعصره وتاجرًا معروفًا اشتغل

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ،ج١،ص١٣٧.

(٢) **الأباظية:** فرقة من فرق الخوارج، مؤسسها عبد الله بن أباض بن ثعلبة التميمي من بني مُرَّة بن عُبيد بن رهط الأحنف بن قيس، كان في زمن معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان، ويرجع أهل المذهب الأباظي التاريخية والحركية إلى قصة أخطر شقاق وأقصى نزاع ظهر في حياة المسلمين أبان خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾، وعقب معركة صفين التي وقعت أحداثها في (٣٧هـ/٦٥٧م)، وحينها فارقه معظم من كان معه استنكارًا لقبوله مبدأ التحكيم، ومن أصحابه الذين أخذوا الأباظية عنهم دينهم هو الحر بن العباس بن عبد المطلب ﴿رضي الله عنه﴾ ابن عم النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ومن مبدأهم الدعوة إلى تنزيه الخالق، والدعوة بما جاء في القرآن الكريم والسُنَّة المحمدية . السبحاني، آية الله جعفر، **بحوث في الملل والنِحل**، (مؤسسة الامام الصادق ﴿عليه السلام﴾، قُم المقدسة، إيران-١٤٢٨هـ)، ص٢٤٢-٢٥٠؛ طعيمة، صابر، **الأباظية "عقيدة ومذهبًا"**، (دار الجيل، بيروت-١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص١٧-٤٣؛ السيابي، سالم بن حمود بن شامس، **طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباظي**، (وزارة التراث القومي والثقافة-عمّان- الأردن، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٧؛ ABDULRAHMAN AL-SALIMI,IBADISM EAST OF MESOPOTAMIA EARLY ISTAMIC IRAN, CENTRAL ASIA AND INDIA,ARABSCIENTIFIC PUBLISHERRS,LIBANON,2001, P 158.

(٣) **أبو عبيدة عبد الله بن القاسم:** من أهل عمان، خاض في بحر الزهد والتقوى شابًا وكهلًا اقام مدة في حياته في مكة، وكان فيها عندما مات أبو جعفر المنصور (١٥٨هـ/٧٧٥م)، فأغلقت أبواب المسجد حينها؛ لأخذ البيعة، وكان بصحبته الفضل بن جندب وعلي الحضرمي، فلطف الله بهم فنجوا، فقيل لأبي عبيدة: ماذا ترى لو أخذت عليك البيعة؟، فقال: تذهب والله نفسي قبل أن تؤخذ؛ ذلك لشدة ورعه وزهده وعدم هوادته على الحق. السيابي، طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباظي، ص٣٥.

(٤) **عُمَان:** بضم أوله، وتخفيف ثانيه، وآخره نون. اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن، والهند، وعمان في الاقليم الأول. طولها أربع وثلاثون درجة، وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، إلا أن حرها يُضرب به المثل. وتحمل المتاع=



بتجـــــارة **المُرّ**[(١)]، وكان قد سافر بتجارة له إلى الصين[(٢)]. وعليه كان للأباظية دورًا كبيرًا في التجارة مع الهند والصين؛ وذلك بسبب موقعهم الذي تمركزو به في عُمان على ساحل البحر مستغلين هذا الموقع الاستراتيجي بتجارتهم مع أقاصي البلاد وبالأخص بلاد الهند والصين.

وذكر إن أبو عبيدة كان تاجرًا خرج إلى الصين ثم رجع، فكان في بعض ما يتجر به " اشترى قومٌ **عودًا**[(٣)]، قال فاسألهم أن يشتركوة، ففعلوا، قال: فاقبلوا يعيبون العود

=من البصرة وعُمان وغيرها إلى سيراف، فيعبأ في السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر، وقلة الماء في مواضع منه، وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباظية. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤١٢-٤١٣؛ الخطيب، مصطفى، عقيل، **الخليج العربي دراساتٍ في الأُصول التاريخية والتطور السياسي**، (الشركة الحديثة للطباعة، الدوحة- قطر، ٢٠١٣م)، ص١٩.

(١) **المُرّ**: هو عبارة عن عشبة تنمو في بعض المناطق كاليمن، وعُمان، والصومال، ومناطق شمال أفريقيا، وهو عبارة عن مجموعة من المواد المخلوطة والمتجانسة مع بعضها كالصمغ، وقيل: هو عقار منه مكّي ومنه هندي، وقال: وهو عُصارة شجر معروف، وقال ابن دريد: صمغ من نحو الصنوبر والمر وما أشبههما. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن فضل (٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، تح: أمين محمد عبد الوهاب محمد صادق، ط٣، (دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج٣، ص٢١٩.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣-٤؛ الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، (مط البعث، الجزائر- قسنطينة ، بلات)، ج٢، ص٢٥٤؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٨؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص١٩٥.

(٣) **العود**: نوع من أنواع الشجر في الهند، وهي شجيرة عملاقة وعلى أنواع أفضله الهندي، وأجلُّ صفاته الرزانة واللون المائل إلى السواد ورائحته على النار فيها شبه رائحة اللينوفر، وآخر رائحته كأولها، وأجود أنواعه في مدينة قمار بالهند ويستخرج من جبل طويل وعريض يكون مقر لعُبّاد الهند، أما المنَدَلي منسوب إلى مَندلَ بلد بالهند يُجلب منه العود أيضًا. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٩؛ اليعقوبي، **البلدان**، (مط الحيدرية، النجف الأشرف ،١٣٣٧هـ/١٩١٨م)، ص١٢٦؛ المروزي، أبواب في الصين والتُرك والهند، ص٣٩؛ الدمشقي، أبي الفضل جعفر بن أبي الدمشقي(عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين)، **الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة صيد الأعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها**، (مط المؤيد ،بلامك ،١٣١٨هـ)،ص٢٠؛الإدريسي ،=

عند صاحبه حتى استنقصوه، كما كانوا قد اشتروا به، فظن أبو عبيدة أنهم صادقون فيما قالوا، قال: فلما خرجوا من عنده، وكان نقدوا الثمن، ونقد أبو عبيدة معهم عشرين دينارًا، فأقبلوا يمدحون العود، ويقولون: ما رأينا مثله!، قال: فقال لهم ابو عبيدة: سبحان الله! تعيبون عود الرجل بلا عيب فيه، ردوا عليَ رأس مالي ولا حاجة لي في مشاركتكم، قال: فاغتنموا منه فردوا عليه ماله"[١].

وتماشيًا مع ماتم ذكره يمكننا أن ندرك مدى الزُهد والتقوى الذي يتصف به هذا الشيخ والتزامه بمبادئ الاسلام، وذلك لعدم الكسب بمبدئ الاحتيال لطلب الرزق[٢] ... وعلى الرغم من إن المصادر التاريخية[٣] ذكرت رحلة هذا التاجر إلى الصين، لكن لم يذكروا تاريخ الرحلة، ولكن يمكن القول بأنها حدثت دون شك قبل أن نهب كانتون سنة (١٤١هـ/٧٥٨م) [٤]، تلك الثورة التي اجتاحت سواحل الصين الجنوبية على أثر اندلاع ثورة آن لوشان[٥] ونهب كانتون والمحاولة لأسقاط أُسرة تانغ[٦].

=نزهةالمشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٥؛ ابن منظور،لسان العرب، ج٨، ص٢٤١؛ أبي الفداء، تقويم البلدان، ص٣٣.

(١) الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، ص٢٥٤.

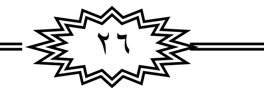
(٢) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٣٩.

(٣) للمقارنة يراجع : الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ص٢٥٣-٢٥٤؛ الشمخاني، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، **كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود السيابي، ط٢، (وزارة التراث القومي، سلطنة عُمان،١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص٨٨.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص١٣٨.

(٥) للمزيد في ذكر تفاصيل هذه الثورة تابع ما سنتناوله مفصّلا عنها بالفصل الثاني من هذه الدراسة،ص١٤٦-١٤٩.

(٦) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٨؛ ول ديورانت، قصة الحضارة الشرق الأقصى الصين، ترجمة: محمد بدران، (دار الجيل، بيروت- بلات)، مج١، ج٤، ص١٠٩؛ يوسف، الصين الإسلام والتجارة، ص٨؛ آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٣٣٣.



ومن أبرز التجار العمانيين الذين جابوا تلك البلاد ووصلوا إلى الصين التاجر العماني **النضر بن الميمون**(١) وكان من أبرز التجار الدعاة إلى المذهب الأباظي، وكان له مساهمة فعالة في نشر الدين الإسلامي(٢).

وهنا لابد من الإشارة إلى أن هذا التاجر قد عاش في البصرة في حدود القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين، ومنها سافر إلى خانفوا (كانتون) في جنوب الصين، وليس لدينا أي تفاصيل عن رحلته(٣).

أما الطريق البري الذي يخترق آسيا الوسطى إلى الصين فترجع معرفة العرب له إلى نفس هذا العهد المبكر؛ وذلك اعتمادًا على الوصف الذي قدمه **تميم بن بحر المطوعي**(٤). وإن تميم هذا لم يكن عالمًا جغرافيًا ورحالة فحسب، بل انتمى إلى فئة المتطوعة من جنود **الثغور الاسلامية**(٥) الذين كثر عددهم على تخوم الخلافة خاصة في آسيا الوسطى(٦).

---

(١) **النضر بن ميمون:** تاجر عماني عاش مدة حياته في مكة، ثم انتقل إلى البصرة واشتغل بالتجارة. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي تحقيق عبد الله الحبشي، ص٤؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٨.

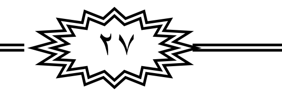
(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٨

(٣) الندابي، ناصر بن علي، **دور التجار العمانيين في نشر الإسلام في جنوبي شرق آسيا**، بحث منشور في مجلة الجامعة، العدد العاشر- ٢٠١٤م، ص٣٩-٥٣؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٨.

(٤) **تميم بن بحر المطوعي:** هو أول جغرافي ورحالة عربي وصف لنا الطريق البري إلى خاقان الترك التغزغز. السيرافي، رحلة السيرافي، مقدمة تحقيق عبد الله الحبشي، ص٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٧.

(٥) **الثغور الإسلامية:** أصل الثغر الكسر والثلم، وقد ثغرتُ الجدار أي ثلمته، منه قيل للموضع الذي يخاف منه اندراء العدو في جبل أو حصنٍ ثغر؛ لإنثلامه وإعوارهُ حتى يمكن العدو الدخول منه. والثغر: جمعه ثغور، وهو موضع المخافة بين العدو والمسلمين، وتعد من الوسائل الدفاعية التي اتخذت بين الدولة العربية الإسلامية وبين العدو وحصن تلك المناطق وخصصت بحكم إداري مستقل وحشدت فيها آلاف المقاتلين والمرابطين. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص١٤٦.

(٦) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٨.



ويعتبر تميم أول رحالة عربي يمدنا بمعلومات عن التُرك التغزغز، وبعد خروجه من بلاد التُرك توجه بعدها إلى بلاد الصين، وذكر إنها مسيرة متائة **فرســــخ**(١)(٢)، وقال: "وعن يسار التغزغز ... بلاد الصين"(٣)، ويبدو أن تميم هذا ترك لنا وصفًا دقيقًا عن أحوال تلك البلاد وجغرافيتها والطريق البري السالك لها.

ويمكننا أن نتتبع أثر تميم أيضًا في كتابات مجموعة من المؤرخين قد ذكروا أهم قطعة من هذه الرحلة وهو أنه سلك بلاد التغزغز في ستة أشهر في السنة، وكان يسير في اليوم والليلة ثلاث سكك بأشد سير وأحثه " فسار عشرين يومًا في أودية فيها عيون وكلأ وليس فيها قرية ولا مدينة إلا أصحاب السكك(٤)"(٥). لذى يعد تميم أول جغرافي عربي وصف لنا الطريق البري إلى الصين(٦).

مما يبدو على ضوء المعطيات السابقة نجد أن الهدف من هذه الرحلة هو لأغراض تجارية واستكشافية في ذات الوقت.

وهكذا يتبين لنا مما سبق من الرحلات التي قام بها الرحالة في ذلك الزمن هي بدايات لإستكشاف الطريق البري والبحري بين الهند والصين في تلك القرون المبكرة والتي أصبحت فيما بعد أساسًا يعتمد عليها المؤرخون والجغرافيون العرب ؛ ليزينوا بقصصهم ورحلاتهم صفحات كتبهم.

---

(١) **فرسخ:** كلمة فارسية، وحدة طول تساوي ثلاثة أميال أو ستة. والميل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ إثنى عشر ألف ذراع، والفرسخ يساوي ثلاثة أميل أو ما يساوي ٦كم. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٢٣؛ هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية أو ما يعادلها في النظام المتري**،ترجمةعن الألمانية كامل العلي،(منشورات الجامعة الأردنية،عُمان –الأردن ،١٩٧٠م)،ص٤٩.

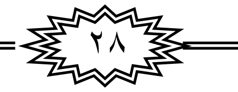
(٢) ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٢،ص٢٤.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٢٥.

(٤) **أصحاب السكك:** يقصد به رجال البريد . الجوهري،الصحاح في اللغة ،ص٤٥٨.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٢٥-٣٠؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٢٨-٣٢٩؛ الخزرجي، أبي أبي دلف مسعر بن المهلهل (المتوفي أواخر القرن الرابع الهجري)، **الرسالة الأولى**، تح: مريزن سعيد مريزن، (مط مركز الدراسات الإسلامية، بلامك-١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص٤٦-٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٩.

(٦) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٣٩.



الفصل الأول: السيرة الذاتية لأبو زيد السيرافي وما أورده عن جغرافية بلاد الهند والصين.

- **المبحث الأوّل: الأول: سيرة أبي زيد السيرافي ومصادره الرئيسية في تدوين رحلته.**
- **المبحث الثاني: نبذة جغرافية عامة عن بلاد الهند وفقًا لما أورده السيرافي في رحلته.**
- **المبحث الثالث: نظرة جغرافية عامة عن بلاد الصين وفقًا لما أورده السيرافي في رحلته.**



الفصل الأول

السيرة الذاتية لأبو زيد السيرافي وما أورده عن جغرافية بلاد الهند والصين

المبحث الأول

سيرة أبي زيد السيرافي ومصادره الرئيسية في تدوين رحلته

١. **أبو زيد السيرافي**:

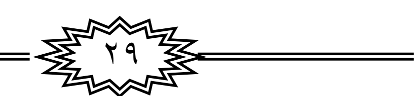
وهو ابن عمر بن زيد بن محمد بن مزد بن ساسياد السيرافي(١). أختلف الباحثون بمكان مسقط راسه، منهم من ذكر إنه من سيراف(٢)، ومنهم من، قال: " أنه عراقي من أهالي مدينة البصرة"(٣). ولكن بعد الرجوع إلى المصادر نجد أن كُني أبو زيد السيرافي وأيضًا الاسم "مزد بن ساسياد" هو اسم فارسي يدل على إن الرجل من أهالي سيراف.

وتفتقر المصادر والمراجع لذكر أي تفاصيل أخرى عن حياته ولادته أو سنة وفاته، أو عن عائلته غير أنه عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلاأن آخر النسخ المحققة لهذا الكتاب في سنة ٢٠١٦م، ذكر فيه المحقق: " إن أبو زيد ولد في سيراف سنة (٩٠٣-٩٧٨م)،

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص ٥٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣؛ حسن، زكي محمد، **الرحلة والرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، (دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠١/١٩٨١م)، ص٢٠؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢.

(٣) ضيف، الرحلات، ص٢٩؛ العليم، أنور عبد، **الملاحة وعلوم البحر عند العرب**، (عالم المعرفة، الكويت،١٩٧٩م)، ص٣٣؛ المجيدل، عبد الله شمت، **الهند في آدب الرحالة العرب**، بحث منشور في مجلة التراث العربي، العدد (١٤٨-١٤٩/ ربيع/ ٢٠١٨م)، ص٧٦.



وكان أبوه مزديـــــــــــــــــــــًا(١)تعلم الفقه واللغةوالفلسفة، وصار مفتي جامع الرصافة في بغداد، وشرح كتاب سيبويه ومقصورة ابن دريد "[٢]، وعندما رجعنا الى كتاب سيبويه وجدنا أن نسب الرجل يختلف جذريًا عما جاء به المحقق علي البصري[٣]، إذ إن شارح كتاب سيبويه هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان الذي ولد في سيراف سنة (٢٨٤-٣٦٨هـ/٨٩٧-٩٩٦م) [٤]. أما نسب مؤرخ رحلة السيرافي هو أبو زيد الحسن ابن عمر بن زيد بن محمد بن مزد بن ساسياد السيرافي[٥]. وعليه لو رجعنا إلى هذا الكتاب لوجدنا العديد من الهفوات التي وقع بها محقق الكتاب منه عنوان الكتاب الذي نسبه إلى سليمان التاجر، وقد أغفل المحقق إن الرحلة دونت بقلم أبو زيد حسن السيرافي، كما إنه يرجع رحلة سليمان لسنة (٢٢٧هـ/٨٤١م)، علمًا أن الرحلة كانت سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م). وفي مقام آخر يذكر أن موقع سيراف في الوقت الحاضر هو (ميناء بندر عباس) [٦]، وهذا الأمر محال؛ لأن ميناء سيراف جزء من محافظة بوشهر، أما ميناء بندر عباس هو مركز محافظة

---

١)**مزدياً:** مَزون اسم من أسماء عُمان بالفارسية .والمزون قرية من قرى عمان يسكنها اليهود والملاحين وليس بها غيرهم .قال أبو عبيدة :يعني بالمزون الملاحين ،وكان أردشير بابكان قد جعل الأزد ملاحين بشحر عُمان. المنجد ،صلاح الدين، **المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة في الشعر لجاهلي ،والقرآن الكريم ،والحديث النبوي ،والشعر الأموي** ،(دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٨ه/١٩٧٨م)،ص٢٦٠.

(٢) **سليمان التاجر، رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندونيسية سنة (٢٢٧هـ/٨٥١م)، أول عربي يقوم بهذه الرحلة الممتعة قبل أحد عشر قرنًا التاجر سليمان السيرافي**، تح: علي البصري، (شركة دار الوراق، بيروت- لبنان،٢٠١٦م)، ص١٥.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) أبي سعيد، الحسن بن عبد الله، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت٣٦٨هـ/٩٩٦م)، **شرح كتاب سيبويه**، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م)، ج١، ص٤.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، مقدمة تحقيق علي البصري، ص١٥.

هرمزغان[١]، على أية حال أبو زيد " من أهل تحصيل وتميز "[٢]؛ وكتاباته تدل على تحصيله على العلوم المختلفة؛ لما ذكر عن الأقوام والشعوب، وأشار إلى الجوانب الدينية والسياسية والاقتصادية لكل بلد، وعليه أن أبا زيد في الحقيقة لم يكن رحالة ولا عالمًا، بل كان على ما يظهر من المغرمين بأمثال هذه القصص التي كان من السهل جمع روايات كثيرة منها في مسقط رأسه في سيراف أو البصرة[٣]؛ وذلك لأن معظم هذه الروايات يرويها أهل البحر وقاطني المدن الساحلية، ومن أهم تلك الروايات التي تناولها أبو زيد في كتابه هو رحلة **أبو وهب القريشي**[٤] ولقائه بملك الصين الأعظم.

وعليه استنادًا على ما ذكر أن أبا زيد السيرافي كان عالماً وجغرافيًا يلتقط الأخبار عن الهند والصين من ألسنة التجار والبحارة من مسقط رأسه بسيراف أو في البصرة[٥].

٢. زمن تدوين الرحلة:

مما لاشك فيه إن أبا زيد السيرافي جمع قصص وروايات عن الهند والصين من خلال مذكرات التاجر سليمان ودونها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وأضاف إليها ذيلًا[٦]. وعليه إن كتاب أبو زيد السيرافي مقسم إلى جزئين في مجلدٍ

---

(١) الشبكة المعلوماتية الألكترونية (الأنترنيت)، http://www.m.marefa.org موقع المعرفة، بندر عباس، اقتبس بتاريخ السبت ١١/يونيو/٢٠٢٢م؛ وللمزيد ينظر: الملحق رقم (٤)+ الملحق رقم (٥).

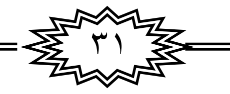
(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢؛ الكيلاني، شمس الدين، **صورة شعوب الشرق الأقصى في الثقافة الغربية الوسيطة (الصين والهند وجيرانها)**، (منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق،٢٠٠٨م)، ص١٩.

(٤) **أبو وهب القريشي:** وهو ابن وهب من ولد هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزى بن قصي، قريشي النسب، قام برحلته إلى الصين سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م)، بعد خراب البصرة على أثر ثورة الزنج. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠.

(٥) المجيدل، الهند في أدب الرحلة، ص٧٦؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣؛ أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤١.



واحد، يتضمن الجزء الأول مذكرات سليمان التاجر، أما الجزء الثاني (الذيل) الذي وضعه أبو زيد بعد جمع روايات كثيرة من التجار.

وبناءًا على ذلك أن أبا زيد حدد لنا تأريخ تأليف الجزء الأول من الكتاب وكان في سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م) [١]، ولكنه لم يحدد لنا تأريخ تأليف الجزء الثاني من الكتاب، إلا أنه يبدؤه بذكر التمرد الذي وقع في الصين، والذي حدد وقائعة في كتب المصادر (٢٦٤هـ/٨٧٧م) [٢].

وفي نفس الصدد لابد من ذكر أن المسعودي يذكر إنه كتب هذه الرواية بتاريخ (٣٣٢هـ/٩٤٣م) [٣]، أي بعد حوالي مائة عام من تأليف الجزء الأول من كتاب رحلة سليمان التاجر (مذكرات) [٤]، وهذا يدل على إن المسعودي إلتقى بشبابه بأبي زيد السيرافي والأخير كان في شيخوخته[٥]. وعليه يمكننا أن نحدد أن زمن تدوين الرحلة كانت في بدايات القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. ومما لاشك فيه أن زمن تجميع النسخة النهائية من كتاب أبو زيد حسن السيرافي كان في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) وهو العام الذي كان المسعودي يكتب فيه كتابه "مروج الذهب"[٦]. وسوف نتناول هذا الموضوع بشكلٍ مفصّل في الصفحات القادمة.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣؛ **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، ص٤١.

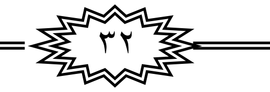
(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣–٥٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٧؛ يوسف، الصين والاسلام والتجارة، ص٨.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٧–١٠٨.

(٤) السيرافيين، سليمان التاجر وأبو زيد (عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، **أخبار الصين والهند**، تح: يوسف الشاروني، ط١، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة–١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص١٥.

(٥) السيرافيين، مقدمة تحقيق الهند، يوسف الشاروني، ص١٥.

(٦) Al. Sirafi, Abu Zayd, Acoownts of Yhina Aninda, Translated Immacintosh-Smith,For Eword By.Zviben-Dorbenite,New York University Press,p 26.



٣. **سبب تدوين رحلة السيرافي حسب آراء الباحثين والمحققين**:

قد يطول الجدل حول السبب الذي دفع أبو زيد حسن السيرافي أن يدون تلك الرحلات من جانب، وتحليل ونقد محققين تلك الرحلة من جانبٍ آخر. وسبب هذا الجدل هو ما تركه أبو زيد حسن السيرافي في مستهل كتابه الثاني، إذ قال: إنني نظرتُ في هذا الكتاب– يعني الكتاب الأول الذي أمرت بتأمله وإثبات ما وقعتُ عليه من أمر البحر وملوكه وأحوالهم(١).

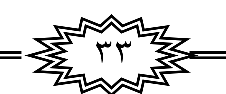
في هذه الرواية يؤكد لنا أبو زيد أن هناك من أمرهُ أو طلب منه عملية جمع تلك القصص والروايات والتحقق منها وضمها في كتاب، والسؤال الذي يطرح نفسه: من هو ذلك الشخص؟ وهل كان ذلك الأمر من سلطة سياسة عليا أم من أحد هواة قصص البحار أو من مؤرخ جغرافي؟ وهذا ما نحن في صدد الحديث عنه.

ففي سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) زار المسعودي مدينة البصرة، وهناك التقى بالمؤرخ أبو زيد حسن السيرافي الذي كان في وقته يجمع قصص البحار، وقد التقى بعدد من هؤلاء البحارة الذين كانوا يعملون في التجارة وأخذ منهم رواية مفصلة عن **ثورة بابشو**(٢) الشهيرة التي وقعت أحداثها سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م) أي قبل زيارة المسعودي

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣.

(٢) **ثورة بابشو**: وهي الثورة التي وقعت أحداثها سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م) في الصين؛ وكان بابشو مبتدأ أمره الشطارة والفتوة وحمل السلاح والعين واجتماع السفهاء إليه، حتى اشتدت شوكته وكثُر عدد أتباعه واستحكم طمعه، فقصد خانفوا من بين مدن الصين وعلى أثره طلب ملك الصين المساعدة من العرب والأواغر، وانتهت الثورة بمقتل بابشو وإرجاع سدة الحكم إلى الإمبراطور الصيني. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٤–٥٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨.



للبصرة بأربعين عامًا[١]، ومن الطبيعي بهكذا اجتماع بين المقرم والهاوي لقصص البحار وبين الجغرافي والمؤرخ؛ أن يكون هناك تبادل معارف بينهما[٢].

وجميع الدلائل تشير إلى أن المسعودي قد أخذ عنه رواية ابن وهب الواردة في رحلته هذه[٣]، وهذا ما مكن انتقال المعلومات من الرحلة كاملة إلى المسعودي، والدليل على ذلك أن لغة الأخير هي مصقولة أكثر وتنظيمية للمواد مخططًا بشكل أفضل بكثير من عمل أبو زيد الأصل الخام[٤].

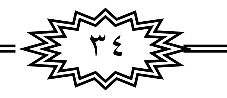
واتفق العديد من المستشرقين على أن أبو زيد أضاف ملاحظاتٍ إلى هذه الأخبار في حدود (٣٠٤هـ/٩١٧م) أي بعد سنة من التقائه بالمسعودي، وهذا ما

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣؛ حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٢٠؛ العليم، أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحر عند العرب**، (عام المعرفة، الكويت، ١٩٧٩م)، ص٣٣؛ قنديل ، **آداب الرحلة في التراث العربي**، ص١٠٩؛ ميتورسلي، م.ت، **الجغرافيون والرحالة المسلمون**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، (الجمعية الجغرافية الكويتية الخالدية، الكويت،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٣-١٤؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢.

(٢) قنديل، أدب الرحلة في الثراث العربي، ص١٠٩؛ حميدة، عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من حياتهم، (دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص٣٢٦.

(٣) حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٢٠؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٣٣؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢.

(٤) Al.Sirafi. Accownts of Ghina And India, P 25.



يؤكده المستشرق (**دوربينيت**) [1] بأن المسعودي هو من طلب من أبو زيد مراجعة الكتاب والتحقيق به[2].

ويذكر أحمد رمضان[3] قولًا: "ونجد أثر أبو زيد السيرافي عند المسعودي، إذ ذكر المسعودي منها مقتطفاتٍ عند حديثه عن ملوك الصين".

ومن جانبٍ آخر يمكننا أن نذكر أنه لم يصلنا أي معلومات تدل على كيفية حصول أبو زيد حسن السيرافي على مذكرات سليمان التاجر؟ هل حصل عليها من عائلته؟ أو قد سلمها هو بنفسه إلى أبو زيد؟ والله أعلم.

ولابد من الإشارة إلى أن أبو زيد لم يذكر أنه التقى بسليمان التاجر مع إنهم من مدينة واحدة، بل قام بتدوين ما سمعه من البحارة وأضافها إلى مذكرات سليمان التاجر بعد ستين عامًا من تدوين سليمان التاجر لها[4]. والحقيقة يقال أن هذا الرجل اعترف علانية أنه لم يذهب إلى الصين، ولكنه عمل على تكميل ما كتبه سليمان عن الهند والصين، ولعله قد سأل الكثير من الذين قد سافروا إلى تلك البلاد، فسألهم عن أحوال أهلها، فجاء بمعلوماتٍ أفيد مما رواه سليمان من جهة تأريخ الإسلام في الصين[5].

---

(١) **دوربينيت**: أستاذ في قسم التاريخ وقسم الدراسات الاسلامية والشرق الأوسط في جامعة نيويورك، ولد في القدس لعائلة هاجرت من العراق. درس اللغة الصينية في القدس، وفي الصين كتب هذا المستشرق حول التأريخ الثقافي للمسلمين في الامبراطورية الصينية والفكر اليهودي في الشرق الأوسط الحديث. الشبكة الألكترونية (الأنترنيت)، المركز الآسيوي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة،,http://www..iicss-q/?=142sid=2244 تم الاقتباس من الموقع بتاريخ ٥/ حزيران/ ٢٠٢٢م.

(٢) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، ط٣، (دار المعارف، القاهرة– بلات)، ج٤، ص٢٣٨؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة، ص٢٢٤؛ Al. Sirafi, Accownts of Yhina And India, P 25.

(٣) الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤٠-٤١.

(٤) المجيدل، الهند في آدب الرحالة العرب، ص٧٦.

(٥) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٤٩-٥٠؛ ضيف، الرحلات، ص٢٩.

وعليه نقل المسعودي (هيرودوت العرب) اقتباساتٍ عديدة من تلك الروايات من كتاب أبا زيد السيرافي وأضافه إلى عمله "مروج الذهب"(١)، ولم ينسب المسعودي تلك الروايات إلى نفسه، بل ذكرها بأسماء رواتها، وفي هذا المجال ينصف المستشرق كراتشكوفسكي(٢) المسعودي بقوله: " فإن المسعودي لم يأخذ مصادره الأدبية على علاتها، بل وقف منها موقف الناقد، وقد أبصرنا من قبل كيف فحص بأهتمام الرويات، وكيف كان يقارن المادة المكتوبة بالمعطيات الواقعية في وصفه للطرق المختلفة، ذاكرًا في كثير من الأحيان أين ومتى التقى بالمسافرين، المشهور منهم والمغمور، فمن أولئك يذكر صاحب وصف طريق الهند والصين أبا زيد السيرافي ".

وعليه إذا تأملنا النصوص عن المسعودي على ضوء المصادر الصينية نجد كل شيء واضح، بل يأتي نص المسعودي ليسلط الأضواء على المصادر الصينية المحلية (٣).

وربما هناك حقائق يمكننا الإدلاء بها حسب ما جاء به بعض المؤرخين و هي:

أ- ربما تم تجميع النسخة النهائية من كتاب أبو زيد في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) وهو العام الذي كان المسعودي يكتب فيه " مروج الذهب"(٤).

ب- يبدو من كلام المسعودي أن هناك عملية تبادل معلوماتٍ بين الرجلين ففي اجتماعهما وجهًا لوجه؛ ولكن في النهاية كان التدفق الأكبر للمواد من جانب أبو زيد للمسعودي(٥).

---

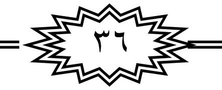
(١) Al.Sirafi, Accowntsof Yhina And India, P 25.

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٨٥.

(٣) مينورسكي، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص١٣-١٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهرن ج١، ص١٠٨-١٠٩؛ Al.Sirafi, Accownts of Yhina And India, P 26.

(٥) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢؛ حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٢٠؛ Al.Sirafi, Accownts of Yhina Andia, P 26.



ت- ولابد من أن يكون المسعودي نفسه هو ذلك الشخص الذي "أمر" أبو زيد بمراجعة الكتاب الأول[١] واكماله وبالتالي توفير المزيد من "الأحجار الكريمة"، أي روايات من مصدرها الخام ليتم تعدينها أو تقطيعها وصقلها وادخالها في " مروج الذهب "، علمًا أن الفرق الزمني بين تدوين سليمان التاجر ومذكراته"، وبين كتابة المسعودي لمروج الذهب يكون حوالي تسعون عامًا[٢].

خلاصة الحديث توصلنا إلى أن أبو زيد حسن السيرافي انتهى من تدوين الكتاب بالكامل سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) وهو العام الذي دوّن به المسعودي تلك الروايات في كتابه "مروج الذهب"، ودوّن الأخير تلك الروايات بلغة سلسة وتنظيم أكثر في عمله. ومما لاشك فيه يمكننا الإدلاء وبكل ثقة أن سبب تدوين كتابنا هذا "رحلة السيرافي" واخراجه وعلى الشكل المألوف يعود إلى "هيرودوت العرب" الذي طلب من أبو زيد تجميعه ومن ثم تصنيفه في كتابٍ واحد وضع تحت عنوان "رحلة إلى بلاد الصين والهند".

ث- مخطوط أبو زيد السيرافي:

مسودة أبي زيد وصلتنا في مخطوطة فريدة موجودة في باريس أضاف إليها الناسخ مقدمة لا علاقة لها البتة بمحتويات الكتاب، وزاد المشكلة تعقيدًا أن المخطوطة تحمل عنوانًا غير مناسب على الاطلاق، فهو "سلسلة التواريخ"[٣]، وقد بحثنا في العديد من كتب الفهارس فلم نعثر فيها على أي إشارة تميط اللثام عن عنوان المخطوط، غير إن المؤلف يشير في مقدمة المخطوط إلا أن هذا الكتاب فيه سلسلة من التواريخ والبلاد والبحور وأنواع الأسماك، وفيه علم الفلك وعجائب الدُنيا وقياس البلدان والمعمور منها والوحوش [٤].

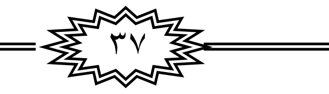
---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣.

(٢) Al.Sirafi,Accownts of Yhina Andia. P 26.

(٣) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢. وللمزيد ينظر إلى الملحق رقم (٦).

(٤) التاجر سليمان (عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، **عجائب الدنيا وقياس البلدان، المنسوب لسليمان التاجر، ألفه سنة** (٢٣٧هـ/٨٥١م)، تح: سيف شاهين المريخي، (دار لباروني، أبو ظبي،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص٢٣؛ الدفاع، علي بن عبد الله، **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والاسلامية**، (مكتبة التوبة، بلامك ، بلات)، ص١١٢.



وبعد التدقيق والقراءة الفاحصة يتضح أن المخطوط أخبار رحله قام بها المؤلف إلى الهند والصين، ويتحدث فيها عن أحداث وقصص ومعلومات جغرافية وفلكية يندرج عند العرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، بعلم العجائب وعلم المسالك والممالك. وعليه فإننا استخرجنا من المقدمة عنوانًا مناسبًا للكتاب وهو " عجائب الدنيا وقياس البلدان"(١).

وسبق أن أشرنا إلى إن هذه الرحلة طبعت سنة ١٨١١م، وترجمت مرات عديدة إلى اللغة الفرنسية والفارسية، وعلّق عليها ونشرت في مؤلف من مجلدين: **الأول** عائد لسليمان التاجر، أما المصنف **الثاني** من الكتاب يحمل عُنوان: "من أخبار الصين والهند"(٢)، تأليف أبو زيد حسن السيرافي كُتب في حدود(٣٠٤هـ/٩١٦م)، ويبدأ من الورقة (٢٣-أ) وينتهي بنهاية المخطوطة، وهو يحتوي على معلومات وأخبار عن الرحلات البحرية بين بلاد الخليج العربي وبلدان الساحل الشرقي لأفريقيا والمحيط الهندي وبحر الصين في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي(٣).

ولابد من الاشارة إلى أن بعد نصف قرن من هذه المخطوطة ظهرت مجموعة من القصص البحرية المعروفة باسم "عجائب الهند"، وقد جمعها رُبّان يدعى **بزرك بن شهريار**(٤)هرمزي بين سنوات (٢٨٨-٣٣٩/٩٠٠-٩٥٠م) ولا ريب أنهُ سمعها هو

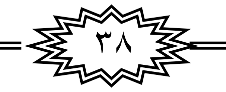
---

(١) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان لسليمان التاجر، تح: سيف شاهين، ص٢٣-٢٤؛ حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٢٠.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣؛ سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان ، ص٢٤.

(٣) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، ص٢٤؛ السيرافيين، تحقيق مقدمة يوسف الشاروني، ص١١؛ كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢.

(٤) **بزرك بن شهريار**: وهو رُبّان هرمزي من بلاد فارس، عاش في منتصف كل من القرنين الثالث والرابع من الهجرة، فأقدم تاريخ لحكايات كتابه سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م) وآخره سنة (٣٤٢هـ/٩٥٣م)، قد عاصر هذا البحار زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٦-٣٢٢هـ/٩٠٨-٩٣٣م)، الذي بلغت الملاحة العربية في المحيط الهندي أوج عصرها الذهبي. شهريار، يزرك (المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري)، **عجائب الهند**، تح: حسن صالح شهاب، (مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أُم القرى،١٤١٥هـ)، ص٥.



الآخر من أفواه **الربابنة**[١] ورجال البحر، إذ ينسب كل حكاية من هذه الحكايات إلى ربان أو شخص بعينه[٢].

ج- المآخذ التي أُخذت على رحلة سليمان في كتابات السيرافي:

لا تخلو أي كتاباتٍ عن مواطن ضعف أو هفوات يقع فيها الباحث، فأما أن يكون ذلك عن عدم معرفة بحقائق الأمور، أو نابعٌ عن أسباب أخرى. ونحن لسنا في صدد الحديث عنه لكن يمكننا أن نستدل بالمثل الانكليزي المشهور والقائل: " لكل رجل عيوب بقدر ما له من فضائل"[٣]، وعليه يتناول النقّاد تلك المواقف أو الآراء فبعضها قد تكون منصفة والبعض منها قد تكون غير منصفة، وبكلا الحالتين يجب على الناقد أن يعطي الهدف من وراء تلك الآراء أو أن يستدل بنتائج وحقائق واثباتات، ويمكننا أن نجعل تلك الآراء ونجملها على شكل نقاط وعلى وفق الآتي:

أ- إن أبو زيد وسلفه المجهول ربما صقلو قواعد الجزئين من النحو، والمفردات الأخرى، على الرغم من ذلك فإن بعض اللغة ضالة قليلاً، إلا أنها ليست لغة عربية سيئة كما زعم الباحث الفرنسي **فيرن**[٤]، على العكس من ذلك فهي تحافظ على مميزات اللغة العربية المنطوقة تسهل تدوينها على الورق[٥].

---

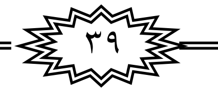
(١) **الربابنة:** مفرده رُبّان، وهو متولي السفينة ومن يجريها، والجمع أيضًا ربابين. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٦؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: علي هلالي، ط٢، (مط حكومة الكويت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٢، ص٤٧٩-٤٨٠.

(٢) العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٣٣؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢.

(٣) للمزيد يراجع : عطية، محمد، **قاموس الأمثال الإنكليزية**، مترجمة ومشروحة أكثر من ١٥٠٠ مثَل من ذخائر الحكمة في الثقافة الانكليزية، (بلا مط-٢٠٠٤م).

(٤) **فيرن:** مستشرق فرنسي ولد سنة (١٨٦٤م)، تخرج وعُين وزيرًا مفوضًا في المشرق وانتخب عضوًا في الجمعية الآسيوية، وباشر بمكتبة الجغرافيين العرب، وكان مولعًا بقصص الرحلات ونصوص الجغرافية العربية والفارسية المتعلقة بالشرق الأقصى من القرن الثامن عشر. توفي سنة ١٩٣٥م. العقيقي، نجيب،**المستشرقون**، (دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٦٤م)، ج١، ص٢٤٠؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٩٣.

(٥) Al.Sirafi, Accounts of Yhinu And India. P 26.



ب- ومن المآخذ التي تؤخذ على سليمان التاجر إنه ركز جُلَّ اهتماماته على الهند والصين، وأغفل ذكر الكثير من المعلومات المتعلقة بالبلدان والجزر الأخرى المجاورة والمنتشرة في المحيط الهندي على الطريق وصولاً إلى الصين[١].

ت- يذكر بدر الدين الحي الصيني أن سليمان لم يكن إلا تاجراً فحسب، ولم يعرف كيف يكتب على أصول علمية فلا ترى في كتابه إلا "مشاهداتٍ تافهة" ومعلومات مجردة من التعديلات العلمية والفروض المنطقية"[٢].

ونحن بدورنا نتسائل هل تناسى الصيني أن تلك الكتابات لم تكن إلا مذكرات كتبها التاجر سليمان أثناء مروره في تلك البقاع، والمطلع على ذلك الكتاب يمكنه أن يتلمس ذلك الحس الذي دوّن به التاجر تلك المشاهدات للمجتمعات وشملت جميع مجالات حياتهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

ولكن في متن الحديث نجد أن بدر الدين ينصف التاجر وينقض كلامه من جانبٍ آخر، بقوله: " غير إن هذه المشاهدات أو المعلومات ذات أهمية علمية كبيرة في نظر المحققين؛ لأنها من التجارب، ومبنية من حقائق لم تشوشها التعديلات المنطقية"[٣]. وعليه من غير الممكن أن يجتمع كل من الرأيين "مشاهدات تافهة"، و "معلومات لها أهمية علمية" في مقام واحد، لابد من أن ينصف الرجل بأن ما جاء به من معلومات كانت من مصادرها الخام لم يسبق وإن سلطت عليها الأضواء من قبل.

ث- يؤخذ عليه استخدام الاسلوب العامي أحيانًا، والترتيب غير المحكم والتداخل وعدم الربط بين الموضوعات والايجاز الشديد[٤].

ج- لم يتحقق سليمان التاجر من المعلومات الشفوية التي نقلها وكذلك لم يناقشها أو يحللها[٥].

---

(١) السيرافيين، أخبار الصين والهند، مقدمة تحقيق يوسف الشاروني، ص٢٣.

(٢) العلاقات بين العرب والصين، ص٥٠.

(٣) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٥٠.

(٤) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، ص٢٢-٢٣.

(٥) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، ص٢٣؛ Al.Sirafi. Abu Zayd, Accowhts of Ghina And India, P 24.

وبدورنا بحثنا في العديد من كتب المراجع وبحثنا في العديد ممن كتبوا في أدب الرحلات فلم أجد أجمل مما وصفه دكتور ميداني بن عمر[١] مُنصفًا لهذا العمل الفريد، بقوله: " فسليمان التاجر لم يكن أديبًا، أو كاتبًا، أو مؤرخًا، أو رحالة عالمًا بأمتدادات المسالك ومآلات الممالك في التاريخ، فهو هنا مُجرد مشاهد واصفٌ لما وقعت عليه عينه في رحلات من معاينات تُعدُّ قيمة علمية هامة كساها فيما بعد أبو زيد السيرافي في حُلة أدبية حينما أعاد تدوينها، وبالتالي تأهيلها لتكون المدونة الاطار للنص الرحلي العربي، ولتضعنا دائمًا أمام هذا الملمح الموشوري المتعدد الأطياف للنص ... إذ ينفصم الباحث لهذا النص إلى هويتين متداخلتين (أو متخارجتين)، هوية الشاهد والملاحظ وهوية الأديب الواصف الحاكي؛ ليظل النص يتأرجح بين وضيفتين تعبيرية وتوصيلية ... وأشكال أدبية وغير أدبية يمتصها، أو تظل عائمة فوق سطحه دالة على تمايزه وتعدد منافذه "[٢].

ح- مميزات رحلة سليمان في كتابات السيرافي:

يمكننا أن نوجز أهمية هذه الرحلة في بعض النقاط، وهي كما يلي:

اولاً : تمتاز هذه الرحلة وذيلها بالوصف الصادق للطرق التجارية وذكر العادات والتقاليد والأنظمة الاجتماعية مع قلة الأساطير والخُرافات[٣].

ثانياً: تعد رحلة سليمان التاجر (مذكرات) والتي دونها أبو زيد السيرافي والذيل الذي أضافهُ لها أقدم وصف لبلاد الهند والصين أذ ذكر جميع الجوانب الاقتصادية والأجتماعية ، فضلاً عن ذلك فنحن من خلالها تعرفنا على إن الجاليات الإسلامية في المدن الصينية، كانت لهم امتيازات خاصة، أذ أن رجلاً مسلمًا يوليه صاحب

---

(١) **أدب الرحلة بين التباس المفهوم واستعصاء التجسيس**، بحث غير منشور، جامعة حمة لخضر الوادي،(بلاعدد،بلات) ص٢.

(٢) عمر، أدب الرحلة بين إلتباس المفهوم واستعصاء التجسيس، ص٢.

(٣) حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٢٠؛ أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤١.

الصين الحكم بين المسلمين، وكان الرجل إمام للمسلمين وشيخهم، وإذا كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين(١).

ثالثاً : تعد مادة الكتاب من الرحلات القيمة والموثوقة، ويمكن الوصول لها؛ من أجل معرفة معلومات حقيقية للتجار والمسافرين، وهذا الإرث لا يزال قائمًا إلى يومنا هذا(٢).

رابعاً : إنَّ هذا الكتاب من أوائل الكتب التي استفادت مما وصلت إليه خبرات الملاحين العرب في المحيط الهندي حتى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأعدت فأفادت كمرشد بحري لهؤلاء الملاحين، فهو يقدم لنا صورة عن الطرق البحرية التي سلكها العرب حتى ذلك الوقت في المحيط الهندي غربًا حتى ساحل إفريقيا شرقًا، وصولاً إلى ميناء كانتون في الصين(٣).

خامساً : ويصفها بدر الدين "إن لهذين الكتابين قيمة علمية عظيمة لما ذكر عن عادات الهند والصين"(٤).

سادساً : نلاحظ إن مؤلفين الجزئين قد حرص كلٌ منهما على شرح بعض الألفاظ من حينٍ لآخر، لاسيما إن الألفاظ كانت غير عربية(٥)، كما في: " **نواخذة**(٦) العرب وأرباب المراكب"(٧)، أي صاحب السفينة.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، ص١٤٩.

(٢) Al.Sirafi. Abu Zayd, Accownts of Yhinu And India. P 28.

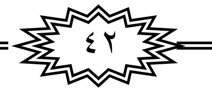
(٣) السيرافيين، أخبار الصين والهند، مقدمة تحقيق يوسف الشاروني، ص١٤.

(٤) العلاقات بين العرب والصين، ص٤٨؛ أحمد الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤٣-٤٤.

(٥) السيرافيين، أخبار الصين والهند، مقدمة تحقيق يوسف الشاروني، ص١١.

(٦) **نواخذة:** هو رئيس السفن مأخوذ من ناخذا، وهو مركب من (ناوا) أي سفينة، ومن (خدا) أي صاحب، واللفظة من الفارسية. أدى شير، **كتاب الألفاظ الفارسية المعربة**، ط٢، (دار العرب للبستاني، القاهرة،١٩٨٧-١٩٨٨م)،ص١٥٠

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٦.



سابعاً : لقد استطاع سليمان التاجر أن يتحدث بطريقة علمية مذهلة عن صفات البحر وأنواعه وأعاصيره مما يدل على غزارة علمه وسعة ثقافته ليس فقط في علوم

البحر، ولكن في علمي الجغرافية والتاريخ(١).

ثامناً : إن مادة الكتاب عالمًا حيًا حقيقيًا واقعيًا وملموسًا، على الرغم من مرور أحد عشر قرنًا، إلا أنه مبني من حقائق ملموسة، وليس من خيوط البحارة(٢)، وكما يقول المؤلف أبو زيد حسن السيرافي في كلماته الختامية " فهذا أجمل ما لحقه الذكر في ذلك الوقت على سعة أخبار البحر، مع التجنب لحكاية شيء مما يكذب فيه البحريون، ولا يقوم في نفس المرء صدفة والاقتصار من كل خبر على ما صح منه، ولإن قل أَولى"(٣).

وهكذا يتبين من هذا العمل الثمين في ذلك الزمن المبكر الذي كثرت فيه روايات عن الأساطير والخرافات، إلا أنه حاول أن تكون كتاباته خالية مما ينافي العقل على حسب قوله.

٢-

أ- سليمان التاجر:

سليمان التاجر، رجُلاً مُسلَم عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ومن التجار الذين كانوا ينقلون عروض الهند والصين إلى البلاد العربية(٤). عُرف سليمان بسياحته البحرية التي قام بها من مرافئ "البحر الفارسي إلى بلاد الهند

---

(١) الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة الاسلامية، ص١١٤.

(٢) Al.Sirafi, Accownts of Yhina Andia. P 27.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، مقدمة تحقيق عبد الله الحبشي، ص٦؛ الريامي، كمال بن محمد، **مشاهير الرحالة العرب**، (كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص١٩؛ ضيف، الرحلات، ص٢٩؛ هويدي، الاسلام في الصين، ص٤٤؛ عبد الرحمن، هدى حسن محمد، **الملامح الحضارية لرحلة سليمان السيرافي**، (دار المنظومة، العدد ١٢٥،٢٠١٩م)، ص٣٥٦-٣٥٧.

والصين"[١]، وهو لم يكن جغرافيًا ولا مؤرخًا[٢]، بل رحالة واقتصرت رحلته على التجارة، لذلك يمكن أن نعد رحلته من الرحلات التجارية، ولكن الغاية من تدوين رحلته لم يكن لأغراض الجانب العلمي، بل كانت عبارة عن مذكرات يومية، وكانت رحلاته المتعددة وسيلة لكسب العيش عن طريق المتاجرة مع بلاد الهند والصين حتى أخذ لقب سليمان التاجر أو (سليمان البحار)[٣]. وعليه اعتاد هذا الرجل السفر إلى الهند والصين؛ لجلب السلع وبيعها في البلاد العربية، ولم نعثر في الكتب والمخطوطات عن بقية اسمه أو تفاصيل عن حياته[٤]. وقد اختلف الباحثين في أصل البلاد الذي ينتمي إليهه سليمان التاجر، فمنهم من نسبه إلى العراق[٥]، ومنهم من نسبه إلى بلاد فارس من سكنة مدينة سيراف على ساحل **الخليج العربي** [٦] [٧].

ويمكننا أن نرجح سبب هذا الاختلاف؛ هو لترامي سلطان الدولة الاسلامية في العصر العباسي إلى بلاد فارس ، والعراق، وسوريا، ومصر، واحتلت البصرة المركز الذي كان لميناء الأُبُلّة، وازدهرت التجارة الشرقية ازدهاراً جعل من بغداد عاصمة

---

(١) السيرافي، أبو زيد حسن السيرافي (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، **كتاب أخبار الصين والهند (٢٣٧هـ)**، تح: وترجمة المستشرق جان سوفاجيه- دراسة للمستشرق ج. أكرامرز، (دار بيبليون، باريس،٢٠٠٩م)، ص١٢.

(٢) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص١٤١.

(٣) الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية، ص١١٢.

(٤) المجيدل، الهند في آدب الرحالة العرب، ص٧٦؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤١؛ الريامي، مشاهير الرحالة العرب، ص١٩.

(٥) الريامي، مشاهير الرحالة العرب، ص١٩؛ ضيف، الرحلات، ص٢٩؛ أحمد الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤١.

(٦) **الخليج العربي** : هو شعبة من بحر الهند الأعظم، وأول سواحله من جهة البصرة وعبّادان، كما تمتد سواحله نحو الجنوب إلى قطر وعُمان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٣؛ الخطيب، الخليج العربي دراسات في الأُصول التاريخية والتطور السياسي، ص١٩.

(٧) التاجر سليمان، عجائب الدنيا وقياس البلدان، ص١٦؛ عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى،، ص١١؛ شوقي، أدب الرحلة في التراث العربي، ص٩٨.

الخلافة المركزية فضلاً عن ألازدهار بالجوانب الفكرية والعلميةفي ذلك الوقت(١)، لذا من الطبيعي انتقال الرعايا في تلك البقاع المختلفة التي تخضع للحكم الاسلامي ... وعلى الرغم من إن سكان تلك البلاد لم يكونوا من المسلمين أو العرب فقط؛ لكنهم يشعرون بأنهم رعايا دولة اسلامية مترامية الأطراف مركزها الديني مكة ومحورها السياسي بغداد(٢).

وعليه لا توجد لدينا أي معلومات عن مكان ولادته أو وفاته، إلا أن في الآونة الأخيرة نشر الدكتور **محمد بن إبراهيم الشيباني**(٣) في مجلة تراثنا الثقافية الالكترونية (Google) دراسة بعنوان "التاجر سليمان البحري ورحلة أول مسلم إلى الصين كما وصفها عام (٢٣٧هـ/٨٥١م) وتتبع المستشرق فران رحلته على الخرائط الحديثة"، إذ جاء فيها: " تحول قبر سليمان التاجر البحري بعد أن كان مجهولاً إلى مزار تقام فيه الاحتفالات التي لم ينزل الله فيها من سلطان"(٤)، ثم يشير في صلب حديثه أن في الصين مساجد كثيرة لاسيما في كوانجو (كانتون)، ومن تلك المساجد ما يسمى "**روضة وقاص**"(٥) ويعتقد الكثير من الصينيين المسلمين انه للصحابي

---

(١) فوزي، حسين، **حديث السندباد القديم**،(مط لجنة التأليف والترجمة، القاهرة-١٩٤٣م)، ص١٨١.

(٢) السيرافي، أخبار الصين والهند، مقدمة المحقق جون سوفاجة، ص٣.

(٣) **محمد بن إبراهيم الشيباني:** كاتبٌ وصحفي كويتي ورئيس ومدير تحرير مجلة تراثنا الأسبوعية. أصدر العشرات من الكتب ومنها قطوف من : ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، الرحلة إلى المشرق والعودة منه. الشبكة المعلوماتية الألكترونية (الأنترنيت)، تويتر، الشيباني: محمد @alshaibani-m، اقتبس هذا النص بتاريخ ٢٣/ كانون الأول/٢٠٢١م.

(٤) **الشبكة المعلوماتية اللكترونية (الأنترنيت)**، http://www.torathhona.org مجلة تراثنا الثقافية، الشيباني، محمد بن إبراهيم، **التاجر سليمان البحري ورحلة أول مسلم إلى الصين**، مجلة ترثنا الثقافية الألكترونية، (الثلاثاء ٢٨ جمادى الآخرة- ١٤٤٠هـ/٥-٣-٢٠١٥م)، اقتبس هذا النص بتاريخ ٢٣/ كانون الأول/٢٠٢١م.

(٥) **روضة وقاص:** ويسمى مسجد (هوايشنغ)، والمسمى أيضًا (مسجد قوانغتا)- يعني المنارة؛ لفخامة منارته. وهو من المساجد التي تم بناؤها على أيدي الجاليات العربية الاسلامية آنذاك، وهناك روايات تذكر أنها بنيت على يد الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص (ﷺ) الذي جاء إلى الصين لنشر الاسلام بأمر من النبي محمد (ﷺ). أما الكتابات العربية المنقوشة على اللوح الرخامي في مسجد هوايشنغ (روضة وقاص)، فإنها تتفق مع ما جاء في الروايات، إذ جاء فيها: " هو أول =

الجليل **سعد بن أبي وقاص**[1] ﴿رضي الله عنه﴾، ويكمل الشيباني، بقوله: "لعل القبر الذي في المسجد هو لأحد التجار المسلمين الذين ما انفكوا يرحلون إلى الصين والعودة منها بالعجائب من الملابس والحاجات والحيوانات مثل سليمان التاجر (رحمه الله)، وللأسف فإن هذا القبر بعد أن كان مجهولًا أو مهملًا أصبح اليوم مزارًا تقام الاحتفالات التي لم ينزل الله فيها من سلطان، وهكذا مسلموا اليوم في أغلب بقاع

=مسجد في الصين بناه سيدنا وقاص ﴿رضي الله عنه﴾، إذ دخل هذا الدار؛ لإظهار الاسلام بأمر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾". ثم جدده المتأخرون مدة بعد مدة، ... فاعتبروا يا أولي الأبصار ... التوقيع – الوصي سليمان عبد الكريم". وإن المسلمين هناك يقيمون عادة بزيارة هذا الضريح في الأعياد الاسلامية، سائلين الله أن يتغمد صاحبه برحمته ومغفرته، بيد أن وقاص الذي تردد اسمه على ألسنة المسلمين الصينيين ليس الصحابي سعد بن أبي وقاص الذائع الصيت في عهد النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾؛ لأن هذا القائد وافته المنية في المدينة المنورة عام (٥٥هـ/٦٧٤م)، وكانت معاركه العنيفة التي قادها ضد الفرس هي آخر البقاع التي وصلت إليها أقدام هذا القائد؛ ولكن المستشرق توماس آرنولد يقص علينا رواية مخالفة مما لما ذكر، بقوله: " وكان من الشائع بين مسلمي الصين في عهد أسرة تانج،أن أول من دعا إلى الإسلام في بلادهم أحد أخوال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وكانوا يعظمون قبره المشهور في خانفوا (كانتون)، ثم يكمل مما لاشك فيه لا يوجد لهذه الاسطورة أي سند تاريخي. ويظهر أنها بنيت في زمن متأخر؛ نتيجة رغبة المسلمين أن يربطوا تأريخ الدين في بلادهم ما أمكنهم بعصر النبوة. أما المسجد فقد تم بناء منارته في زمن أسرة تانغ بارتفاع عشرات الأمتار، وقد أعيد ترميم هذا المسجد مرات عديدة. ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، ط٤، (دار المعارف، القاهرة ،بلات)، ص٦٦٦-٦٦٧؛ لي هواين، محمود يوسف، **المساجد في الصين**، (دار النشر باللغات الأحنبية- جمهورية الصين الشعبية، بكين،١٩٨٩م)، ص١٣-١٦؛ هويدي، **الاسلام في الصين**، ص٣٣-٣٤؛ آرنولد، الدعوة إلى الاسلام، ص٣٣٣.

(١) **سعد بن أبي وقاص:** وهو مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرّة، أبو إسحاق الزُهري. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد السابقين الأولين، يلقب بفارس الاسلام، وهو أول من رمى بسهمٍ في الاسلام. أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة، كان قصيرًا غليظًا ذو هامة، جعد الشعر، أشعر الجسد، توفي في المدينة المنورة عام (٥٥هـ/٦٧٤م). الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط٢، تح: عمر عبد السلام التدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج٤، ص٢١٢.

الـــــعالم[١]. ومن الجدير بالذكر أن الدكتور لم يشر إلى المصدر الذي اعتمد عليه بحصوله على تلك المعلومة[٢]!

خلاصة القول يمكننا أن نؤكد أن سليمان التاجر رحالة مسلم عاش فترة من عمره في العراق، ثم انتقل إلى سيراف بناءًا على عمله بالتجارة وليس لدينا معلومات أخرى عن حياته سوى ما ذكرناه. ولكن يمكننا أن نستنتج أنه عاش بعد سنة ٢٣٧هـ بستة عشر سنة استنادًا على ما رواه هو في سياق حديثه عند وصفهِ أحد عباد الهند في رواية ذكرها " ببلاد الهند من ينسب إلى السياحة في الغياض والجبال، وقلَّ ما يعاشر الناس ويأكل أحيانًا الحشيش وثمر الغياض، ويجعل في أحليله حلقة حديد؛ لئلا يأتي النساء، ومنهم العريان، ومنهم من ينصب نفسه للشمس مستقبلًا عريانًا، إلا أن عليه شيئًا من جلود النمور، فقد رأيت رجلًا منهم كما وصفت، ثم انصرفت وعدت بعد ست عشر سنة فرأيته على تلك الحال، فتعجبت كيف لم تسل عينه من حر الشمس"[٣].

---

(١) الشبكة المعلوماتية الألكترونية (الأنترنيت)، http://www.torathona.org مجلة تراثنا، الشيباني، التاجر سليمان البحري ورحلة أول مسلم إلى الصين، اقتبس هذا النص بتاريخ ٢٣/ كانون الأول/٢٠٢١م.

(٢) حاولنا بدورنا التواصل مع الدكتور الشيباني؛ للوصول إلى نتيجة يمكننا من خلالها الجزم في هذا الأمر، لاسيما من خلال التواصل الألكتروني معه (تويتر)، أو من خلال رابط مجلة موقع تراثنا، وكان رده كالآتي: " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، نشكر الأخت الكريمة على تفاعلها مع ما ينشر موقع تراثنا ... ونفيدك بأن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص لم يسبق له الوصول إلى الصين، وتوفي – رضوان الله عليه– في خلافة معاوية بن أبي سفيان في العام الخامس والخمسين للهجرة ودفن في البقيع، ويبدو أن تسمية مسجد كانتون باسم (وقاص)؛ يعود إلى أن بنائه على أيدي جالياتٍ مسلمة استقرت هناك، وربما تيمنًا بإسم الصحابي الجليل، وللعلم قبل نهاية القرن الأول الهجري كانت غزوات الاسلام اقتربت من حدود الصين الغربية على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي، ولم تتوغل داخل الصين؛ ولكن بحكم الجوار والتجارة انتقل الاسلام إليها، كما كانت هناك بعوث للخلفاء أولها في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وما تلاه من الخلفاء إلى الصين، ويمكن العثور على تفاصيل موسوعة بالبحث عن المسلمين في الصين، أو الغزوات الاسلامية في ويكبيديا وغيرها ... ودمتم بحفظ الله". كان الرد بتاريخ ٢٣– كانون الأول– ٢٠٢١م.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧.

بتركنا الجدل حول رواية سليمان التاجر كان صحيحًا أم دخل فيه شيء من المبالغة، لكن يؤكد أن الرجل عاش بعد سنة ٢٣٧هـ بستة عشر سنة.

ب- التشكيك في صحة نسب الرحلة لسليمان التاجر:

يذكر المستشرق كراتشكوفسكي بعدم وجود ترجمة كافية لإسم سليمان التاجر وحياته في الكتب والمخطوطات، فقد شكك بعض كبار العلماء في نسبة القصص إليه، ومن الملاحظ أنه لا ترد فيها اشارة إلى سليمان في الرحلة إلا مرة واحدة فقط[(١)]، إذجاء في رحلة السيرافي " ذكر سليمان التاجر أن في (خانفوا) وهو مجتمع التجار رجلًا مُسلمًا يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين"[(٢)]، إذ يذكر لنا هنا سليمان التاجر يصيغة الضمير الغائب وليس بصيغة المتحدث. وفي سنة ١٩٤٨م نشر **سوفاجية**[(٣)] ترجمة فرنسية للجزء الأول فقط من الكتاب ومع الأسف لم تقع هذه النسخة بين أيدينا، ولكن يشير لها **يوسف الشاروني**[(٤)]، ويوضح تشكيك سوفاجيه

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤١؛ قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص٩٩.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤.

(٣) **سوفاجيه:** مستشرق فرنسي ولد سنة (١٩٠١م) في نيور من أعمال دوسيفر، وتخرج من مدرسة اللغات الشرقية وهو يتحدث اللغة العربية والفارسية، وتخرج من كلية الآداب في جامعة باريس ليسانس اللغة العربية فالدكتوراه (١٩٤١م)، وأخيرًا مديرًا في مدرسة الدراسات العليا منذ سنة (١٩٢٧م)، وأستاذًا بالإنابة في مدرسة اللغات الشرقية. توفي سنة (١٩٥٠م). العقيقي، المستشرقون، ج١، ص٢٦٦؛صادر، كارين، **جان سوفاجيه المستشرق الفرنسي الذي عاش حلم حلب (١٩٠١-١٩٥٠م)**، بحث منشور في مجلة المعرفة، العدد ٥٠٨، ٢٤ ذي الحجة، ١٤٢٦هـ- كانون الثاني ٢٠٠٦م، ص٣٠٠

(٤) **يوسف الشاروني:** كاتب قصة وناقد أدبي ومن مؤرخي القصة القصيرة، ولد في (١٤- أكتوبر- ١٩٢٤م) في مدينة الشارونة من أعمال محافظة المنيا في صعيد مصر. تخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة عام (١٩٤٥م). أصبح عضو لجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة ولجنة الأدب بمكتبة الإسكندرية. كان عضوًا في هيئة تحرير مجلة بالقاهرة، وأستاذًا غير متفرغ للنقد الأدبي في كلية الاعلام بجامعة القاهرة من عام (١٩٨٠-١٩٨٢م)، وله العديد من المؤلفات والكتب القيمة. توفي في عام (٢٠١٧م)، وهو ابن إثنان وتسعين عامًا. أحمد، إيهاب السيد، **مجلة عين الإخبارية (ثقافة منارات)- مجلــــــــــة الكترونية**، نشر في يوم (الجمعة ١٢-١-٢٠١٧م)=

في نسبة الجزء الأول من الكتاب إلى سليمان التاجر؛ ويرجع ذلك لعدة أدلة استند عليها، وهي:

أولًا: إن اسم سليمان التاجر يأتي في سياق النص بالاشارة إليه بضمير الغائب "وذكر سليمان التاجر ..." [(١)]، ثم بعد عدة صفحات تحدث فيها بضمير المتكلم.

ثانيًا: وهو أن أبو زيد حسن السيرافي دوّن الجزء الثاني من الكتاب لم يذكر لنا اسم مؤلف الجزء الأول الذي قام هو بإكماله.

ثالثًا: إن المسعودي حينما أشار إلى أخبار الهند والصين، فإنه لم يذكر اسم سليمان التاجر، كما أشار إلى عنوان الكتاب لكل من المروزي (ت٢٩٤هـ/٩٠٦م)، والبيروني (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) دون الاشارة إلى اسم المؤلف[(٢)]. ويمكننا الرد على تلك الشكوك.

الواقع إن استخدام اسلوب الغائب كان متعارفًا عليه في مؤلفات ذلك الزمن ونجد ذلك في "مروج الذهب" للمسعودي الذي يستخدم ضميرين معًا ضمير المتكلم حينًا و ضمير الغائب حينًا آخر إذ يقول: " قال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: فهؤلاء ملوك الحيرة إلى أن ظهر الاسلام"[(٣)].

أما التشكيك **الثاني**، فيمكننا الرد بأن أبو زيد إنْ لم يذكر اسم سليمان التاجر فإنه في المقابل لم يذكر أيضًا اسم مؤلف آخر... أما التشكيك **الثالث** فيجيب عليه فيرن الذي لفت الأنظار إلى أن بن الفقيه (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، ينسب القصص بصراحة إلى سليمان التاجر[(٤)].

=؛ http://al-ain.com، اقتبس هذا النص بتاريخ ٢٣/كانون الأول/٢٠٢١م؛ السيرافي، **أخبار الصين والهند**، تح: يوسف الشاروني، ص١٦٨.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤.

(٢) السيرافيين، أخبار الصين والهند، تح: يوسف الشاروني، ص٦٠؛ المجيدل، الهند في أدب الرحالة العرب، ص٧٦.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٢١٠.

(٤) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص١١؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤١؛ قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص٩٩؛ السيرافيين، أخبار الصين والهند، مقدمة تحقيق يوسف الشاروني، ص١٠.

ولهذا فإن مسالة تأليفه للكتاب لا يحوم حوله أدنى شك حتى بعد مرور خمسين عامًا من وفاته[١]. ولو أمعنا النظر في ما ذكره بن الفقيه، فنجده يذكر مقتطفات عديدة عن رحلة سليمان التاجر، ولكن لم يرد ذكر اسمه إلا مرة واحدة منها: " وذكر سليمان التاجر أن أكثر السفُن الصينية تحمل من البصرة وعُمان وتعبأ لسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه ..." [٢]. ومن زاوية أخرى نجد أن نص هذه الرواية وغيرها من الروايات الواردة في كتاب السيرافي تركت أثرًا في العديد من كتب بلفظة ومعناه في بعض الأحيان، وربما لا يكون بلفظه ومعناه في البعض الآخر[٣].

ت- زمن الرحلة:

قال أبو زيد حسن السيرافي[٤]: " نظرت في الكتاب الأول فوجدت أن تاريخ الكتاب في سنة سبع وثلاثين ومائتين، لذى يعتبر سليمان هذا من الرحالة القدامى الذين زاروا بلاد الهند والصين في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ النصف الأول من القرن التاسع الميلادي.

كانت أمور البحر في ذلك الوقت مستقيمة؛ لكثرة اختلاف التجار إليها من العراق، ولعل من المهم الإشارة إلى أن سليمان هذا لم يفعل كما تعود التجار أن يفعلوا بأن يقصوا قصصهم ومشاهداتهم على ذويهم؛ ولكنه دوّن رحلته في مذكراتٍ ترجع تحديدًا إلى حوالي (٢٣٧هـ/٨٥١م) [٥]. وفي نفس الصدد لابد من ذكر أن

---

(١) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص١١؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤١؛ شوقي، أدب الرحلة في التراث العربي، ص٩٩.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٠-١٠٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٤؛ فوزي، حديث السندباد القديم، ص٢٢؛ زيادة، الجغرافية والرحلات عن العرب المسلمون، ص١٥٠.

(٤) رحلة السيرافي، ص٥٣؛ ضيف، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص١٩؛ بروكلمان، تأريخ الأدب العربي، ص٢٣٨؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٢٤.

(٥) قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي، ص٩٨.

العرب والفرس لم يتركوا آثارًا مكتوبة دونوا فيها رحلاتهم في البحر الشرقي الكبير على الرغم من معرفتهم لسواحل هذا البحر منذ عهود بعيدة؛ ولكن انتهت الحقبة الطويلة من الصمت فجأة وبعجالة وكتبها صاحبها وأملاها في منتصف القرن الثالث الهجري، وأصبحت من أهم الآثار العربية في الرحلات البحرية إلى المحيط الهندي، ألا وهي رحلة سليمان التاجر[١].

ث- مخطوطة الرحلة:

مخطوطة أو (مذكرات) سليمان التاجر، وصلتنا نسخة فريدة محفوظة في إحدى مكتبات باريس الخاصة، والمخطوط الأصلي هذا اشترته لحسابها من حلب مكتبة كولبير سنة ١٦٧٣م، ثم انتقل إلى مكتبة الكونت دي سينييلاي، وبعد ذلك إلى المكتبة الملكية التي أصبحت المكتبة الوطنية في باريس بفرنسا، ووجدت تحت رقم (٢٢٨١)[٢].

عثر عليه الأب رينودو[٣] سنة ١٧١٨م. وهي مجموعة تقع في (٥٤) ورقة، كل ورقة مكتوبة بجزءان مكونان من (أ) و (ب) باستثناء الورقة الأولى[٤]، وتحتوي المجموعة على مصنفان، المصنف الأول لسليمان التاجر وهو بدون عنوان ويتحدث فيه عن أخبار الرحلات البحرية إلى مدينتي البصرة وسيراف في الخليج العربي الى الهند والصين[٥].

---

(١) فوزي، حديث السندباد القديم، ص٢١-٢٢.

(٢) السيرافيين، أخبار الصين والهند، مقدمة تحقيق يوسف الشاروني، ص٩.

(٣) **الأب رينودو**: راهبٌ درس اللغات الشرقية في باريس فاتقن منها: العربية، والسريانية، والقبطية، والحبشية، وانتخب عضواً في المجمع اللغوي الفرنسي، وفي مجمع الكتابات والأدب، وكانت له مناظرات مع أشهر أهل زمانه علمًا وأدبا: كبوسييه وغيره. ومن آثاره خص أكثر استشراقه بالدين ... ورحلة السائح سليمان بتذييل الحسن السيرافي ومتنًا وترجمة (باريس-١٨١٧م). العقيقي، المشرقون، ج٣، ص١٧٤.

(٤) فوزي، حديث السندباد القديم، ص٢١-٢٢.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، مقدمة تحقيق عبد الله الحبشي، ص٨.

وعدد ورقات الكتاب ثلاثة وعشرون ورقة ويعود تاريخ تأليف الكتاب إلى سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م). اما تاريخ النسخ فترجع إلى سنة (١٠١١هـ/١٦٠٢م) لا يظهر من اسم الناسخ سوى الاسم الأول (محمد) [١].

وتمتاز بخط واضح، ويبلغ عدد الأسطر في كل ورقة أربعة عشر سطرًا، في كل سطر ثمان كلمات تقريبًا[٢]. أما المصنف الثاني فهو بعنوان: " من أخبار الصين والهند" تأليف أبو زيد حسن السيرافي. ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن الأب رياندو عندما عثر على المخطوط سنة ١٧١٨م، نشر ترجمته بعنوان: " أخبار قديمة عن الهند والصين أوردها إثنان من الرحالة المسلمون سافرا إلى الهند في القرن التاسع الميلادي"[٣]. ولابد من الاشارة إلى أن علماء أوربا أنكروا صحته، وحملوا على المترجم ورموه بارتكاب جرم علمي، وقالوا: " أن رياندو وهو مخترع لهذه الأقوال عن علاقة العرب بالهند والصين؛ لأن رياندو نسى أن يذكر في ترجمة النسخة الأصلية التي نقل فيها إلى اللغة الفرنسية"[٤]، لكن الزمن منصف ولا يظلم من صنع صنيعًا للعلم، فكشف للناس بعد مئات من السنين إن المترجم كان بريئًا من تلك التهمة، فإن النسخة الأصلية التي نقل عنها المترجم كانت محفوظة في خزانة (دي سينيلاي) [٥].

ثم جاء **المستشرق رينو**[٦] فنشر الأصل العربي والترجمة للأب رياندو في سنة (١٨٤٥م)، وأظهر الخطأ الذي وقع فيه الأب في مصنفه المخطوط بأنه أخبار اثنين من الرحالة المسلمين، إذ لم يكن هناك سوى رحال واحد، وهو تاجر اسمه سليمان ألفَّ شطرًا من المخطوط. أما صاحب الشطر الثاني واسمه أبو زيد الحسن السيرافي،

---

(١) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، ص٢٤، وللمزيد ينظر الملحق رقم (٧).

(٢) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، ص٢٥، وللمزيد ينظر إلى الملحق رقم (٨).

(٣) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، ص٢٥-٢٦.

(٤) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٤٨-٤٩.

(٥) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٤٨-٤٩.

(٦) **المستشرق رينو**: وهو جوزيف توسن، ولد سنة (١٧٩٥م) في لاجسك، وتوفي في باريس، وقد كان عُين أمينًا على المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس، ومن تلاميذ دي سلسي. كان رينو أستاذًا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية، ثم رئيسًا لها، فتخرج على يده كثيرون، ومن آثاره: سلسلة التواريخ لسليمان التاجر. توفي سنة (١٨٦٧م). العقيقي، المستشرقون، ج١، ص١٨٩.

فكان هاويًا وجغرافيًا يتسقط المعلومات عن الهند والصين من ألسنة التجار والبحريين بسيراف، وهو لا يدعي لنفسه السفر إلى تلك البلاد، بل هو معترف وبصراحة بأنه جمع بعض المعارف وبوبها وضم فصولها إلى مذكرات التاجر سليمان(١).

وفي سنة (١٩٢١-١٩٢٢م) نشر جابرييل فيرن ترجمة جديدة للكتاب مع مقدمة طويلة مستعينًا بـ "مروج الذهب للمسعودي" بفقرات يسد بها ما نقص في كتاب السيرافي. وفي سنة ١٩٤٨م نشر سوفاجيه ترجمة فرنسية للجزء الأول فقط من الكتاب(٢).

وانطلاقًا مما سلف يتبين لنا أن الرحلة يغلب عليها الإيجاز؛ لكنها تفيض بالمعلومات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية القيمة، وأن مؤلفها يتمتع بدقة الملاحظة وحنكة جغرافية وملاحية جيدة نلمسها في قدرته على تمييز البحار وبيان امتدادها واتصالها ببعضها البعض(٣)، ولم يقتصر سليمان في ذكر المراحل وتقدير المسافات بالفراسخ وأحيانًا بالأيام، وذكر الجزر والموانئ المختلفة والمدن والمحاصيل ويكفية من فخر أن قال عنه كرتشكوفسكي(٤) " في وصفه للطرق، فهو بدقة الخرائط الحديثة".

---

(١) السيرافيين، أخبار الصين والهند، مقدمة تحقيق يوسف الشاروني، ص٩.

(٢) فوزي، حديث السندباد القديم، ص٢٣؛ قنديل أدب الرحلة في التراث العربي، ص٩٩.

(٣) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، تح: سيف شاهين، ص٤٤؛ الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والاسلامية، ص١١٣.

(٤) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص١٤١.

ثالثاً:

1. **ابن وهب القريشي**:

يعرف بن وهب من ولد هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، قرشي النسب من بطون بني أسد(1). أسلم جده يوم الفتح وحسُن اسلامه، وتوفي سنة (١٣هـ/٦٣٤م) (2). وعليه كان الرجل ذا قرابة برسول الله (ﷺ)، وعاش ابن وهب في مدينة البصرة(3)، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أية تفاصيل أخرى عن ولادته أو وفاته غير إنه كان "من أرباب البصيرة وأرباب النعم"(4)، ومن الأعيان والأثرياء و ذو جاه في مدينة البصرة. وتاجر معروف ذو تجارة رائجة يبتاع منتجات الهند والصين إلى الموانئ القريبة وخاصة سيراف، وبيعها في الأسواق لأهل العراق والجزيرة(5).

ومن المرجح أن يكون قد ولد في الربع الأول من القرن الثالث للهجرة، فقد ذكرت المصادر التاريخية أنه قام برحلته إلى الصين سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م) وليس من المعقول أن يكون قد أقدم على رحلة خطرة إلى الصين وهو في سن تقل عن

---

(1) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١؛ النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، **تهذيب الأسماء واللغات**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، بلات)، ج٢، ص١٧٤؛ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٩م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، (المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ج٢، ص٢١٨.

(2) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، ص١٧٤؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص٢١٨.

(3) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١؛ قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص١٠٩.

(4) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١؛ حوالة، يوسف بن أحمد، **رحلة ابن وهب القريشي إلى بلاد الصين**، دار المنظومة، المجلد ٨، العدد ٤٦، ١٩٩١م، ص٢٩-٣٥.

(5) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١؛ ضيف، أدب الرحلة في التراث العربي، ص١٠٩؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢؛ أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤١.

الخامسة والعشرين من عمره[١]، ووصل إلى الهند والصين وقابل إمبراطور الصين وأغدق عليه الأخير الكثير من الهدايا، ومنحه امتيازًا استطاع بمقتضاه أن يذهب إلى خانفوا (كانتون) ممتطيًا بغل البريد[٢].

٢. سبب الرحلة:

تناولت المصادر سبب رحلة ابن وهب القريشي، إلى بلاد الهند والصين، بعد أن استقر رأيه على القيام برحلة طويلة[٣]، ثم ركب فيها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل يتحول من مركب إلى مركب ومن بلدٍ إلى بلد، يخترق مسالك الهند، إلى أن انتهى إلى بلد الصين ووصل إلى حمدان (**خمدان**) [٤]

وروى بن وهب تلك الرواية بلسانه عند التقائه بأبي زيد حسن السيرافي في البصرة جاء فيها[٥]: " وقد كان بالبصرة رجلٌ من قريش يُعرف بابن وهب من ولد هبار بن الأسود، خرج منها عند خرابها[٦] (أي البصرة)، فوقع إلى سيراف، وكان

(١) أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤٢.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١؛ هويدي، الاسلام في الصين، ص٤٢؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٤٦-٤٧.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧-٨؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢.

(٤) **خمدان:** أو حمدان، وهي من مدن الصين وكانت عاصمة الملك، فذكر أنها مدينة واسعة مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع طويل عريض، فالملك ووزيره وجنوده في الشق الأيمن، والرعية والتجار والأسواق في الشق الأيسر. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٤.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠-٦١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٤٢؛ الريامي، مشاهير الرحالة العرب، ص١٥.

(٦) **خراب البصرة:** وقعت على إثر حركة الزنج، وهي من الحركات المناهضة ضد الدولة العربية المتمثلة بالدولة العباسية، ودارت أحداثها خلال الفترة (٢٥٥-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م)، وكانت هذه الحركة بقيادة علي بن محمد من أهل خُراسان إدعى أنه من نسل زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقد إدعى أنه مكلف من العناية الألهية بإنقاذ الفقراء ولا سيما العبيد، لذى جمع الزنوج المجلوبين من السواحل الشرقية لأفريقيا؛ لفلاحة وإستصلاح الأراضي بمدينة البصرة، وكان هؤلاء العبيد يعملون ضمن مجاميع كبيرة، وانتشرت دعوة علي بن محمد بين هؤلاء وازدادت شوكتهم، وبنوا لهم مدينة قرب البصرة سموها بـ (المختارة). بدأت هذه الحركة في=

فيها مركب يريد بلاد الصين، فنزعت به همته بالمقدار الجاري على أن ركب في ذاك المركب إلى بلاد الصين، ثم نزعت به همته إلى قصد ملكها الكبير(١)، فسار إلى خمدان في مقدار شهرين من المدينة المعروفة بخانفوا، وأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب، فأمر الملك بعد هذه المدة بأنزاله في بعض المساكن وإزاحة علته فيما يحتاج إليه، وكتب الملك إلى الوالي المستخلف المقيم بخانفوا يأمره بالبحث ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب (ﷺ)، فكتب صاحب خانفوا بصحة نسبه، فأذن له ووصله بمالٍ واسع عاد به إلى العراق ..." (٢). وهذه الرواية تؤكد وصول ابن وهب القريشي إلى الصين ومقابلة الإمبراطور في تلك العصور المزدهرة من تاريخ الصين.

٣. **زمن تدوين الرحلة**:

في مستهل الحديث لابد لنا من ذكر ما ورد عند أبو زيد السيرافي والمسعودي أذ أن ابن وهب غادر البصرة بعد ثورة الزنج التي وقعت أحداثها سنة

=زمن الخليفة المهدي العباسي (٢٥٥هـ/٨٦٨م)، وانتهت في زمن الخليفة المعتمد سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م)، وانتهت الحركة على يد الموفق طلحة أخو الخليفة المعتمد العباسي، وقتل الداعي بعد أن أزهقت أرواح عشرات الألوف من النفوس وخراب البلاد، وكانت لهذه الثورة تأثيرًا كبيرًا على النشاط التجاري في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٦٥٤-٦٦١؛ ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، تح: أبو حبيب الكرمي، (بيت الأفكار الدولية، مكة المكرمة- بلات)، ج٦، ص٤٢٠؛ قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص١٠٩.

(١) يعد عصر أُسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م)، في تاريخ الصين من أزهى العصور التي شهدت تطورًا وازدهارًا، وتبوءت هذه الأسرة مكانة مرموقة ومتقدمة في العالم آنذاك، وشهد تاريخ الصين في هذه العصور بسياسة تنوير في جميع المجالات. ينظر: تشن، لمحة عن الثقافة في الصين، ص٨٧-٨٨.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠-٦١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١؛ زيادة ،الجغرافية والرحلات عند العرب، ص١٤٨-١٤٩.

(٢٥٧هـ/٨٧١م) [١]، وكان ذلك قبل تمرد الصين سنة٢٦٤هـ/٨٧٧م (ثورة بابشو)، التي ورد ذكرها في سياق الحديث مسبقًا.

وكان ابن وهب مجرد راوٍ لأبي زيد السيرافي لقصة مقابلته لملك الصين، وكان الفرق بين تأليف الجزء الأول من الكتاب وثورة الزنج عشرون عامًا[٢]. أما زمن تدوين هذه الرحلة بقلم أبو زيد السيرافي حدده د. حسن فوزي[٣] بعد ستين عامًا (زمن رحلة سليمان التاجر)، وهو الأقرب إلى الصحة في رأينا، ويمكننا أن نحدد تقريبًا سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) أي دوّن بعد ثورة بابشو، وهذا ما يؤكد لنا صحة تحقيق د. حسين فوزي.

٤. أهمية الرحلة:

أ- يعد بن وهب القريشي من الرحالة الأوائل في العصر الاسلامي الذين جابوا بلاد الهند والصين وكشفوا مسالك الطريقين البري والبحري، ولكنه لم يدون رحلته تلك أو لعله دونها وفقدت، ثم جمعها من أتى بعدهم من الرحالة أو الجغرافيين في مؤلفاتهم، أو اقتبسوا مقتطفاتٍ منها[٤].

ب- تعد رحلة بن وهب ذا الأهمية الكبيرة؛وذلك لوصفهُ مدينة خمدان (سينانغو) عاصمة الملك، وهي عاصمة الصين في تلك الفترة، إذ وصفها فذكر سعتها، وكثرة أهلها، وأنها مقسمة على قسمين يفصل بينهما شارعٌ عظيم طويل عريض، فالملك ووزيره قاضي القضاة وجنوده وخصيانه، ... في الشق الأيمن، وليس فيه شيء من الأسواق، وبها منازل فسيحة. اما في الشق الأيسر مما يلي المغرب

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠-٦١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٣٣.

(٣) السيرافيين، أخبار الصين والهند، مقدمة تحقيق يوسف الشاروني، ص١٥؛ فوزي، حديث السندباد القديم، ص٢٣.

(٤) أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٤٠.

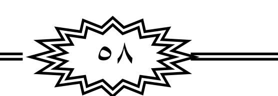
الرعية والتجار و**الميرة**[1] والأسواق[2]، لذى نجد أن ابن وهب من الرحالة الأوائل الذي وصف لنا مدينة (خمدان)، والتفاصيل الدقيقة عن هذه المدينة.

ت- إن لوصف ابن وهب لمدينة خمدان ورحلته أهمية خاصة؛ إذ بعد وقت قصير منها اشتعلت حرب أهلية في الصين بين عامي (٢٦١-٢٧٦هـ/٨٧٤-٨٨٩م)، وفي مداخلات تلك الأزمة ثم القضاء على التجمعات العربية هناك، وقطعت الصلات المباشرة بين الصين من جهة والدولة العباسية من جهة أخرى[3]، لمدة من الزمن.

(١) **الميرة:** ما يجمعه أو يدخره الإنسان من طعام ومؤونة. ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، (إتحاد الكُتّاب العرب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج٢، ص٩٣٥.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١؛ عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١٠-١١.

(٣)عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١٠-١١.للمزيد من التفاصيل عن هذه الأزمة، ينظر: إلى الفصل الثاني من هذهِ الدراسة،ص١٤٩-١٣٥.



المبحث الثاني
نبذة جغرافية عامة عن بلاد الهند وفقاً لما أورده السيرافي في رحلتهُ

في مستهل الحديث لابد من الاشارة إلى أن السيرافي لم يتناول أصل تسمية بلاد الهند، وعليه وجدنا من الضرورة توضيح ذلك:

١- التسمية:

جاء أصل تسمية الهند عند الجغرافيين واللغويين العرب، ومنهم من ذكر أنهُ عندما ضاقت الأرض بولد نوح ﴿الَيْكِلا﴾، قسّم الأرض بين ولده، فجعل لسام وسط الأرض، ولحام وما حوله واليمن ... إلى عُمان، كما أضاف من أولاد نوح حام، ومن أولاد حام نوار (بوان) من أهل الهند والسند[١].

كما إتفق العديد من المؤرخين على إن تسمية بلاد الهند تعود إلى كلٍ من "السند والهند"، وإن سام سكن وسط الأرض في بلاد الحرم إلى حضرموت إلى عُمان إلى عالج من ولده إرم بن سام، وعليه فإن حام هو الجد الأعلى للهنود[٢].

ويروي بن الأثير[٣] (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) عن لسان هشام بن سائب الكلبي: أن السندُ والهندُ من بني توقير (توقين) بن يقطن (يقطين) بن غابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وجدهم من ولد يقطن بن غابر. ومما لايدع مجال للشك ما تم ذكره، إذ يستشهد لنا بن الأثير بأية قرآنية كريمة في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِين ﴾[٤]؛ لأن الخلق كلهم أُهلكوا إلا من كان مع سيدنا نوح معه في السفينة

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٤٤-٤١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٢٠٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٣٣؛البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، (دار الكتب العلمية- لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٤١-٤٣.

(٣) الكامل في التاريخ، ج١، ص٣١؛ ابن الجوزي، الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ المُلوك والأُمم**، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، (دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص٢٤٧-٢٥٠؛ الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، ص٨.

(٤) سورة الصافات، الآية: ﴿٧٧﴾.

وكانوا من ذريتهُ[١]، وهم: سام، وحام، ويافث. كما ذكر إن سام بن نوح أبو العرب، وفارس، والروم، وإن حامًا أبو السودان، وإن يافث أبو التُرك **ويأجوج ومأجوج**[٢].

وفي نفس الصدد لابد من ذكر ما نقله أبو زيد السيرافي عن لسان بن وهب القرشي وما وقع له مع ملك الصين، إذ أمر الملك التُرجمان الذي بين يديه، وأخرج الأخير دُرجًا فيه صورًا للأنبياء[٣]، فقال: " ... من أين عرفتهم؟ فقلت: مما صوّر من أمرهم، هذا نوح في السفينة ينجو بمن معه لما أمر الله جلّ ذكره الماء فعمر الأرض كلها ممن فيها وسلمهُ ومن معه، فضحك، وقال: أما نوح فقد صدقت في تسميته، وأما غرق الأرض كلها فلا نعرفه، وإنما أخذ الطوفان قطعة من الأرض ولم يصل إلى أرضنا ولا أرض الهند"[٤]. وانطلاقًا مما سبق نستنتج أن أهل الصين إما يُنكرون وصول الطوفان إلى أرضهم، أو عدم معرفتهم الكاملة بقصص الأُمم الغابرة.

كما ذكرت تسمية الهند عن الجغرافيين واللغويين العرب أن الكلمة تنطق بكسر الهاء، وسُكون النون، ودالٌ مُهملة ...، ويحيط بالهند من جهة الغرب بحر فارس، وتمام حدودهُ السند، ومن جهة الجنوب البحر الهندي[٥]، ومن جهة الشرق المفاوز الفاصلة بين الهند والصين[٦].

---

(١) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١، ص٩١١.

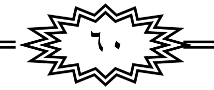
(٢) **يأجوج ومأجوج:** قيل ابن يافث بن نوح (عليه السلام) وهما قبيلتان من خلق. وهما اسمان أعجميان واشتقاق مثلهما من كلام العرب، ومساكنهم في شرقي الأرض من جهة الترك، وكانت منازل الصقالبة، ويأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض يفترسون الدواب والوحوش ويأكلونها. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٤١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٩٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٠؛ ابن إياس، الشيخ محمد بن أحمد(٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، (مط مصطفى البابي ، مصر ، بلات)، ص١٥٣.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٢.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٢.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٢.

(٦) أبي الفداء، تقويم البلدان، ص٣٥٢؛ القلقشندي، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القاضي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (مط الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م)، ج٥، ص٦٧.



أما كتب المراجع فتذكر أن الهند استمدت تسميتها نسبة للإله (أندرا) إله الهند القديم[(١)]. قيل إن الهند استمدت اسمها من نهر السند، وأن اسم الهند مشتق من اسم نهر هندوس، وقد كان في الأصل يطلق على بلاد السند وجزءٌ من البنجاب، وفي وادي هندوس ونشأت أمارات الحضارة الهندية القديمة. أما "هندو" بالفارسية، فهو اسم لنهر. أما هندوستان، فمعناها "بلد النهر"[(٢)].

وتماشيًا مع ما تم ذكره ثبت لنا أن أصل سكان الهند يرجع إلى أولاد نوح (عليه السلام)، ومن ذريته سام وحام.

٢- موقع وحدود الهند:

بادئ الحديث حريًا بنا التطرق لموضوع مهم ألا وهو إن الجغرافيون المسلمون قسّموا الربع المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم، وتقع الهند حسب التقسيم الجغرافي لها من الناحية النظرية بين الاقليم الأول والثالث[(٣)].

وفي هذا الاطار وصف الرحالة العرب الذين زاروا بلاد الهند، بأنها بلاد واسعة، فهي أوسع من بلاد الصين، وهي أضعافها وعدد ملوكها أكثر [(٤)]. ومن زاوية أخرى يلاحظ أن العلماء الأوائل جعلوا لكل إقليم مركزًا سمي به، فالأقليم الأول مركزه الهند، والثـــــــــــاني مركزه **الحجاز**[(٥)].

---

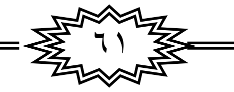
(١) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، ص٣؛ لوبون، غوستاف، **حضارات الهند**، ترجمة: عادل زعيتر، (دار العلم العربي ، ٢٠٠٩م)، ص٣٥.

(٢) عبد الله، حسين، **المسألة الهندية**، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- جمهورية مصر العربية، القاهرة، ٢٠١٢م)، ص١٩؛ خلاف، محمود مرعي، **التاريخ السياسي والإداري للمسلمين في الهند (٦٠٢-٨١٦هـ/١٢٠٦-١٤١٤م)**، (الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة- جمهورية مصرالعربية)، ص١٧-١٨.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٧٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١، ص١٣.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٥.

(٥) **الحجاز**: سُمي الحجاز حجازًا؛ لأنه فصل بين الغور والشام وبين البادية، وقيل: سمي حجازًا؛ لأنه حجز بين تُهامة ونَجْد، وقيل؛ لأنه حجز بين الغور والشام وبين السَراة ونجد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢١٨.



وقيل: بين مسقط وبين **كـــــولـــم ملي**(١) وبين **هركند**(٢) نحو مدة شهر، وتعد مدينة كولم ملي هي البلاد الهندية الأولى التي ترحب بالتجار والرحالين من جهة الشرق(٣). وذكر في بعض المصادر، أن **مـــــــهران**(٤) هي أول أرض الهند، وهـي مسيرة أربع أيــام(٥). وعليه إن حُدود الهند من الشـــرق يحيط بها بلاد الصين و**التـــــــبت**(٦).

---

(١) **كولم ملي:** أو كولم مدينة عظيمة بأرض الهند وهي من مدن مليبار الساحلية وبها مرفأ عظيم، قال مسعد بن مهلهل: دخلت كولم وما رأيت بها بيت عبادة ولا صنمًا وأهلها يختارون ملكًا من الصين إذا مات ملكهم، وليس للهند طيبٌ إلا في هذه المدينة. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ أبي دلف، الرسالة الأولى، ص٦٦؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٩٥.

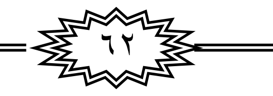
(٢) **هركند:** وهو الجزء البحري يأتي بعد بحر الصين وبحر كدرنج، وبينه وبين بحر دلاروى جزر كثيرة، يقال إنها ألف وتسعمائة جزيرة، ومما فرق ما بين هذين البحرين دلاروى وهركند، وهذا البحر يكون بين بلاد الهند وبلاد الصين، وآخر جزر هذا البحر هي جزيرة سرنديب، وهي آخر جزر الهند مما يلي المشرق، وهو بحر كثير العجائب، بها الحيتان الملونة. السيرافي، رحلة السرافي، ص١٧؛ الإدريسي، نُزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ج١، ص١٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢١٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢١٣.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٤) **مهران:** مدينة من مدن بلاد فارس، وهو موضع لنهر السند، يصب هذا النهر في بحر فارس، وهو نهر عظيم بقدر دجلة، تجري فيه السفن ويسقي بلادًا كثيرة، ويصب في البحر عند الديبل، ويأخذ من هذا النهر خليج بين الديبل والمنصورة على يسار نهر مهران، على ساحل البحر مدينة جيمور، وهناك مدينة تحمل الاسم نفسه وسميت بنهر مهران على اسم المدينة، وأهل هذه الأرض بادية أصحاب إبل. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٧٤-٢٧٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٣.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٢؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص٩٦.

(٦) **التبت:** بلاد بين الصين والهند، الشرق منها قسم من الصين، وجنوبها الهند، ومغربها بعض حدود ما وراء النهر، وشمالها بعض من بلاد التغزغز. ينبع منها نهر جيحون، كما تشتهر بغرابة أنهارها ونباتاتها وحيواناتها، ويسمى ملكهم "خاقان". الغالب على أهلها الفرح واالسُرور. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٠-١١؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٧٩.



وإلى جنوبها **البحر الأعظم**(١)، وغربها نهر مهران، وشمالها بلاد التبت، وهي بلاد وفيرة الخيرات عامرة، ذات ممالك كثيرة، وفيها مُدنٌ كثيرة(٢).

وقد أشار بعض الجغرافيون إلى موقع بلاد الهند، فتقع في الربع الجنوبي من الأرض، ممتدة الرجاء متقاذفة الأطراف إلى منتهى العمارة حيث الحرث والنسل وينعدم كون وجود الحيوان(٣).

كما يحيط بهذه البلاد الواسعة مياه البحر من اغلب جهاتها الشرقية، والغربية، والجنوبية(٤).

أما مسافة بلاد الهند في الطول ثلاثة أشهر، وفي العرض شهرين، وهي أكثر البلاد جبالاً وأنهاراً(٥).

وفي نفس الصدد من الإقليم الثاني من جهة الجزر والمدن الأخرى للهند، ومنها

---

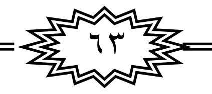
(١) **البحر الأعظم:** يبدأ الحد الشمالي لهذا البحر من الصين، فيمر على مدن السند، ومن ثم يمر بحدود كرمان وفارس. ينظر: مؤلف مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، كتبه سنة (٣٧٢هـ)، تح: يوسف الهادي، (دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص١٢.

(٢) مؤلف مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، ص٥٣.

(٣) المروزي، أبواب في الصين والتُرك والهند، ص٢٦؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٥٣.

(٤) البيروني، أبو ريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، ط٢، (عالم الكتب ،لبنان، بيروت،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص١٣٩.

(٥) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٢٧.



"... **الدُبيل**[١]، والمنصورية، ...، **وجبلا كُسير وعوير**[٢]، ...، وجزيرة كولم ملي"[٣].

ولو أمعنا النظر على حدود وجغرافية بلاد الهند، فمن جهة الغرب يحيط بها بحر فارس[٤] وتمامه حدود السند، ومن جهة الجنوب يحيط بالهند البحر الهندي، أما من جهة الشرق المفاوز الفاصلة بين الهند والصين ويحيط بها من جهة الشمال بلاد التُرك[٥].

وعلى المستوى التطبيقي، لو ألقينا نظرة عابرة على الخريطة الهندية تهدينا إلى إنها مقسمة إلى ثلاثة أقاليم رئيسة:

أ- الهند الشمالية.

ب- الهضاب الشرقية والغربية.

ت- والأرض الجنوبية.

وتحد الهند الشمالية **بجبال الهملايا**[٦] العـــــالية الممتدة من الشمال والشمال

---

(١) **الدُبيل:** مدينة تجارية تقع في أرض السند، وتقع على ساحل البحر الأعظم، ويجتمع فيها التجار، ويؤتى إليها بكثير مما ينتج في الهند ومما يستخرج من البحر. مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٩٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٥.

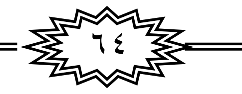
(٢) **كُسير وعُوير:** تصغير كسر وعور، وهما جبلان عظيمان مُشرفان على أقصى بحر عُمان، ولا يظهر من هذان الجبلان فوق الماء إلا اليسير، فإذا جاوزنا صرنا إلى موضع، يقال له: صُحار. وأن هذا الطريق لا تسلكه السفن الصينية، بل تسلكه صغار السفن؛ لأنها صعبة المسلك وعرة المقصد، صعبة المنجى، فلذلك سميت بهذا الاسم. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٥؛ البكري، المسالك والممالك، ج١، ص١٥٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦١؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، تح: علي صراط الحق، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص١٥١.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٦٧.

(٤) أبي الفداء، تقويم البلدان، ص٣٥٣-٣٥٤.

(٥) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٣٣٩.

(٦) **جبال الهملايا:** هي أعظم سلسلة جبلية في العالم وتمتد شمالًا إلى الحدود بين روسيا والهند، ومن الطرف الجنوبي الشمالي إلى كشمير، وتقع فيها منابع نهر الجنجا، إذ تبقى مغطية بالثلوج دائمًا. الندوي، محمد إسماعيل، **الهند القديمة حضاراتها ودياناتاها**، (دار الشعب، القاهرة،١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص١٢.



الشـــــرقي(١). وعليه وصف الكثير من الجغرافيون المسلمين بلاد الهند أرضٌ واسعة في البر والبحر والجبال، والهند والسند أيضًا ملكهم واحد ولغتهم واحدة، والهند أُمة عظيمة العدد فخمة الممالك، وكانت الهند عند جميع الأُمم ينبوع العدل والسياسة، وأهل الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة(٢).

واختصت بلاد الهند بكريم النبات وعجيب الحيوان، ويحمل منها كلُ طُرفة إلى سائر البلاد مع إن التجار لا يصلون إلى جميع مدنها لسعة مساحتها(٣).

ومن الضروري ذكر ما وصفه ابن حوقل(٤) (ت٣٦٧هـ/٩٧٨م)، إذ قال: " بلد الهند موطن وأماكن وفجاج وأعماق، ...، وأقطارها نائية، وبراريها فسيحة لا يصل إليها تاجر إلا من أهلها، ولا يمكن سافرَةً غيرها أن تردها؛ لأنقطاعها ونأيها وكثرة الآفات المعترضة على السائرين إليها ".

استنادًا إلى كل ما ذكر، يؤكد لنا أن بلاد الهند واسعة يمتد من أقصى المشرق، وتتوزع على أرضها العديد من الجزر، وتربط بين أراضيها شبكة من الأنهار والبحيرات وسلاسل جبلية، وسوف نذكرها بالتفصيل في الصفحات اللاحقة.

٣- التضاريس:

أ- الجبال:

بادئ الأمر لابد من توضيح أن الوصف الجغرافي للعلماء المسلمين شمل معظم جبال بلاد الهند، وقد اتضح من خلال تفحص بعض النصوص أن بعض الجبال لم تكن معروفة بشكلٍ واضح إلا لدى بعضهم، فسليمان التاجر(٥) أنبأ عن جبل يقال له:

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠؛ الندوي، الهند القديمة حضارتها وديانتها، ص٧. ينظر: إلى الملحق رقم (٩).

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦؛ الأندلسي، أبي القاسم صاعد بن أحمد (ت٤٦٢هـ/١٠٧٠م)، **طبقات الأُمم**، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، (مط الكاثوليكية، بيروت،١٩١٢م)، ص٧-١٢.

(٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٢٧.

(٤) صورة الأرض، ص٢٧٦.

(٥) رحلة السيرافي، ص٢٢.

الخُشنامي[1]، بعد أن اقلعت من بحر **أندامان**[2]، إذ ذكر إن في هذه الجزيرة جبال ليست على الطريق، ويقال: أن فيها معادن فضة، وليست مسكونة، وليس كل مركب يريدها يصيبها، وإنما دلَّ عليها جبل منها يقال لها الخُشنامي.

ويروي لنا سُليمان أنهم انحدروا إليه في القارب، وأوقدوا نارًا فانسكبت الفضة، فعلموا أنه معدن فاحتملوا ما أرادوا منه، فلما ركبوا اشتد عليهم البحر، فرموا بجميع ما أخذوا منهُ، ثم تجهز الناس بعد ذلك إلى هذا الجبل فلم يعرفوه[3].

ومن وجهة النظر التاريخية لا يمكننا الجزم في تصديق هذه الرواية عن عدمها؛ ولكن يمكن أن نتناول محور التساؤلات من جانبين، **المحور الأول** يفسرها لنا المسعودي، بقوله: " إن أرض الهند أرض واسعة في البر والبحر والجبال "[4]. ومن هذا المنطلق يمكننا أن نفسر عدم معرفة الجغرافيين والرحالة العرب لهذا الجبل؛ بسبب سعة الرقعة الجغرافية لأرض الهند. أما **المحور الثاني:** عندما بحثنا عن الجبل الخُشنامي لم نجد له أي تعريفات في المعاجم الجغرافية ولا في كتب الرحالة، ويمكنا أن نفسّر ذلك بعدم معرفة التاجر سليمان أما بالاسم الحقيقي للجبل، أو نسج تلك الرواية من قصص الخيال، وما أكثر تلك القصص في كُتب الرحالة. ولعل من المفيد أن نؤكد أن سليمان التاجر بدء حديثه بذكر أعظم معلم جغرافي قد رآه في رحلته ألا وهو جبل **القاف**[5]، ولكن لم يزودنا بتفاصيل أخرى عن هذا الجبل، إذ

---

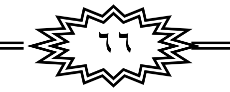
(١) **الخُشامي:** لم أجد له ترجمة .

(٢) **بحر أندامان:** أو "أنداميان"، جزيرة من جزر الهند، سمي البحر باسمه، ويقال: أن عددها سبع مائة جزيرة متقاربة صغار وكبار معمورات بقومٍ من الهنود والزنج، قباح الوجوه، صغار الجثث، لا مركب لهم، وإذا وقع إلى أطرافهم غريق أكلوه. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢١-٢٢؛ الدمشقي، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، (مكتبة المثنى، بغداد، بلا ت)، ص١٥٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٢.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٦.

(٥) **جبل القاف:** روى عِكرمة عن بن عباس (رضي الله عنه)، قال: " خلق الله جبلًا، يقال له: قاف محيطًا بالعالم السفلي، وعرضهُ متصلة بالصخرة التي عليها الأرض، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان (عليه السلام)، حين قال: " يا بني إنها أنْ تكُ مثقال حبةٍ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرض "، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قريةٍ في الأرض أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذي=



قال: " جبل قاف، و**جزيرة سرنديب** "(١). ولكن يمكننا أن نستنتج من ذكره هذا المعلم الجغرافي المهم في مستهل حديثه، إن دلَ فهذا يدل على انبهاره بعظمة هذا الجبل ومساحته وارتفاعه، وذكر في بعض المصادر أن بينه وبين السماء مقدار رجل، وقيل: بل السماء مُطبقة عليه، وزعم بعضهم أن وراءه عوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى(٢).

وعلى المستوى التطبيقي نرى أن المعطيات الأكثر دقة حول جبال بلاد الهند توجد لدى البيروني(٣) (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، الذي أورد وصفًا دقيقًا وشاملًا للجبال، وعليه ذكر: " أن أرض الهند من تلك البراري يحيط بها من جنوبها بحرهم المذكور ومن سائر الجهات تلك الجبال الشوامخ ". ومن هذا المنطلق يمكننا أن نجزم أن بلاد الهند يحيط بها الجبال من جميع جهاتها إلا من جهة الجنوب.

وفي اطار آخر يذكر: " إن في المعمور جبالًا شاهقة متصلة كأنها فِقار ظهر فيها، تمتد في أواسط عروضها على الطول من المشرق إلى المغرب، فتمتد على " الصين "، و " التبت "، و " الترك "، ... "(٤).

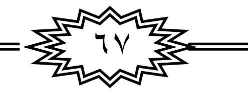
=يلي تلك القرية فتزلزل في الوقت ". وهذا الجبل يفوق أثر الأرض فيستدير حولها، وقالوا: وأصل الجبال كلها من عرق جبل قاف. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٧١؛ ج٢، ص١٣٨؛ ج٢، ص٢٥٩؛ ابن الوردي، سراج الدين (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمود زناتي، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، ص٤٨-٧٥.

(١) **جزيرة سرنديب:** جزيرة من جزر الهند وتدعى أيضًا سيلان، ومعنى سرنديب جزر الذهب، وتقع جنوب شرق الجزيرة الهندي، ويطلق عليها في العصر الحالي سريلانكا. وتقع هذه الجزيرة بين الهند والصين. السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٥-١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٣-٢٤٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٢-٤٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣١٣.

(٢) ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٤٦.

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص١٤٦-ص١٤٧؛ النباكتي، أبو سليمان بن داود بن أبي الفضل محمد (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، **روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب**، ترجمة: محمود عبد الكريم علي، (المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م)، ص٣٤٧.

(٤) البيروني،تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص١٤٠.



ومن جهة أخرى ذكر لنا السيرافي[١] **جبل الرهون**[٢]، ومن سرنديب حتى سفح هذا الجبل يومان من السير في الطريق، وفي هذا الجبل معدن الياقوت من جميع الألوان، وفي أنهاره **الألماس**[٣] الذي لا يوجد في أي مكان سواه في العالم، وفي أجزاء البحر القريبة منه توجد اللآلئ الثمينة و**القرنفل**[٤]، وحيوانات كثيرة منها الذئاب، وعلى الجبل أثر قدم آدمية منغمسة في الصخر، يقال أنه أثر قدم آدم ﴿عليه السلام﴾ [٥] وفي واقع الحال أشارت الباحثة شفيقة عيساني[٦] إلى أن البيروني افرد في وصفه لتضاريس الهند من بين كل الجغرافيون المسلمين في عرض كيفية تكوينها الجيلوجي، حين ذكر أنها كانت عبارة عن بحر تكونت أرضيته بفعل انكباس السيولات المنحدرة من قمم الجبال، وتم التأكد من هذه النظرية من خلال معاينته لمختلف أنواع الصخور والحصى الدائرية والكبيرة بالقرب من الجبال الواقعة في الشمال والتي يتدرج جميعها حتى يصل إلى حجم الرمل عند مصبات الأنهار الهندية الكبرى.

---

(١) رحلة السيرافي، ص١٩.

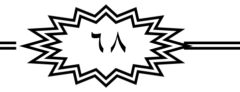
(٢) **جبل الرهون:** من جبال الهند، وتقع في جزيرة سرنديب وهي جزيرة كبيرة مشهورة الذكر. السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٩؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٢٣-٢٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٥.

(٣) **الألماس:** يختلف مقاديرها في الوزن من حبة إلى مثقال ولا تكاد تختلف أشكالها كثير الاختلاف؛ لأن جميعها مقرن ذو زوايا خمس أو ثلاث. ينظر: الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص١٥.

(٤) **القرنفل:** أجوده الكباش السالم من العفونة والنداوة المغربل من الدق القوي والرائحة والجوز أيضًا في ذلك. الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٠.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٩؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٢٣-٢٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥١-٤٥٥؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٣٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٢١٣.

(٦) **شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين الفترة بين القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري/ من ١٩ إلى ١٤م**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، (٢٠٠٨/٢٠٠٩م)، ص٧.



وكما لا يفوتنا أن ننوه إلى أن سليمان التاجر ذكر بقرب **الزابج**(١) جبلًا يسمى جبل النار لا يقدر على الدنو منه، يظهر منه بالنهار دُخان، وبالليل لهب نار، ويخرج من أسفله عين باردة عذبة وعين حارة عذبة(٢).

ب-البحاروالأنهار:

قد يطول الحديث عن البحار المحيطة ببلاد الهند، ولكن يمكننا أن نختصر في هذا المقام أهم تلك البحار ومنها البحر الهندي، وقد ابتدأ سليمان التاجر(٣)، بذكر الأسماك الموجودة في هذا البحر متغاضيًا عن ذكر أهوال هذا البحر وتفاصيل اخرى ، ولكن ذكر أن بحر الهند يتفرع منه بحار عديدة، تختلف عن بعضها في اللون والريح، " فبحر الهند، وفارس، وعُمان، والبصرة، واليمن، والحجاز، والقلزم، ....، والسند، ومن في جزره ومن قد أحاط به من الأُمم الكثيرة التي لا يعلم وصفهم ولا عددهم إلا من خلقهم سبحانه وتعالى "(٤)، وأن طوله من المغرب إلى المشرق من أقصى الحبشة إلى أقصى الهند والصين ثمانية آلاف **ميل**(٥)، وعرضه في موضع آخر ألف وتسعمائة ميل، وليس في المعمور أعظم من هذا البحر(٦).

---

(١) **جزيرة الزابج:** ذكر ابن خرداذبة (الزابج)، وعند القزويني (الزانج)، وهي جزيرة عظيمة في حدود الصين مما يلي بلاد الهند، وبها أشياء عجيبة ومملكته بسيطة وملك مطاع يقال له (المهراج)، ولهذا الملك جباية تبلغ كل يوم مائتي من الذهب. ومن عجائب هذه الجزيرة شجر الكافور، وأنه عظيم جدًا يظل مائة إنسان أو أكثر. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٦؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١١٦-١١٧؛ إبراهيم، سفيان ياسين، **بلاد المهراج في العصر العباسي جزيرة جاوة أنموذجًا**، بحث منشور في مجلة العلوم الانسان والمجتمع، العدد٢، المجلد ١٠، سنة٢٠٢١م، ص٣٢٩.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي،ص٣١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٣.

(٣) رحلة السيرافي، ص٤٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٧.

(٥) **الميل:** وحدة لقياس المساحة يساوي (٤٠٠ ذراع شرعية) = ٢/١ فرسخ، أي يساوي حوالي ٢ كم٤. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية، ص٥٩.

(٦) المسعودي، مروج الذهب وعادن الجوهر، ج١، ص٨٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٥.

أما بحر **دار لاروى**[1]، ذكر هذا البحر عند السيرافي[2] وبصيغة " لارُوى ". أما عند النويري[3] (ت٧٧٥هـ/١٣٧٤م) بصيغة " لاروي "، وأن بين هذا البحر وبين بحر هركند ألف وتسعمائة جزيرة، وبين الجزيرة والجزيرة الفرسخ والفرسخان، وليس يوجد في سائر جزر البحر ألطف صفة من أهل جزرهم في سائر المهن، وهذا البحر لا يعلم عمقه ولا بحجم طوله وعرضه عند البحريين، ربما قطع في شهرين أو ثلاثة أشهر[4]. وفي هذه الجزر، جزيرة تملكها امرأة وبها عنبر عظيم القدر، القطعة مثل البيت، وهذا العنبر ينبت في قعر البحر نباتًا، فإذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره مثل الفطر والكمأة[5].

ومن أسماك بحر الهند سمكة اصطدناها يكون طولها عشرين ذراعًا، فشققنا بطنها فأخرجنا منها أيضًا سمكة من جنسها، ثم شققنا بطن الثانية، فإذا في بطنها مثلها، وكل هذا حي يضطرب يشبه بعضه بعضًا في الصورة[6]. وقد ذكرت أغلب المصادر والمراجع هذه الرواية وبالصيغة نفسها إلا أن بعض الباحثين فسر هذهِ الرواية أذ قال : إنه لم يزل يرى السمك الكبار والصغار ويصاد فيشق جوفه، فيوجد فيه سمكة فيشق جوفه فيوجد فيه سمَك يشبهُ وهذا يتفق أن السمكة قد أكلت سمكًا آخر[7]. وفي هذا البحر سمكًا صغيًرا طيأرا يطير على وجه الماء يسمى جراد الماء[8].

---

(١) **دار لاروى:** من بحار الهند وله جزر عديدة. السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥١.

(٢) رحلة السيرافي، ص١٧.

(٣) نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٥-٢٢٦.

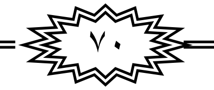
(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٧.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٧؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص١٢٥.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١-٦٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٦٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٦٥.

(٧) شهريار، عجائب الهند برها وبحرها وجزرها، ص١١٨.

(٨) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣١؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١١٠.



وفي هذا البحر أيضًا أي بحر الهند سمكة وجهها وجه الإنسان تطير فوق الماء، واسم هذا السمك الميج[١]، وسمك آخر من تحت الماء يرصده حتى إذا سقط ابتلعه، ويسمى هذا السمك العنقتوس[٢]، والسمك كله يأكل بعضه بعضًا .

وتعد هذه الرواية من الروايات المنفردة التي جاء بها أبو زيد السيرافي، ولم أجد لها ذكر في بقية المصادر؛ إلا أن بزرك بن شهريار الذي ذكر الرواية من دون الإشارة إلى صاحبها عن تلك السمكة، بقوله: وحدثني بعض من دخل بلاد الحبشة أن في بحرها سمكًا له وجه كوجه بني آدم، وأجسامهم لها الأيدي والأرجل، وأن الصيادين إذا وجدوا ذلك السمك اجتمعوا به فيتولد بينهم نسل شبيه لبني آدم اجتمعوا بجنس من أجناس السمك ويتوالد بينهم هذا السمك الشبيه لبني آدم، ثم كذلك على مر الدهور والأزمنة كما يجتمع الآدمي ببعض الوحوش، مثل: الضبع، والنمرة وغيره من حيوان البر فيتوالد بينهم القردة، وعند ذلك مما يشبه ابن آدم، وكما يجتمع الخنازير والجواميس يجتمع الحمير والخيل، وكان بينهم البغال ولو ذهبنا بعد ما تنتج من الاجتماع للأجناس لعددنا من ذلك ما يبهر القارئ ويخرج عمّا قصدنا إليه من عجائب الهند[٣].

وحريًا بنا الوقوف عند هذه الرواية لو سلمنا أن الرواية التي جاء بها السيرافي والقزويني هي من قصص الأساطير والخُرافات، والدليل أننا لم نجد أي ترجمة عن سمك الميج والعنقتوس السابق الذكر، وفي نفس الصدد نجد عند بزرك بن شهريار هذه الرواية المفصلة عن تلك الأسماك، وكيفية اجتماع بني البشر مع تلك الحيوانات وعليه ولد بينهم هذا السمك الشبيه لبني آدم، فهذه الرواية لا يمكن تصديقها علمًا ان لبزرك لم يذكر لنا أي تفاصيل عن حياة تلك الأسماك، مثلًا هل هي برمائية؟ وهل تستطيع العيش على اليابسة؟ وكيف أو نوع تغذية هذه الأسماك؟ وإلى آخره من تلك

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٦-١٧؛ شهريار، عجائب الهند، ص١٥٧؛القزويني،عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ،ص١١٠.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٧.

(٣) شهريار، عجائب الهند، ص١٥٧.

الأسئلة... وعليه لا يمكننا أن نعتبر هذه الرواية صحيحة ما لم تستند إلى تحليل علمي ومنطقي جازم.

لكن مع هذا التحليل الذي جئنا بهِ عن الرواية السابقة إلا أن من وجهة نظر أخرى نرى أن **العلامة الجاحظ**[١]**(ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)** حسم الجدال في هكذا روايات عندما ذكر"البحر كثير العجائب وأهلهُ أصحاب زوائد فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق وأدخلوا ما لايكون في باب ما قد يكاد يكون فجعلوا تصديق الناس في غرائب الأحاديث سلمًا ألى أدعاء المحال".

أما بحر هركند وهو ثالث بحار الهند، ويذكر بينه وبين دلاروى جزر كثيرة يقال أنها ألف وتسعمائة جزيرة، وبحر هركند أقصى بلاد الهند بين الهند والصين، وفيه جزيرة سرنديب[٢]. وفي هذا البحر عجائب كثيرة وصور شتى و**حيتان**[٣] ملونة فيه ما يكون طوله مائة **ذراع**[٤]، ومن زاوية أخرى وضح السيرافي[٥] أثر الرياح على هذا البحر، فقال: " هناك ريح تثيره وتهيجه حتى يغلي كغليان القُدُور، فيقذف ما فيه إلى الجزر التي فيه ويكسر المراكب، ويقذف السمك الميت الكبار العظام، وربما قذف الصخور والجبال كما يقذف القوس السهم "[٦]. وفي نفس الصدد يذكر لنا السيرافي، كلما كان البحر أغزر وأبعد كلما كان العنبر أجود[٧].

---

(١)،أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ،**البيان والتبين** ،(دار الكتب لعلمية، بيروت،١٩١٧م)،ج١،ص٥٧.

(٢) السيرافي ،رحلة السيرافي ،ص١٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٥؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٥.

(٣) **الحيتان:** الحُوت: السمك، والجمع حيتان، وهي على أنواع ومنها البُهار، وهو حوت أبيض وزنه ثلاث مائة رطل، ومن أسمائها أيضًا: العنبر، والعنبر حوت عظيم. الجوهري، الصحاح في اللغة، ج١، ص١٥٣؛ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تح: عبد العظيم الشناوي، (دار المعارف، القاهرة ،بلات)، ص٦٧.

(٤) **الذراع:** وحدة قياس الطول، في القرن السادس عشر كانت الذراع في بغداد والبصرة =٨٢,٩ سم. هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية، ص٨٦.

(٥) رحلة السيرافي، ص٢٢-٢٣.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٢-٢٣.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٣.

أما بحر شلاهط (سلاهط) الذي يقع بين الرامني وبحر هركند، وشلاهط متوسطة بين الهند والصين، وفيها عقاقير كثيرة لا توجد في غيرها منها، وقيل فيها معادن الجوهر (١).وبطبيعة الحال يمكننا أن ندرك أن بلاد الهند تحيط بها شبكة من البحار قد مدت أراضيها بما تحتاج إليه، كما توجد في تلك البحار العديد من الحيوانات، والذي ذكر فيه الرحالة قصص من قصص من العجائب والغرائب، وذكر **الأساطير**(٢)**والخرافات**(٣)،ومن جانب آخر كانت تلك البحار دافع لتشجيع العديد من تجار العرب للمتاجرة مع تلك البقاع النائية.

أما الأنهار في الهند يذكر أبو زيد السيرافي نقلًاعن سليمان التاجر بقولهِ(٤):"وأنهار البلدين جميعًاعظام فيها ما هو أعظم من أنهارنا"،وعليهِ أثبت سليمان التاجر أن أنهار الهند أعظم من أنهارنا.

ث-جزر الهند:

تعد الهند واحدة من أغنى دول العالم من ناحية تنوع التضاريس، لما تحتوي أرضها من البحار والأنهار وسهول، فضلًا عن جزر وممالك عديدة ألا انها لامدائن

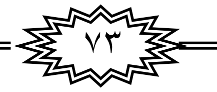
---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣١.

(٢) **الأساطير:** مفردها أُسطورة، وهي صورة من صور الفكر البدائي حينما كانت مطورة أو مطبوعة في ألواح الأذهان. خان، محمد عبد الحميد، **الأساطير العربية قبل الاسلام**، (لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٧م)، ص١٢.

(٣) **الخرافات:** تعرف أحيانًا: " هي فكرة تتفق مع الواقع، وهي كظاهرة اجتماعية ليست بعيدة عنه وحسب، وانما يشترط أن تكون مستمرة أو دائمة وليست طارئة أو وقتية، وانما هي موقف ثابت في حياة من يؤمن بها. عيسوي، عبد الرحمن، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، (منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣م)، ص١٢؛ العظيمي، سلام ناصر والي ناهض، **الأساطير والخُرافات في كتابات الرحالة العرب والمسلمين المشارقة (١٣٢-٦٥٦هـ/١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، رسالة ماجستير غير منشورة (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، جامعة واسط العراق، ص٣٢؛ راغب، نبيل، **فنون الأدب العالمي**، (دار لويار للطباعة، القاهرة-جمهورية مصر العربية، ١٩٩٦م)، ص٩-١٢.

(٤) رحلة السيرافي ،ص ٥١.



لـــــــها.[1] ، وذكر أن في **البحر الأخضر**[2] (البحر الهندي) سبعًا وعشرين ألف جزيرة عامرة وغير عامرة، وهذه الجزر تشكل جزءًا مهمًا من بيئة الهند؛ لاتساع مساحتها من ناحية، ووفرة ثرواتها من ناحية أخرى.

كما أشارت المصادر إن في بحر الهند جزر تظهر وتغيب ستة أشهر، ثم تعود بكل ما فيها وتعود إلى هيئتها[3]!

وإن الجزر الشرقية في هذا البـــــحر وهي إلى حد الصين أقرب فإنها جزر الزابج، " ويسميها الهند "سورن ديب "، إي جزر الذهب.والغربية جزر "**الزنـــــــج**"[4][5].

---

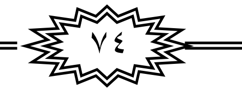
(١) السيرافي، رحلة السيرافي،ص٥١؛المسعودي، **أخبار الزمان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، (المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٥١.

(٢) **البحر الأخضر:** وهو البحر الرومي، أو يسمى بحر الشام ومصر والأندلس، طوله خمسة آلاف ميل، وفي بعض المصادر ستة آلف ميل وعرضه في الأصل سبعمائة، ويقال أنه بحر محيط بالدنيا جميعًا كإحاطة الهالة بالقمر. البكري، المسالك والممالك، ج١ ص١٤٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٧.

(٣) المسعودي، أخبار الزمان، ص٥٤؛ البكري، المسالك والممالك، ج١، ص١٦٣.

(٤) **جزر الزنـج:** شمالها اليمن، وشرقها النوبة وغربها الحبشة وجميع السودان من ولد كوش بن كنعان بن حام، وبلاد الزنج شديدة الحر، ويقال أن ملكهم يركب في ثلثمائة ألف راكب كلهم على البقر، ويبيعون أنياب الفيلة وجلود النمور، ولهم خزائن يخرجون منها الودع. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٧؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٩؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص١٤٧

(٥) البيروني، تحقيق ما للهند مقولة مقبولة أو مرذولة، ص١٤٩



والمـــتوسـط جـــــــزر"**الرم**"(١)، و**الديباجات** (٢) ومن عجيب ما يروى من روايات إن جزيرة معروفة بالزايج (الزابج) أن ملكًا من ملوكهم في قديم الأيام وهو **المهراج**(٣)، وقصره على **ثلاج**(٤)، يأخذ من البحر، يغلب عليه ماء البحر بالمد وينضب عنه الماء العذب بالجزر(٥)، ومنه غدير صغير يلاحق قصر الملك، فإذا كان صبيحة إلى (صبحه) كل يوم دخل **القهرمان**(٦) الملك ومعه لبنة قد سبكها من ذهب فيها سبائك من الذهب، وذكر أبو زيد: " قد خفي عني مبلغها" فيطرحها وما كان مجتمعًا معها من أمثالها فيغمرها الماء، وإذا كانت الجزر نضب عنها فأظهرها فلاحت الشمس- أي ظهرت تلك السبائك وأصبحت محط الأنظار، والملك مطلع عليها عند جلوسه في المجلس المطل عليها فلا تزال على تلك الحالة يطرح فيها كل يوم في ذلك الغدير لبنة من الذهب ما عاش ذلك الملك من الزمان لا يمس منه شيء(٧).

---

(١) **الرم:** جزيرة من جزر الهند، وهي من أعمال أصبهان، والثاني رم شهريار، وهم جيل من الكراد وهم من البازنجان. ينظر: الأصطخري، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت٣٥٠هـ/٩٥٧م)، **المسالك والممالك**، (مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٣٧م)، ص٤١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٢.

(٢) **الديبجات:** وهي جزر متصلة في أقصى بحر الهند ، وقيل أنها نحو ألف جزيرة يقال لها الديباجات، عامرة، والمسافة من جزيرة وأخرى الميلان أو ثلاثة أميال أو أكثر من ذلك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٢٢٧.

(٣) **المهراج:** لقب ملك الزايج والزنج. الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت٣٧٨هـ/٩٩٧م)، **مفاتيح العلوم**، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ/٢٩٨٩م)، ص١٤٣.

(٤) **الثلاج:** وادٍ كدجلة في مدينة السلام إي (بغداد). السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٧.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٧.

(٦) **القهرمان:** الوكيل، فارسية قهرمان ومعناه (الآمر صاحب الحكم)، والظاهر أنه مركب من العربي قهر ومن الفارسي مان أي الصحاب. آدى شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٣٠.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٧-٦٨.

وتعد هذه الرواية من الروايات المنفردة التي جاء بها أبو زيد السيرافي عن تلك الجزيرة، ولكن ذكرت في المصادر فقط مقدار جباية هذا الملك، وهذه الأموال مقدارها في كل يوم مائتي من الذهب يتخذ منها لبنًا ويطرحه في ماء البحر يقول هذا مـــــالي[(١)]. والبحر هي خزانته[(٢)]، فإذا مات الملك أخرجها القائم من بعده كلها فلم يدع منها شيئًا، وأُحصيت ثم أُذيبت وفرقت على أهل بيت المملكة ورجالهم، ونسائهم، وأولادهم، وقوادهم، وخدمهم على قدر منازلهم، ثم دون عدد اللبن الذهب ووزنه، وقيل إن فلانًا ملك من الزمان كذا وكذا سنة وخلف من لبن الذهب في غدير الملوك كذا وكذا لبنة، وإنما فرقت بعد وفاته في أهل مملكته، فالفخر عندهم لمن امتدت أيام ملكه وزاد عدد اللبن الذهب في تركته[(٣)].

أما مدينة الزابج تحاذي بلاد الصين وبينهما مسيرة شهر في البحر وأقل من ذلك أذا ساعدت الرياح، ملكها يُعرف بالمهراج[(٤)]، ويقال: " وهذا الملك مُمَلّك على جزر كثيرة يكون مقدار مسافة مُلكه ألف فرسخٍ وأكثر[(٥)]. وبلاد الزابج غربها وجنوبها بلاد الزنج[(٦)]، وشمالها البحر. أهلها كالزنوج لكنهم نصفُ عُراة، وهم في حرب دائمًا مع

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٠؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٠.

(٢) ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٩٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٨.

(٤) القزويني، نُخبة الدهر وعجائب البر والبحر، ص١٤٩.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦.

(٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٢.

الزنج، وفي جبالها توجد أشجار **الكافور**[(١)]، وبها أفاعٍ يقال أن أحدها تبتلع الأنسان والجاموس، والزابج هذهِ جزيرة عظيمة في البحر يقيم ملكهم فيها خلال الصيف[(٢)].

أما جزيرة السريرة وهي إحدى جزر مملكة المهراج، وقال أن تكسيرها[(٣)] على ما يذكرون أربعمائة فرسخ[(٤)]، ووردت هذه الجزيرة عند ياقوت الحموي[(٥)] (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) بصيغة " سَربزة "، وهي من جزر الهند موقعها من العمارة خط الاستواء ويجلب منها الكافور، وإن لقب ملكهم هو " ملك الملوك "[(٦)].

وتعد هذه الجزيرة من أعظم جزر الزابج وطولها من الشمال إلى الجنوب أربعمائة ميل، وعرضها في كل طرف من الجنوب والشمال نحو مائة وستين ميلًا، وفي جنوب سريرة وشرقيها من الجزر الصغار ما لا يعد؛ لكثرته[(٧)].

أما جزيرة الرامني من الجزر التي تتصل بجزيرة سرنديب من جهة الشرق[(٨)]، وذكر محقق حسن صالح شهاب أن هذهِ الجزيرة تسمى الوقت الحاضر بـ " سومطرة "[(٩)]. وقد ذكرت هذه الجزيرة عند الجغرافيين والرحالة بصيغ عديدة، فذكرت عند سليمان التاجر مرة بصيغة " الرامني "، وأخرى بصيغة " الرامي "[(١٠)]، أما عند

---

(١) **الكافور:** شجر يشبه الصفصاف، وخشبه أبيض خفيف، وشجرة الكافور عملاقة تظل مائة إنسان وأكثر. ابن خرداذبة المسالك والممالك، ص١٥؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٤٧-٥١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٦.

(٢) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص١٤٦.

(٣) أي مساحتها. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦.

(٥) معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٦.

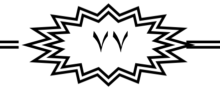
(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٦؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٩.

(٧) أبي الفداء، تقويم البلدان، ص٣٦٨؛ المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت٦١٠هـ/١٢٨٦م)، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، (المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٧٠م)، ص١٥.

(٨) السرافي، رحلة السيرافي، ص٢٠؛ المسعودي، أخبار الزمان، ص٦٢.

(٩) شهريار، عجائب الهند، ص٦٣.

(١٠) رحلة السيرافي، ص٢٠-٢١.



المسعودي فذكرت بصيغة " الرامي "[١]. تبلغ مساحتها ثمانمائة فرسخ، وفي هذه الجزيرة فيلة كثيرة وفيها **البقم**[٢]، وفيها ناس يأكلون لحوم البشر[٣].

أما جزيرة كله تعد من جزر الزايج وتكون المنصف بين أراضي الصين وأرض العرب، وتكسيرها على ما يذكرون ثمانون فرسخًا، وبكلة مجمع الأمتعة من الأعواد والكافور، و**الصندل**[٤]، و**العاج**[٥]، و**الرصاص القلعي**[٦]، و**الابنوس**[٧]، والبقم كله وغير ذلك مما يتسع ويطول شرحه، والجهاز من عُمان في هذا الوقت إليها، ومنها إلى عُمان واقع[٨].

لكن القزويني[٩] (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) يذكر كلة مدينة عالية السور في بلاد الهند كثيرة البساتين، بها اجتماع حكماء الهند، وفي رواية أخرى ذكر إن جزيرة[١٠] كلة أنها أول بلاد الهند مما يلي الصين، وأنها منتهى مسير المراكب إليها. وطول مدينة كلة مائة وثلاثون درجة ولا عرض لها، وهي منتصف الطريق بين عُمان

---

(١) أخبار الزمان، ص٦٢.

(٢) **البقم:** شجرة شبيهة بشجر (الخروب) الشامي، ويحمل مثل حمله، ولكنه مرٌ شديد المرارة، وهذه الشجيرة تُغرس غرسًا. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٣٢.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٠؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص٢٠.

(٤) **الصندل:** نوع من خشب الاشجار مرتفع الجودة ،وهو على صِنفان أبيض وأحمر، والأحمر منهما يدخل في الأدوية، والأبيض في الأدوية أيضًا وفي الطِيب. الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٠.

(٥) **العاج:** أنياب الفيلة ولا يسمى غير الناب عاجًا. ينظر: ابن سيده، أبو الحسن بن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، **المخصص**، (المكتب التجاري للطباعة، بيروت،بلات)، ج٢، ص١٥٩.

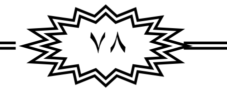
(٦) **الرصاص القلعي:** اسم اعجمي معرب، والرصاص القلعي معدن ينسب إليه الرصاص الجيد. الفيروزآبادي، مجد الدين بن محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، **القاموس المحيط**، تح: أبو الوفا نصر، (دار الحديث، القاهرة،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج٢، ص٢١٦.

(٧) **الإبنوس:** شجر أسود يعمل منه القسي (جمع قوس). الفيروز آبادي القاموس المحيط، ج٢، ص٢٣٩.

(٨) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠٥.

(٩) آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠٥.

(١٠) أبي دلف، الرسالة الأولى، ص٥٩.



والصين، وموقعها من المعمورة في طرف خط الاستواء[1]. وأمر المهراج نافذ في هذه الجزر أي (الزابج، والسريرة، والرامي، وكلة)، وجزيرته التي هو بها في غاية الخصب وعمارتها منتظمة، وذكر من يوثق بقوله: " إن الديكة إذا غربت في الأسحار للأوقات كتغريدها عندما تجاوبت إلى مائة فرسخ وما فوقها يجاوب بعضها؛ لإتصال القرى وانتظامها، وأنه لا مفاوز فيها ولا خراب، وإنَّ المتنقل في بلادهم إذا سافر وركب الظهر الدابة سار إذا شاء، فإذا ملَّ وكلَّ الظهر نزل حين شاء[2].

استنادًا على ما تم ذكره تبين سعة مساحة مُلك المهراج، وقُرب هذه الجزر عن بعضها البعض في تلك الناحية.

أما جزيرة ملجان التي تقع بين مدينة سرنديب وكلة، ورد ذكره في مصادر عدة وبصيغ مختلفة أيضًا، وقد ورد عند سليمان التاجر[3] بصيغة " ملحمان "، أما في مصدر أخر ذكرت بصيغة "ملحان"[4]،أما عند الإدريسي[5] (ت ٥٦٠هـ/١١٦٦م) ذكرت بصيغة " جالوس ". وجزيرة ملجان تقع شرق الهند من ناحية البحر، وبها قوم من السودان عُراة إذا وجدوا الإنسان من غير بلادهم علقوه منكسًا وقطعوه وأكلوه نيًّا،

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٦٧.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٧.

(٣) رحلة السيرافي، ص٣٠.

(٤) مؤلف مجهول،حدود العالم، ص١٤٦.

(٥) نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص٣٣.

وعدد هؤلاء كثير، وليس لهم ملك ولادين، وغذائهم السمك، والموز، و**النارجيل**[١]، وقصب السكر[٢].

ولابد من الاشارة إلى مسألة مهمة، ألا وهي رغم اختلاف صيغة ذكر اسم الجزيرة عند الجغرافيون، لكن الجميع يتفقون بذكر رواية واحدة وبصيغة نفسها؛ وهذا وإن دل فيدل على إن هؤلاء الجغرافيون قد اعتمدوا على ذكر ما عند سليمان التاجر من رواية حول هذه الجزيرة.

وكذلك ورد ذكر جزيرة " سقوطرا "، عند أبو زيد السيرافي[٣]، اما عند المسعودي[٤] وردت بصيغة " سقطرى "، أو " سقرطة "[٥]، " سقطرة ". وفي مصادر أخرى[٦] وردت بصيغة " سقوطرة "، وقد انفرد النويري[٧] بذكر تسمية كانت تعرف بها هذه الجزيرة إلا وهي " جزيرة العقل "؛ لأن بها عيون يقال أن الشرب منها يزيد في العقل[٨].

---

(١) **النارجيل:** وهو شجر الجوز الهندي، وأجوده الطري، ولأهل سرنديب نظر في زراعته، ويقطعون من خشبها ما أحبوه ويصنعون من ليفه حبالًا يحرزون به ذلك الخشب وينشؤون منه المراكب. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢١؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٨١؛ الحوراني، إبراهيم بن عيسى بن يحيى، **الآيات البينات في غرائب الأرض والسموات**، (بيروت، ١١٨٣م)، ص٧٣.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠؛ مؤلف مجهول، ص١٤٦؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٣٤؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٤٩؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ج١، ص١٥٤.م

(٣) رحلة السيرافي، ص٨٧.

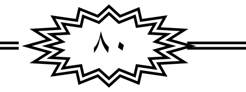
(٤) أخبار الزمان، ص٦٤.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٧.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٩؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٧.

(٧) نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٥.

(٨) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٥.



أما مساحة الجزيرة فطولها يصل ألى حوالي ثمانين ميلًا، وعرضها في الوسط نحو خمسة عشر ميلاً، وهجروا سكانها الأصليين عنها بعد أن اخرجهم **الإسكندر المقدوني**(١) وأنزل جمعًا من اليونان فيها، لذا كان اغلب أهلها من النصارى.

أما عن موقع الجزيرة قريب من بلاد الزنج وبلاد العرب، ويروي أبو زيد السيرافي(٢) رواية عن هذه الجزيرة، فيقول: " أن الإسكندر عندما غلب على ملك فارس وكان يكاتبه معلمه **آرسطوطاليس**(٣) فيعرفه ما وقع عليه من الأرضين، فكتب إليه يؤكد عليه في طلب جزيرة في البحر تعرف بـ " سقوطرا "، ولكن بعد أن بعث الله عيسى (عليه السلام) فبّلغ من بهذه الجزر من اليونانيون أمره فدخلوا في جُملة ما دخلت فيه الروم من التنصر وبقاياهم بها.

وذكر أبو زيد السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر(٤) جزيرة نيان، أما عند القزويني(٥) (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ذكر بصيغة " البنان "، وقال: " لهم ذهب كثير، واكلهم النارجيل وبه يتأدمون ويدهنون، وإذا أراد أحدهم أن يتزوج فلا يتزوج إلا بقحف رأس رجلٍ من أعدائهم فإذا قتل إثنين زوج اثنين، وكذلك إن قتل خمسين زوج خمسين امرأة بخمسين قحفًا وبسبب ذلك؛ إن أعدائهم كثير ".

وتتفق كتب البلدان والرحالة والجغرافيون على ذكر جزيرة سرنديب بأنها: آخر الجزر الهند هي جزيرة سرنديب وهي رأس هذه الجزر كلها والدبيجات، وفي أرضها مغاص

---

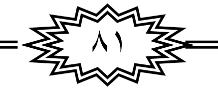
(١) **الإسكندر المقدوني:** وهو الاسكندر بن فيليبس المقدوني، أصبح ملكًا على مقدونيا وعمره إحدى وعشرين سنة وحكم من(٤٩٨ق م/٤٥٤ق م)، وفتح بلاد كثيرة، وتوفي مسمومًا ببابل وعمره (٣٦ سنة)، ودفن في مدينة الاسكندرية في مصر. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٥٧٧-٥٧٨.

(٢) رحلة السيرافي، ص٨٨.

(٣) **آرسطوطالس:** أو يذكر في المصادر " ارسطاطاليس "، معلم الإسكندر ومؤدبه، وكان يلقب " بالحكيم "، وكان إذا أمره يأتمر، وينهاه ينتهي. ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص١٠٠ح المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، (دار صادر، بيروت ،بلات)، ج١، ص١٩٢.

(٤) رحلة السيرافي، ص٢٠.

(٥) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١٥٥.



اللؤلؤ وبحرها كله حولها[١]، وبحرها المسمى هركند[٢]، وأهلها هم عباد الهند، وحولها جبال وأشجار كثيرة، وبين تلك الأشجار أفاعي كبار كجذوع النخل، فتبتلع الآدمي، والبقر، والغنم[٣]. كما في جبالها الياقوت واللؤلؤ[٤]، وفي غياض سرنديب ناس عُراة لا يُفهم كلامهم وليس لهم نطقٌ بيِّنٌ إلا شيء كالصفير، ولا تزيد قامتهم على اربعة أشبار، وهم متوحشون نافرون من النَّاس[٥].

وتعد مدينة سرنديب أعظم مدن العالم، ويقال إن الإسكندر بناها عندما غزا الهند حوالي سنة (٣٢٠ ق.م) [٦]، كما في أرض سرنديب جبل يدعى الرهون وعليه هبط آدم ﴿عليه السلام﴾ وقدمه في صفا، ورأس هذا الجبل منغمسة في الحجر. ويقال أنه ﴿عليه السلام﴾ خطا خطوة أخرى في الحجر، وحول هذا الجبل معدن جوهر الياقوت الأحمر والأصفر و**الاسمانجوني**[٧]، وفي هذه الجزيرة ملكان، وهي جزيرة عظيمة عريضة فيها العود، والذهب، والجوهر، وفي بحرها اللؤلؤ[٨].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٩؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٤؛ أبي الفداء، تقويم البلدان، ص٣٦٨.

(٢) ابن الفقيه، البلدان، ص٦٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٥٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٦٨٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٣١٢.

(٣) الغرناطي، أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، **تحفة الألباب ونخبة الاعجاب**. تح: إسماعيل العربي، (دار الآفاق الجديدة، المغرب-١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص١٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٩.

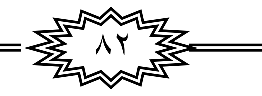
(٤) الجاحظ، **التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والإعلاق النفيسة والجواهر الثمينة**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، ط٣، (مط الخانجي، القاهرة،١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص١٣.

(٥) المروزي، أبواب الصين والتُرك والهند، ص٤٩؛ الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٦٤.

(٦) الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٦٤.

(٧) **الإسمانجوني**: حجر له خواص منها أنه إذا استصحبه الرجل يبقى فرحًا غير حزين، وإذا طرح في بئر أو نهر قل ماؤه وربما انقطع. القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص٢٥٢.

(٨) السيرافي، رحلة السيرافي ،ص١٩ ؛المروزي، أبواب الصين والتُرك والهند، ص٤٩.



ومن جزر الهند التي ورد ذكره عند سليمان التاجر[١] جزيرة آندامان، أما عند القزويني[٢] " أنداميان "، وأهلها يأكلون الناس أحياء، وهم سود مفلفلوا الشعور مناكير الوجوه والأعين، طوال الأرجل[٣]. وفي روايةٌ أخرى يذكر أنهم صغار الجُثث[٤]، أي يدل على قصر قامة هؤلاء القوم، وإن المطلع على كتب الرحالة والجغرافيين وقصصهم يجد ذكر أقوام عديدة في الهند قصار القامة. اما الاختلاف في وجهات النظر بينم وارد؛ لأن جزيرة أندامان عدتها سبعمائة جزيرة متقاربان صغار و كبار معمورات بقوم من الهند، ويبدو أن التاجر سليمان قد وقف عند أحد هذه الجزر فوجد قومًا طوال القامة. أما القزويني وقف عند آخر فوجدهم صغار الجثث، وعليه إن أهل آندامان لا قوارب لهم ولو كانت لهم لأكلوا كل من مربهم، وربما أبطأت المراكب في البحر وتأخر بهم المسير؛ بسبب الريح فينفذ ما في المراكب من ماء فيقربون إلى هؤلاء فيستقون الماء وربما أصابوا منهم ويقتلون أكثر[٥].

أما مدينة كولم ملي يذكرها أبو زيد السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر[٦] بصيغة " كولم ملي "، ولأهلها بيت عبادة وليس فيه صنم ولا تمثال وبها منابت الساج (أي النارجيل)، وهو الشجر مفرط العظم والطول وربما جاز المائة ذراع أو أكثر[٧]، وهذه المدينة بعمارتها العجيبة، أساطين بيوتهم من خرز أصلاب السمك[٨]. وفي هذه الجزيرة ميناء ترسو فيها المراكب التجارية.

ويذكر لنا أبو زيد السيرافي[٩] موضع بالهند يسمى جزيرة قِمّار وينسب إليه العود، ويذكر سليمان التاجر عن هذه المدينة إنها ليست بجزيرة، بل هي مملكة على

---

(١) رحلة السيرافي، ص٢١.

(٢) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص١٥٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٩.

(٤) القزويني ،نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص١٥٩.

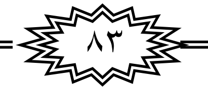
(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٢.

(٦) رحلة السيرافي، ص٢٦.

(٧) أبي دلف، الرسالة الأولى، ص٦٧.

(٨) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠٦-١٠٧.

(٩) رحلة السيرافي، ص٦٨.



ما يلي أرض العرب، وليس في شيء من الممالك أكثر عددًا من أهل قمار، وهم رحالة وكلهم يحرمون الزنا وشرب الخمر[١]. أما المسافة بين قِمار مملكة المهراج والجزيرة المعروفة بالزابج مسافة عشرة أيام إلى عشرين يومًا عرضًا في البحر إذا كانت الريح متوسطة[٢].

وتماشيًا مع ما تم ذكره من جزر قد زارها سليمان التاجر أثناء رحلته ووصفها لنا وصفًا، إن لم يكن شاملًا يمكننا أن نعده وصفًا دقيقًا عن الجزر التي زارها، فنجده مرة يذكر لنا المسافات بين جزيرة وأخرى، ومرة يذكر لنا نوع النباتات والأشجار في تلك الجزر، وفي مجالٍ آخر يذكر لنا وصفًا شاملًا عن سكان تلك البقاع، فذكر أشكالهم، وعاداتهم، ومأكلهم، وملبسهم، فمنهم العاري بالكامل، ومنهم من يتستر بأوراق الأشجار، ومنهم آكلة البشر، وفي مواقف أخرى يذكر لنا القوانين السائدة في تلك المدن، لذى إن سليمان التاجر قد رأى وسمع ممن سبقه من العرب في السفر إلى تلك البلاد وزارها، وروى القصص والروايات عن مناطقهم الشاسعة.

٤- المناخ:

أهتم الجغرافيون والرحالة العرب بذكر مناخ بلاد الهند ووصفوامناخها "واليسارة [٣] يدوم عليهم في الصيف ثلاثة أشهر تباعًا ليلاً ونهارًا لا تمسك السماء عنهم بتّة، وقد استعدوا قبل ذلك لأقواتهم، فإذا كانت اليسارة أقاموا في منازلهم؛ لأنها معمولة من خشب مكننة السقوف مظللة بحشائش لهم، فلا يظهر أحد منهم ".

نستنتج من هذه الرواية أن موسم سقوط الأمطار في بلاد الهند يكون في فصل الصيف على عكس بلدان الخلافة الشرقية الذي يكون فصل سقوط الأمطار في الشتاء، وهذا يؤكد لنا سبب أن الرحلات التجارية كانت تجري في بداية فصل الشتاء

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٨؛ المغربي، الجغرافيا، ص١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٥؛ القزويني، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٣٦.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٨.

(٣) **اليسارة:** الشتاء . السيرافي ،رحلة السيرافي، ص٨٣؛ البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص١٤٩

نحو الشرق، وهذا ما يؤكدهُ المسعودي[١]الذي يهتم بالحديث عن مناخ الهند بقوله: " بلاد الهند وبحر الهند يكون فيه اليسارة ودوام الأمطار في كانون،كانون وشباط عندنا صيف، وعندهم شتاء، كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب، فشتاؤنا صيفهم، وصيفهم شتاؤنا، ... ومن شتى في صيفنا بأرض الهند، قيل: فُلانٌ يَسَرَ بارض الهند- أي شتّى هناك؛ وذلك لقرب الشمس وبُعدها ".

ووصف لنا البيروني[٢] أمطار الهند أذ ذكر : " وأرض الهند تمطر مطر الحميم في الصيف ويسمونه (برشكال)، وكلما كانت البقعة أشد إمعانًا في الشمال وغير محجوب بجبل، فهذا المطر فيها أغزر ومُدته أطول وأكثر ".

وعليهِ استنتاجًاإلى ماذكر يمكننا ان نستنتج أن تساقط الأمطار تكون مدة أربعة أشهر على المرتفعات الشمالية، ويكون موعدها من شهر نيسان وحتى تموز، أما تساقط الثلوج يكون موسمية من بداية منتصف تشرين الثاني، وحتى منتصف شهر كانون الثاني.

ويمكننا أن نؤكد صحة هذا الأمر من خلال ما ذكره البيروني[٣]، إذ قال: " سمعت أهل المُلتان، يقولون: إن برشكال لا يكون لهم، فأما فيما جاوزهم إلى الشمال واقترب من الجبال ...، يكون من عند شهر " **آشار** "[٤]، ويتوالى أربعة أشهر ...، ويغزر شهرين ونصفًا أولها " **شرابن** "[٥]، وينعدم فيما وراء هذه الثنية؛ وذلك لأن هذه الغيوم ثقيلة قليلة الارتفاع عن وجه الأرض، فإذا بلغت هذه الجبال صدمتها وعصرتها ...، وتتوالى الثلوج في شهرين ونصف أولها " **ماك** "[٦]، فإذا جاوز نصف " **جيتز** "[٧]، توالت الأمطار أيامًا يسيرة ".

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٦-١١٧.

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص١٤٩.

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص١٥. ولمعرفة المزيد عن أسماء الشهور باللغة الهندية. ينظر للملحق رقم (١٠).

(٤) **أشار**: نيسان، البيروني ،تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٢٧١.

(٥) **شرابن**: ايار. البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٢٧١.

(٦) **ماك**: تشرين الثاني. البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٢٧١.

(٧) **جيتز**: كانون الثاني. البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٢٧١.

ومن هذا المنطلق يمكننا أن ندرك أن مناخ الهند يمتاز بغزارة أمطارهُ وتساقط الثلوج، مع رياح قوية تساعد على سير السفن التجارية، وتحريك أشرعتها.

المبحث الثالث

نظرة جغرافية عامة عن بلاد الصين وفقاً لما أورده السيرافي في رحلتهِ

١- التسمية:

وردت تسمية بلاد الصين في أغلب كتب المصادر العربية وفي النصوص التأريخية والجغرافية المبكرة، أذ ذكر أن نوح ﴿عليه السلام﴾ قسم الأرض بين ولده، فأنزل يافث بن نوح بين المشرق والمغرب[١].

كما اتفقت تلك المصادر على إن قومًا من " بني عامر بن يافث " قطعوا إلى ناحية الصين، فعمروه وبنو المدن، وعملوا على الحكم ودقائق الصناعات[٢]، وقيل: " من ولد عامور بن سويل بن يافث بن نوح ﴿عليه السلام﴾ مدينة الملك بالصين "[٣].

أما ياقوت الحموي[٤](ت٦٢٦هـ/١٢٢٥م) ذكر الصين- بالكسر، وآخره النون: " بلادٌ في البحر المشرق هائلة إلى الجنوب وشماليها الترك، وسميت الصين بصين، نسبَة لأحفاد يافث، وهم: " وصين، وبغر إبنا بغبر بن كماد بن يافث ".

وعليه أعطى نوح لبني يافث الشرق، فعمل عابور بن سابور بن يافث فلكًا مثل فلك نوح، فركب فيه بولده وقطع البحر الشرقي ونزل بولده في تلك الأرض[٥].

وأشارت بعض المراجع الحديثة إلى أصل تسمية " الصين "؛ أنها مشتقة من الكلمة الفارسية "چـ ى ن "، وهي أيضًا أصل جميع التسميات الأوربية المعاصرة لتلـــك البـــــلاد[٦]، ويرجع الفضل في إيصال هذا اللفظ إلى أوربا؛ إلى الرحالة

(١) اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي، ج١، ص٤٠.

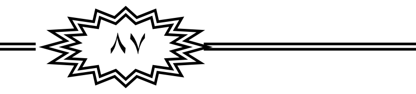
(٢)اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي، ج١، ص٤٠؛المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٤.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص١٩٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١.

(٤) معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٣٧٠.

(٥) الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢٦٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٠.

(٦) عبد الله، عبد الحميد، **سلسلة نظم التعليم الصين- الهند- ماليزيا**، تح: إيمان الدواخلي، (مط إيداع، بلامك، بلات)، ص١٥٣.



البنـــــــدقي ماركوبولو[١]، وهناك نظريات تؤكد أن أصل تسمية " الصين " مشتقة من كلمة " **تشين** "[٢]، أو تيمنًا سلالة تشين (٢٢١-٢٠٦ ق.م) [٣]. وخلاصة مما سبق يتضح أن أصل الصينيون من أولاد يافث بن نوح ﴿عليه السلام﴾.

٣- موقع وحدود الصين:

بقيت الصين مجهولة منزوية لا يسمع الناس عنها شيئًا حتى جاء العرب وذهبوا إليها، فكتبوا عنها كتاباتٍ كثيرة كانت السبب في توجيه أنظار العالم إليها، يدل على ذلك أيضًا الغربيون إذا لم يجدوا لا في كتب الرومان ولا في كتب اليونان شيئًا عن الصين، فلبثوا لا يعرفون سوى وجودها في خرائط الجغرافيا.

لذا نجد أن كتب المؤرخون والرحالة العرب كانت هي المفتاح لمعرفة تلك البلاد، وفي هذا الاطار لابد من ذكر أن الجغرافيون والمؤرخين اتفقوا على ان " بلاد الهند أوسع من بلاد الصين وهي أضعافها، وبلاد الصين أعمر، وليس للصين ولا الهند نخلٌ، ولهم سائر الشجر وثمرٌ ليس عندنا "، كما ذكر " أن بلاد الصـــين أنزه وأحسن "[٤].

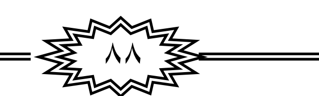
---

(١) ماركوبولو، **رحلات ماركوبولو**، ترجمه إلى الإنكليزية: وليم مارسدن، ط٢، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٥م)، ص٣٠-٣٥؛ عبد الله، سلسلة نظم التعليم الصين- الهند- ماليزيا، ص١٥٣.

(٢) **مملكة تشين:** سميت بهذا الاسم نسبَةً إلى مؤسسها " تشين شية هوانج تى "، وهي أول دولة إقطاعية موحدة، وأسس إمبراطورية سميت بـ "تشين " بعد قرابة قرنين من الحروب والصراعات، وقام هذا الملك بعدة أعمال منها: افتتاح شبكة طرق تمتد من العاصمة إلى أقصى حدود الإمبراطورية، كما أمر باستصلاح الأراضي الزراعية وحرثها، وشجع على الصناعات. هوخام، هيلدا، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ترجمة: أشرف ومحمد كيلاني، ط١، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٢م)، ص٥٩-٦٢؛ **سلسلة كتب سور الصين العظيم** ، **تاريخ الصين**، (مجلة بناء الصين، مط الأجنبية، بكين، الصين،١٩٨٦م)، ج١، ص٣٠.

(٣) عبد الله، سلسلة نظم التعليم الصين- الهند- ماليزيا، ص١٥٣.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠-٥١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٩١؛ أبو العز، آتربي وعبد العزيز حمد، **نبذة عن الصين**، (مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة- جمهورية مصر العربية)، ص١٢.



أما بن خرداذبة[١] يصف الصين بالمملكة، فيقول: " أما مملكة الصين، فإن شرقيها وشماليها البحر المحيط، وأما جنوبها مملكة الاسلام والهند، وأما غربيها فهو البحر المحيط ".

وقسم الجغرافيون العرب الأرض إلى سبعة أقاليم، وجعلوا الصين من ضمن الأقليم السابع الدُيبل والصين، وله من البروج الميزان، ومن الأنجم السبعة الشمس[٢].

أما حدود الصين، فمن الجنوب يحيط بها بلاد **الواق واق**[٣] والبحر الأعظم، اما غربها الهند والتبت، وشمال الصين يتصل بحدود التبت و**التغزغز**[٤]، وهي بلاد كثيرة الخيرات، وفيها مياه جارية، وأهل الصين أهل صناعة وأعمال بديعة، يذهب إليها الناس للتجارة بواسطة السفن[٥].

وعليه أن بلاد الصين واسعة الرقعة كثيرة المدن والقرى، وتدخل في ثلث الأقاليم؛ وذلك أن الإقليم الأول يبتدئ من المشرق من أقصى بلاد الصين ويمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب، وفيه مدينة الملك، ومرفأ السفن، ثم يمرعلى سواحل البحر في جنوب بلاد الهند[٦].

---

(١) المسالك والممالك، ص٥.

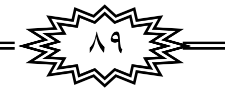
(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٩١؛ ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص٥.

(٣) **الواق واق:** هي جزر عدة في بحر الصين، وتتصل بجزار الزانج وجزيرة الواق واق جزيرة كبيرة بها شجر عِظام مثمرًا، على هيئة النساءمعلقة بشعرها، ولها ثدي وفروج كفروج النساء، ويدان حِسان ولا يزلنَّ يصحنَّ: واق واق، وإذا قطعت من الأشجار تهلك. والواق واق لا يسكنها بشر وإنما يسقط إليها أهل المراكب الندرة. الأصطخري، المسالك والممالك، ص٤٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ج١، ص٣٧؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٤٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٢-٦.

(٤) **التغزغز:** أقوام من الترك بأقصى المشرق أكبر مدنهم التغزغز وحدهم التبت والصين، وهم قوم يلبسون القطن واللبود وليس لهم بيت عبادة. ابن الفقيه، البلدان، ص١٧١؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٣٦.

(٥) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٥٠.

(٦) المروزي، أبواب في الصين والتُرك والهند، ص١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٣٧٠.



وعليه فإن أرض الصين عريضة، وتمتد من الشرق إلى بحر الهند من الجنوب، مقارنة بينها وبين بلاد الهند لتوصلنا إلى نتيجة " أن بلاد الهند أوسع من بلاد الصين وهي أضعافها(١).

واتفقت أغلب المصادر على أن الصين تقع ضمن الأقليم الأول، وطولها من المغرب مائة وأربع وأربعون، وستون درجة، وثلاثون دقيقة(٢).

إذ أن بلاد الصين واسعة في المشرق ممتدة من الإقليم الأول إلى الثالث، عرضها أكثر من طولها، وقالوا: نحو ثلاثمائة مدينة في مساحة شهرين، وأنها كثيرة المياه، كثيرة الأشجار والخيرات، وافرة الثمرات، ومن أحسن بلاد الله وأنزهها، وأهلها أحسن الناس صورة وأحذقها بالصناعات الدقيقة، لكنهم قصار المَّد وعِظام الرؤوس، لباسهم الحرير، وحليهم عظام الفيل(٣).

ولو أجرينا مقارنة بين ما ذكره في المصادر(٤)، نجد أنهم يتفقون على إن أهل الصين أجمل من أهل الهند، وهم أشبه بالعرب باللباس والدواب. وفي نفس الصدد لابد من الإشارة إلى بعض الجغرافيون(٥)، جعلوا بلاد الصين من ضمن الإقليم الأول والثالث، والإقليم الأول يأخذ من الغرب في مجالات الحبشة شاقًا البحر الهندي إلى الصين، وإن كل إقليم منها كأنه بساط ممدود،طوله من الغرب إلى الشرق، وعرضه من الجنوب إلى الشمال(٦).

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٢٩.

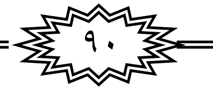
(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣.

(٣) ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٣٠؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣.

(٤) رحلة السيرافي، ص٥١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣.

(٥) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين محمد (ت٧٤٩هـ/١٣٨٤م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، ط١، (دار الكتب العلمية- لبنان، بيروت،٢٠١٠هـ)، ج١، ص٤٢٦.

(٦) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص١٩٨.



وخلاصة القول تزداد أهمية الصين من ناحية الجغرافية السياسية،أذ لو ألقينا نظرة على جيرانها لوجدنا أن الصين لها حدود مشتركة مع أربعة عشر دولة في الوقت الحاضر، وهو رقم قياسي بكل تأكيد(١). وطول الصين من الشمال إلى الجنوب حوالي (٥٥٠٠كم)، وعرضها حوالي (٥٢٠٠كم) من الغرب إلى الشرق(٢).

٣- التضاريس:

أ- الجبال:

إن بلاد الصين تجمع بين الجبال والسهول، وتتخللها صحارٍ شاسعة ومناطق خصبة، وتشكل الأنهار شبكة تصلح أن تكون فاتحة لوصف طبيعي موجز.

وعليه أشارت المصادر إلى العديد من جبال بلاد الصين ومنها **أبواب الصين**(٣) وهي إثنا عشر بابًا، وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة تمر فيها المراكب

---

(١)يمكننا ان نذكر تلك البلدان،أذ يحدها من الشرق كوريا ،ومن الشمال منغوليا،ومن الشمال الشرقي روسيا ،ومن الشمال الغربي قازاقستان وقرغيزيا وطاجيكستان،أما من الغرب وجنوب الغرب أفغانستان وباكستان والهند ونيبال وبوتان ،وأخيرًامن الجنوب يحدها ميانمار ولاوس وفيتنام.نافع ،إبراهيم، **الصين حتى نهاية القرن العشرين،** ط١، (مؤسسة الأهرام- مصر، القاهرة، ١٩٩٩م)، ص١٠.

(٢) قوانغ، شيوى، **جغرافيا الصين،** ترجمة: محمد أبو جرادن ط١، دار الدار للنشر باللغات الأجنبية، (بكين- الصين)، ص١.

(٣) **أبواب الصين:** اثنا عشر بابًا وهي جبال في البحر، فإذا جاوزت السفينة تلك الأبواب جزت في بحر فسيح وماء عذب، فلا تزال كذلك حتى تصير إلى الموضع الذي تريد من بلاد الصين، وجميع مراكب العرب تدخل منه إلى خانفوا وهو أقرب، ومن دخل من غيره بَعُدَ الطريق عليه. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٣٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٨٥.

وصولًا إلى الصين بعد أن تتخطف المراكب من **بحر الصنجي**(١) وصولًا إلى أبواب الصين ثم إلى خانفوا(٢).

ويشير لنا السيرافي(٣) إلى موضعٍ يُقال له: " **صندرفولات** "(٤)، وهي جزيرة في البحر والمسافة بينها وبين بحر الصنف عشرة أيام. أما بن الفقيه(٥) فإنه يشير إلى الجبل في هذه الجزيرة الذي يحمل الاسم نفسه، بقوله: في البحر الصنفي جبل يسمى صندرفولات، وهذا ما يؤكده لنا صاحب كتاب حدود العالم(٦) بذكره: للجبال أسماء عديدة، وكل جزء منه بأسم الناحية أو المدينة القريبة منه.

وذكر إن بآخر الصين جبال كثيرة، وملوك كثيرة، ومنها بلاد شيلا (شيلي) فيها الذهب الكثير(٧). ومن دخلها من المسلمين استوطنها؛ لطيبها، ولا يعلم ما بعدها(٨). وهناك جبلين اثنين عامرين في البحر الأعظم أحدهما يبدأ من الناحية الجنوبية وينحدر بأتجاه هذا البحر، والآخر يبدأ من ناحية الشمال منحدرًا إلى هذا البحر في مواجهة ذلك الجبلان، وهذان الجبلان المذكوران في كتب بطليوس وكل واحد منها يقع بعضه على اليابس وبعضه في الماء(٩).

---

(١) **بحر الصنجي:** وهو جملة من بحر الصين وبحر الهند، وهو متصل بالمحيط من المشرق، وهو بحر كثير الموج كثير الاضطراب بعيد القعر. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٩٨-١٩٩.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٢٩.

(٣) رحلة السيرافي، ص٢٩.

(٤) **صندرفولات:** جزيرة في البحر من جزر بحر الصين. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٦.

(٥) البلدان، ص١٦.

(٦) مؤلف مجهول، ص٢٥.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٠.

(٨) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٢-٥٦؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٠.

(٩) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص١٨.

وإن عدد الجبال في الأقاليم السبعة " مجموع ما عرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلًا، منها في الاقليم الأول سبعة عشر جبلًا، وفي الاقليم الثاني سبعة وعشرين جبلًا، وفي الاقليم الثالث إحدى وثلاثون جبلًا "[١].

وبما أن بلاد الصين يقع بين الإقليم الأول والثالث فيمكننا أن ندرك العدد الهائل الذي تتمتع به بلاد الصين من الجبال.

أما الأسم الذي لم يرد ذكره عند سليمان التاجر،أما القزويني[٢] فيذكر لنا أن أهل الصين نصبوا من رأس جبل إلى آخرهُ قنطرة في طريق حسِن على التبت، فإذا ما جاوزها يدخل في هواء يأخذ الأنفاس ويثقل اللسان، ويموت من المارين كثير من أهل التبت.

وعليه تختلف طبيعة أرض الصين من مكان إلى أُخر فأن الارتفاع بين الغرب والشرق يبدأ بأرتفاع أراضيها من التبت (٤٠٠٠م)، لتصل إلى حدود (١٠٠٠م) في السهول والهضاب[٣].

وبما أن الصين بلاد كثيرة الجبال يقطن ثلث سكانها في اماكن الجبلية، كما إن أكثر من نصف بلاد الصين تقع في اماكن جبلية[٤]. وتمتد السلاسل الجبلية من الشرق إلى الغرب[٥].

وتماشيًا مع ما تم ذكره يمكننا أن نحدد أن سلاسل الجبال بالصين تمتد بإتجاهاتٍ مختلفة بطول البلاد وعرضها، وتمتد معظم جبالها من الغرب إلى الشرق، ومن الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، ويمتد قليل منها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ومن الشمال إلى الجنوب، وهي متناثرة منتظمة على سطح الأرض مثل رقعة شطرنج[٦].

---

(١) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ص٢٠٨.

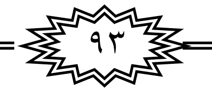
(٢) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١٤٨.

(٣) نيرهام، جوزيف، **موجز التاريخ العام والحضارة في الصين**، ترجمة محمد غريب جودة، (الهيئة المصرية العامة، القاهرة،١٩٩٥م)، ص٤١؛ أبو العز آتربي، نبذة عن الصين، ص٩.

(٤) قوانغ، جغرافيا الصين، ص١٠.

(٥) تشن، لمحة عن الثقافة في الصين، ص٣٨.

(٦) قوانغ، جغرافيا الصين، ص١٤.



ب- البحاروالأنـهار:

ذكر أن بحر الصين، والهند، وفارس، واليمن، متصلة مياها غير منفصلة. وفي هذا المقام يمكننا أن نطرح سؤال: متى توصل جغرافيين العرب لهذه الحقيقة؟ ويجيبنا أبو زيد السيرافي(١)عن هذا السؤال بقوله: " وما حدث في زماننا هذا ولم يعرفه من تقدمنا أنه لم يكن أحد يقدر أن البحر الذي عليه بحر الصين والهند يتصل ببحر الشام، ولا يقوم في أنفسهم حتى كان في عصرنا هذا فإنه بلغنا أنه وجد في **بحر الروم**(٢) خشب مراكب العرب **المخزورة**(٣) التي قد تكسرت بأهلها فقطّعها الموج وساقتها الرياح بأمواج البحر فقذفته إلى **بحر الخزر**(٤)، ثم جرى في خليج الروم ونفذ منه إلى بحر الروم والشام، فدل هذا على إن البحر يدور على بلاد الصين ...؛ وذلك لأن الخشب المخروز لا يكون إلا لمراكب سيراف خاصة ومراكب الشام، والروم مسمورة غير مخزورة "(٥).

وعليه ذكرت بحار الصين في كتب الرحالة والجغرافيين، إضافة على نوع السفن المستخدمة في كل بحر، وقيل أن بحار المعمـــــــــور ثلاثة، وأعظمها **البحرالمحيط**(٦) (٧).

---

(١) رحلة السيرافي، ص٦٤-٦٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٥؛ قوانغ، جغرافيا الصين، ص٦٤.

(٢) **بحر الروم:** جملة من بحر المحيط في الخليج الذي بين المغرب وأرض الأندلس حتى ينتهي إلى الثغور الشامية، ومقداره في المسافة سبعة أشهر وهو أحسن استقامة والتواء من بحر فارس. الأصطخري، المسالك والممالك، ص٧.

(٣) **المخزورة:** الضيق من الشيء، الخزر: ضيق العين وصغرها. ينظر: ابن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص١٤٤.

(٤) **بحر الخزر:** بحر واسع عظيم لا إتصال له بغيره من البحار، فلو أن رجلًا طاف بهذا البحر لا يرجع على الموضع الذي ابتدأ فيه، وشرق هذا البحر بعض بلاد الديلم، وغربه الأن من جبال القبق إلى حدود السرير وبلاد الخزر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٢.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٤-٦٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٧.

(٦) **البحر المحيط:** ومنه مادة سائر البحور المذكورة، وسمي بأسماء عديدة، وهو محيط بالدنيا جميعها كإحاطة الهالة بالقمر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٤.

(٧) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢١٧.

وأطلق عليه اليونانيون تسمية " أوقيانوس ". أما النويري[١] يسميه " بحر الظلمات "، وسمي بهذا الاسم؛ لأنه يتصاعد البخار منه لا تحلله الشمس؛ لأنها لا تطلع عليه فيغلظ ويتكاثف فلا يدرك البصر هيئته، ولعظم أمواجه. وهذا البحر من جهة الشرق وراء أقاصي أرض الصين فإنه غير مسلوك ويتشعب منه خليج يكون منه البحر الذي يسمى في كل موضع من الأرض التي تحاذيه، فيكون ذلك أول بحر الصين ثم الهند، وخرج منه خلجان عظام يسمى كل واحد منها بحرًا على حدة كبحر فارس والبصرة[٢].

ويسمى البحر الرومي والآخر من جهة المشرق ويسمى البحر الصيني، أو " الصنجي "، وآخر من يسميه " الصنف "[٣]، كما يسمى بالهندي والفارسي، ويسمى بأسم ما يمر عليه من البلاد[٤]. وهما المرادان بقوله تعالـــى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَان﴿ ١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَــان ﴾[٥].

[مرج البحرين] خلط البحر العذب والبحر المالح [يلتقيان] يجتمعان،[بينهما برزخ]حاجز من قدرة اللة،[لايبغيان]لايختلطان ولا يُجاوزان ماقَدر اللة لهما ،فلا المالح يختلط بالعذب ،ولا العذب يختلط بالمالح[٦].

وبحر الصين (الصنجي) وهو بحر متصل بالبحر المحيط، حده من المشرق إلى القلزم، ومنه إلى المغرب وليس على الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، وهو بحر كثير الموج عظيم الإضطراب بعيد العمق، وقيل أن بحر الصين إذا أخر هيجانه يستدل على ذلك بارتفاع السمك من قعره إلى سطح الماء، وإذا دنى سكونه بيّض طائر مشهور في البر في مجمع القرى وهذا الطائر يدعى في الوقت الحالي

(١) نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢١٧.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٥ح ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١٠٠.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٧.

(٤) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢١٨.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ﴿١٩-٢٠﴾.

(٦)الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،مج١،ص١٠٥٤.

(السمام)، وهو طائر لا يصير إلى الأرض أبدًا ولا يعرف لجة البحر، ووقت سكون البحر وقت بيضه[١].

وذكرت المصادر رواية أخرى نستدل بها على هيجان البحر وهو " إذا كان البحر في أول هيجانه ظهر فيه بالليل أشخاصٌ سود طول الواحد منهم خمسة أشبار وأقل من ذلك، يصعدون إلى المراكب ولا يضرون أحدًا، فإذا عاينهم **السفار**[٢]، أيقنوا بالدمار[٣] "؛ وسبب هيجان البحر واضطرابه هو قدوم الريح التي تسمى ريح الخب[٤][٥].

أما بن الفقيه[٦] فيذكر أن أول البحار إلى بلاد الصين بحر صنجى وفيه حياتٌ ربما ابتلعت البقر والرجل، فهو أشد البحار كلها، وللصيادين شباك في قعر البحر، فأهل المراكب إذا أرادوا بلاد الصين سألوا الصيادين عن الريح فيخبرونهم بهيجان البحر وسكونه؛ لأنهُ بحرٌ إذا هاجَ فيهِ الريح قليلٌ من سلم [٧].

ويذكر أبو زيد السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر[٨] المراكب تخطف إلى بحر يقال له صنجى، ثم إلى أبواب الصين. والبحر الهندي المعروف بالبحر الصيني الخارج من جهة الشرق فإن مبدأ خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاث

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١٠١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص٣٧٠.

(٢) **السفار:** مفردها السافر، وهو المسافر. النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٤.

(٣) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٤.

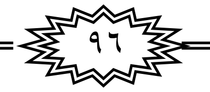
(٤)**الخب:** ريح خبيثة وخوفه تهب على البحر الصيني. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٤.

(٥) المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج١،ص١٢١.

(٦) كتاب البلدان، ص١٦.

(٧) ابن الفقيه، البلدان، ص١٦.

(٨) رحلة السيرافي، ص٢٩.



عشر درجة، ويجري إلى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين(١)، ويجتاز بلاد الواق واق، حتى يصل إلى **بلاد البربر**(٢)، وهناك حجزه(٣).

ومن الجغرافيون من يسمي الجزء الشرقي من بحر الصين " بالبحر الأخضر "، أو الأوقيانوس المشرقي وحده المعلوم يبتدئ من آخر العمارة في الجنوب فيمر بخط الاستواء، فمبدؤه من **لوقين**(٤)، ثم إلى **خانفوا**(٥) فرضة الصين العظمى حتى يصل إلى بلاد الهند ... ثم إلى **باب المندب**(٦)(٧).

أما المدينة التي ينقسم عندها بحر الصين فهي خمدان (٨)، وهذا البلد يخرقه نهر كبير يقطع البلد إلى نصفين فيكن الملك وحواشيه وجنوده وأتباعه في أحد الشقين، وفي النصف الآخر مساكن الرعايا والأسواق(٩).

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص١٩.

(٢) **بلاد البربر:** بلاد واسعة من برقة إلى آخر بلاد المغرب والبحر المحيط. سكانها أُمة عظيمة يقال أنهم من بقية قوم جالوت، ومن بحر القلزم على أرض البربر، ثم يتصل بالجانب العربي الذي يقابل أرض اليمن حتى يمد بأرض الحبشة. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٨؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٦٤.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٢؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٣.

(٤) **لوقين:** وهي أول مرافئ الصين، ومن مدينة لوقين إلى إلى مدينة خانفوا مسيرة أربعة أيام في البحر وعشرين يومًا في البر، وهي أعظم مرافئ الصين، وبها ملك مهاب، له مملكة شامخة وفيلة كثيرة، وأسلحة، وأهلها يأكلون الرز والألبان. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٥.

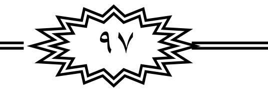
(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٦٢؛ سلطان،طارق بن فتحي،**ميناء خانفوا**،بحث منشورفي مجلة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية ،العدد٣٤،رجب ١٤٢٦هـ.

(٦) **باب المندب:** وهو جبل طوله إثنا عشر ميلًا، وسعة فوهته بمقدار إن الرجل يرعى صاحبه في البحر الآخر، ويقال أن باب المندب فرضة بين جبلين. النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٦٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، ص٣٥٠.

(٧) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص١٢؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ص٢٢٣.

(٨) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص١١٣.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣.



أما البحر الصيني المسمى ببحر "الصنجي "، ومن الناس من يسميه " الصنف "، وهذا البحر رأسه ومبدؤه من البحر المحيط المسمى هناك بالبحر **الزفتي**(١)، وبحر الصنف تسمى به جزيرة من جزر المدينة وهو بحرٌ خبيث كثير الأمطار والرياح شديدة، وفي جبالها معادن الذهب والرصاص(٢).

وبعرض هذا البحر جبل الذي يتوقد ليلًا ونهارًا، أو يسمع فيه مثل قواصف الرعد ذوي الأصوات الهائلة التي تدل على هلاك ملكهم(٣). ومما يلي بحر الصنف بحر دارلاروى وبحر هركند(٤).

وذكر العديد من المؤرخين(٥) رواية عن هذا البحر ألا وهو من عجائب بحر الصين، إن فيه نوعًا من السراطين يخرج منها كالذراع والشبر، فإذا بان عن الماء وصار إلى البر عاد حجًرا، أو انقلب عن الحيوانية، وهو يدخل في كحال العين، ويفسر لنا حسين فوزي(٦) هذه الرواية بقوله: " وهو حجر معروف يجلب إلى العراق وسائر الدنيا، وهو من الأدوية في جلاء البياض من العين "، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الجغرافيا العربية، أو عجائب الرحلات من إيراد هذه الحكاية.

أما **بحر كدرنج**(٧) ويذكر: " ثم تَخطّفُ المراكب إلى موقع يقال له كدرنج قدرعشرة أيام، وبها جبل مشرف وربما كان فيه **الهُراب**(٨) من العبيد واللصوص "(٩).

---

(١) **الزفتي**: سمي بهذا الاسم؛ لأن ماؤه كدر، وريحه عاصفة، والظُلمة لا تزال واقعة عليه في أكثر الأوقات. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٧.

(٢) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٢٥٩.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٨.

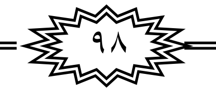
(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٥.

(٦) حديث السندباد القديم، ص٥٨.

(٧) **بحر كدرنج**: جملة من بحر الصين التي بينها وبين بحر الصنف عشرة أيام. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٨) **الهُراب**: بمعنى اللصوص وقُطّاع الطرق. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨.



واستنادًا إلى كل مما سبق، نجد إن بلاد الصين تحيط بها شبكة واسعة من البحار تغذي أراضيها لما تحتاجه من مياه عذبة أخرى لأرواء أراضيها الزراعية. وسميت كل مدينة أو جزيرة على اسم البحر أو النهر الذي يمر في أراضيها.

ت- مدن وجزر الصين:

بلاد الصين واسعة الأطراف كثيرة المدن، ومنها في البر وهي المدن، ومنها في البحر وهي الجزر، وللصين ثلاثمائة مدينة عامرة كلها، منها تسعون مدينة مشهورة وقيل:الصين كلها عمارة[١]. ومن أهم المدن التي كانت على سواحل البحر الصيني والتي كانت موانئها مرافئ للسفن العربية القادمة من الشرق هي " خانفوا "[٢]، وذكرت هذه المدينة بصيغ مختلفة في كتب الجغرافيين والرحالة، فذكرت عند سليمان التاجر[٣] بأسم " خانفوا "، و " خانقو "، أما المسعودي[٤] فذكرها بصيغة " خانفو "، أما أبي الفداء ذكر سميت خانفوا في زمن ما"بالخنساء "[٥].كما وسميت أيضًا"كانتون" ، وهي تسمية حديثة جاءت من التجار العرب، وقد اعتمدتها المراجع الحديثة[٦].

وخانفوا مدينة عظيمة ترسوا بها المراكب، وفيها مياه عذبة وأودية، ومسالح، وأسواق في كل ناحية[٧].

---

(١) السيرافي،رحلة السيرافي،ص٥١؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٩.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨.

(٣) للمزيد من التفاصيل الروجوع إلى ص٢٣، ٣٠.

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٤؛ عثمان، شوقي عبد القوي، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية** (٤١-٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م)، (عالم المعرفة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص١٩٩.

(٥) تقويم البلدان، ص٣٦٣.

(٦) ول ديورانت، قصة الحضارة ،مج١، ج٤، ص٢١٦.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، ص١٩٩. ينظر الملحق رقم (١١).

وبين هذه المدينة وبين بحر الصين مسيرة ستة أيام أو سبعة، تدخل هذا النهر سفن التجارة الواردة من بلاد البصرة وسيراف، وعُمان ومدن الهند وجزر الزابج[١].

وكانتون أهم مدينة للتجارة في جنوب الصين[٢]، فقد كانت أول ما يتوقف عنده الرحالة والتجار العرب القدامى الذين قصدوا بلاد الصين[٣]. وفي كانتون خلائق من الناس مسلمين، ونصارى، ويهود، ومجوس[٤].

وتمتاز خانفوا بمساحتها الواسعة، وذكر أن تحتها عشرون مدينة[٥]، كما وصف بأنها مدينة من أعظم مدن الصين؛ أذ وصفت بأنها مدينة بديعة البناء، بَهِجة الأسواق، حَسنة البساتين والرياضات، كثيرة الفواكه، ويصنع بها العقار الصيني، وثيباب الحرير، ويحكمها ملكٌ حَسن السيرة، عادلٌ في رعيته، رفيعٌ في همته، قادرٌ في سلطانه، مهيبٌ في ارادته[٦].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨؛ أبي الفداء، البلدان، ص٣٦٣.

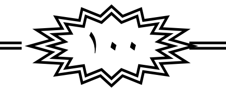
(٢) أبو العز، نبذة عن الصين، ص١١؛ عثمان، المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، ص١٩٩.

(٣) هويدي، الاسلام في الصين، ص١٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٣١.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢١٠.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢١٠-٢١١.



أما مدينة لوقين تقع على بحر يحمل الاسم نفسه، وهي من المدن المشهورة بين فرضة الصين، ومن الصنف إلى لوقين وهي أول مرافئ الصين مائة فرسخ في البر والبحر[١].

وفيها الحرير الصيني والأرز، ومن لوقين إلى خانفوا عشرين يومًا في الـــبر، والعرض يقرب من خط الإقليم الـــثاني[٢].

أما مدينة " سنجو " **الزيتون**[٣]، وهي مدينة عظيمة كبيرة، مرساها من أعظم مراسي الدنياوأعظمها، وهو خور كبير يدخل في البر حتى يختلط بالنهر الأعظم، وفي هذه المدينة وجميع بلاد الصين، يكون للإنسان بها البستان والأرض ودارهُ في وسطها. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه المدينة ليس بها زيتون، ولا في جميع بلاد أهل الصين، ولكنه اسم وضع عليها[٤].

أما مدينة **خانجوا** (خانكو) [٥]، تقع على الساحل من بحر الصين، في الجانب الشرقي شمال الزيتون، وتقدر المسافة بينها وبين مدينة لوقين مسيرة أربعة أيام في البحر، وعشرين في البر، وهي من اعظم مرافئ الصين[٦].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٦؛ عثمان، المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، ص٢٠٠.

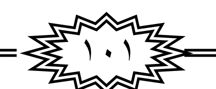
(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٦؛ المغربي، الجغرافيا، ص٤٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٦٠-٦١؛ أبي الفداء، تقويم البلدان، ص٣٦٣.

(٣) **مدينة الزيتون:** إحدى مدن الصين، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات وهذه مدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد الهند والصين، ولكنه اسم وضع عليها، ومرساها من أعظم مراسي الدنيا. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣١٨.

(٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣١٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١؛ عثمان، المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، ص١٩٨،

(٥) **مدينة خانجوا:** وهي من مدن الصين الساحلية، والمسافة من خانفوا إلى خانجوا مسيرة ثمانية أيام، وفيها الفواكه كلها والبقول، والحنطة، والشعير، والأرز، وقصب السكر. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٠٩.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٥٨٤.



أما مدينة خمدان من مدن الصين العظيمة بينها وبين خانفوا مقدار شهرين[١]، وهي مدينة الملك، كما إنها بلاد واسعة، " وأهله كُثر مقسومين على قسمين يفصل بينهما شارع طويل عريض، فالملك ووزيره وجنوده وقاضي القضاة وخصيان الملك وجميع أسبابه في الشق الأيمن منه وما يلي المشرق لا يخالطهم أحد من العامة ولا فيه شيء من الأسواق، ومنازلهم منيعة وأشجار عليها منتظمة[٢]. اما الشق الأيسر مما يلي المغرب: الرعية، والتجار، والأسواق، وإذا وضح النهار رأيت **قهرمانة**[٣] الملك وأسبابه وغلمان داره، وغلمان القُوّاد ووكلائهم من بين راكبٍ وراحل قد دخلوا إلى الشق الذي فيه الأسواق والتجار، فأخذوا وظائفهم وحوائجهم، ثم انصرفوا فلم يعد أحد منهم إلى هذا الشق إلا في اليوم الثاني "[٤]. ولم يذكر لنا أبو زيد السيرافي المسافة لهذه المدينة، وقدر مساحتها، إذ الطول مائة وثمانون درجة[٥]. وقد أعتبرت هذه المدينة من أهم المحطات التجارية؛ وذلك لوجود نهر خمدان بالمدينة والذي يتصل من خلالها بمدينة خانفوا[٦].

وخمدان هي مدينة الملك وحولها مائة وعشرين قرية، وللمدينة أربعة أبواب وإذا ركب الملك ركب معه ثلاثون ألف فارس، ويقال أن لملك الصين ثلاثمائة وستون مدينة يُحمل إليه كل يوم خَراج مدينة وكسوة لخاصته[٧].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٣.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣.

(٣) **قهرمانة**: وهو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفُرس. أبن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م)،**النهاية في غريب الحديث والأثر**،تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٤، ص٢١٣.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٤.

(٥) المغربي، كتاب الجغرافيا، ص١٠٩.

(٦) المروزي، أبواب الصين والتُرك والهند ، ص١٤.

(٧) المروزي، أبواب الصين والتُرك والهند ، ص١٤.

أما من جزر الصين أذ تعد اغلب جزرها مشتركة الحدود بين الهند والصين أذ تطلق عليها اليوم تسمية الجزر الهند الصينية ومنها جزيرة لنجبالوس ، وذكر اسمها عند الجغرافيون والرحالة أيضًا بصيغ عديدة، فذكرت عند سليمان التاجر[١]" لنجبالوس "، وعند الإدريسي[٢] "لنكيالوس "، أما عند النويري[٣]" لنجبلوس "، وفيها خلقٌ كثير، مشوهوا الصور، سُود الوجوه؛ لقربها من خط الاستواء، والرجال منهم والنساء عُراة، غير أن على عورة المرأة ورقًا من أوراق الشجر، فإذا مرت بهم المراكب جاءوا إليها بالقوارب الصغار والكبار وبايعوا أهلها العنبر والنارجيل بالحديد وما يحتاجون إليه من كسوة؛ لأنه لا حر عندهم ولا برد[٤] أما المسافة من جزيرة سرنديب إلى جزيرة لنجبالوس مسيرة عشرة أيام[٥]

وذكر: " فإذا جاوز بحر هركند صاروا إلى موضع يقال له لنجبالوس لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من اللغات، وهم قوم يلبسون الثياب بيضًا **كواسج**[٦] وذكروا إنهم لم يروا منهم النساء، وذلك أن رجالهم يخرجون إليهم من الجزيرة في زواريق منقورة من خشبة واحدة، ومعهم النارجيل، وقصب السكر، والموز، وشراب النارجيل، أو "الخمر"، وهو شراب أبيض، فإذا شرب ساعة يؤخذ من النارجيل، فهو حلو مثل العسل، فإذا ترك ساعة صار شرابًا وإن بقى أيامًا صار خلًا ".[٧]

---

(١) رحلة السيرافي، ص٢١.

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٢.

(٣) نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٥.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢١.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٣

(٦) **الكواسج:** الكوسج الذي لا شعر على عارضيه. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط٤، (مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص٨٠٥.نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٢.

(٧) السيرافي،رحلة السيرافي ،ص٢٧.

وذكر في المصادر أن المراكب تسير إلى موضع يقال له: " تيومة "(١) ،وبها ماء عذب لمن أرادهُ والمسافة بينها وبين مملكة الزايج مسافة عشرة أيام ،أما عند ابن خرداذبة(٢)ذكرت بصيغة " تيومة "، ويذكر أن المسافة التي بينها وبين مدينة قمار مسيرة خمسة أيام، وفيها العود الهندي والكافور .

أما جزيرة صندرفولات جزيرة عظيمة في البحر(٣) ،وذكر في مصدر اخر بصيغة "صندى فولات"(٤)، فيها ماء عذب طولها حوالي مائتين ميل ،وأوسعها رأسها الشمالي وهو نحو مائة وخمسين ميلًا، وفي جنوبها **جزيرة الصنف**(٥).

كما يذكر لنامعلومات عن هذهِ الجزيرة لم يرد ذكرها عند سليمان التاجر ،أذ يشير إلى نباتات هذهِ المنطقة هي الأرز والنارجيل(٦)،وملكهم يقال له: زنبد واهلها يلبسون **الفوط**(٧)،تأزرًا وتوشيحًا، وجزيرة صندى فولات تحيط بها من جهة الصين جبال وعرة، أمـــا الريـــــاح تكون بهـــــا عـــاصفة(٨).أما جزيرة الـــــصنف(٩)،

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢١؛ابن الفقيه، البلدان،ص١٢

(٢) المسالك والممالك،ص٢٨.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩.

(٤) الأدريسي،نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،ج١،ص٨٩.

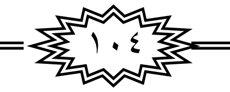
(٥)**جزيرة الصنف:** موضع في بلاد الصين ينسب إليه العود الصنفي.السيرافي،رحلة السيرافي،ص٢٩؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣١؛ القزويني ،آثار البلاد وأخبار العباد ،ص٩٧.

(٦)الأدريسي،نزهة المشتاق في أختراق الأفاق،ج١،ص٨٩.

(٧) **فوط:** كلمة هندية بالأصل دلت على الفارسية، وهو ثوب قصير غليظ يكون مؤزرًا يجلب من السند. إبراهيم، رجب عبد الجواد، **المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث**، تقديم: محمود فهمي حجازي، (دار المعارف العربية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٣٦

(٨) **الأدريسي**،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٩.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٧؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١، ص٢٢٦.



فقد أشار اليها سليمان التاجر[١] بذكره تخطف المراكب إلى موضع يقال له:كدرنج ،ثم إلى موضع يقال له:الصنف مسيرة عشرة أيام ،وبها ماءعذب ومنه يؤتى **بالعود الصنفي**[٢]وبها ملك، وهم قوم سُمر يلبس كل واحدٍ منهم قوطتين، ومن الصنف إلى لوقين وهي أول مرافئ الصين مائة فرسخ في البر والبحر وفيها الحصير الصيني، وبها الأرز[٣].

ويمكننا أن نفسر أن الحدود السياسية لبلاد الهند قد وصلت ألى الحدود الغربية لبلاد الصين ،لذلك وأن جزيرة الصنف من جزر الهند وبها العود الصنفي وهو أفضل من القماري؛لأنهُ يغرق في الماء لجودته وثقلهُ[٤].

اما جزيرة النساء فلم تخلوا كتب الجغرافيون والرحالة بذكر هذهِ الجزيرة؛إلا أننا لم نجد لها ذكر عند أبو زيد السيرافي، أذ ذكر جزيرة النساء بأنها جزيرة في بحر الصين فيها نساء لا رجل معهن أصلًا، إذ هُنَّ يلقحنَّ من الريح ويلدن النساء مثلهنَّ، وقيل: يلقحنَّ من ثمرة شجرة عندهنَّ يأكلنَّ منها فيلقحنَّ ويلدنَّ النساء. أما مساحة هذه الجزيرة، فطولها من الشرق إلى الغرب بإنحراف إلى الجنوب، نحو مائتين وخمسين ميلًا، وعرضها في الوسط نحو مائة وعشرين ميلًا، طول ثمان وثلاثون درجة، والعرض ستون درجة من خط الاستواء وإن الذهب في عروقها كعروق الخيزران وترابها كله ذهب، ولا التفات للنساء لذلك[٥] .

وروي أنه وقع إليهنَّ رجل فهممنَّ بقتله، فرحمته امرأة منهن وحملتهُ على خشبةٍ في البحرِ، فأدارتهُ الأمواج حتى أتت به بعض بلاد الصين، فوصل إلى ملك الصين

---

(١) رحلة السيرافي،ص٩٧؛ ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج٣،ص٤٣١.

(٢) **العود الصنفي:** أجود أنواع العود أبيض اللون تطبع فيه الكتابة. المغربي، الجغرافيا، ص١٩.

(٣) ابن خرداذبة ،المسالك والممالك ،ص١٦؛الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٩.

(٤) الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار ،ص٣٥٩.

(٥)ابن الوردي ،خريدة العجائب وفريدة الغراغب ،ص٥٠؛المغربي،الجغرافيا،ص٦٩؛القزويني ،آثار البلاد وأخبار العباد ،ص٣٣؛الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار،ص٣٧٠.

وعرّفهُ حال الجزيرة، وجهز إليها المراكب فأقاموا يطوفون في البحر ثلاثة أعوام يطلبونها فلم يقفوا لها على أثر [١].

وهذا إن دلَّ فيدل على أن تلك الرواية من نسج الخيال ومن قصص الخرافات والأساطير التي وردت في كتب المصادرإلا أننا لم نجد لهُ ذكر لدى السيرافي هذا فأن دل فيدل على أن ابو زيد جاءت كتاباتهُ بعيدة عن قصص الخيال.أذ ذكر في ذيل كتابهُ[٢]:"فهذا أجمل ما لحقهُ الذكر في ذلك الوقت على سعة أخبار البحر ،مع التجنب لحكاية شيءمما يكذب فيه البحريون ،ولا يقوم في نفس المرء صدقه، والاقتصار من كل خبر على ما صحَ منهُ وان قل أولى".

وعليهِ أن أسطورة جزيرة النساء من أقدم الأساطير وأوسعها ذيوعًا في الشرق والغرب، ويظهر أن أُساسها ديني، فقد كانت عبادة الآلهة اليونانية والرومانية، تقتضي أن يهب كاهنتها وعذراها حياتهنّ لها هيبة كاملة، فيعشنَّ في عُزلة عن الرجال. فالرهبنة الوثنية سبقت الرهبنة المسيحية بقرون، وفي بعض هذه الأخيرة تنقطع النساء عن العالم انقطاعًا تأمًا وراء أسوار عالية[٣].

وعليه ان لأهل الصين في كل موضع لهم مدن محصنة عظيمة ،وكما ذكر في مقام آخر:الصين كلها عمارة [٤]، وذكر في موضع آخر"مملكة الصين واسعة الرقعة كثيرةُ المدن والأمصار والقرى"[٥] .

وذكر أبو العز أتربي[٦] ليؤكد لنا ما ذكرهُ الجغرافيون العرب بذكرهِ"أن بلاد الصين إذا لم تكن أقدم بلاد العالم بأسره ،فهي ولا شك من أقدمها وأسبقها إلى المدنية والعمران".

---

(١) الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار،ص٣٧١،٣٧٠.

(٢) رحلة السيرافي،ص٩٤.

(٣) فوزي، حديث السندباد القديم ،ص١١٠.

(٤) السيرافي،رحلة السيرافي،ص٥١.

(٥) المروزي،أبواب في الصين والتُرك والهند،ص١.

(٦) نبذة عن الصين،ص١٢.

وتماشيًا مع كل ما تم ذكره، تبين أن بلاد الصين واسعة الأرجاء، غنية بجزر ومدن عديدة، وتحتضن أُناس من مذاهب شتى، وتحتضن التجار الوافدين إليها من جميع بقاع المعمورة، وأرضها تنعم بالخيرات والعدالة في ظل ملكها على حسب ما ذكر في الكتب التاريخية[١].

٤- المناخ:

يتميز مناخ الصين بمواسم من الجفاف والرياح الموسمية الرطبة، مما يؤدي إلى اختلاف في درجات الحرارة بين الشتاء والصيف، ففي فصل الصيف تجلب الرياح الجنوبية من المناطق البحرية الدفئ والرطوبة، أما في فصل الشتاء تجلب الرياح الشمالية الباردة والجفاف، وإن اتساع مساحة البلاد وصعوبة تضاريسها إلى اختلاف المناخ من مكان إلى آخر داخل الصين. ويذكر لنا سليمان التاجر[٢] مقتطفات عن بلاد الصين، فيذكر إن بلاد الصين أنزه وأحسن من بلاد الهند، والصين مدينة محصنة عظيمة، وبلاد الصين أصح وأقل أمراضًا وأطيب هواءً لا يكاد يرى بها أعمى ولا أعور ولا من به عاهة، وهكذا كثير ببلاد الهند[٣].

استنادًا مما ذكر إن سليمان التاجر قد ذكر لنا أن مناخ الصين أفضل وأحسن هواءً وأطيب في العيش، ولابد من الاشارة إلى ما ذكره المسعودي[٤]، عند قرب دخول الاستواء الخريفي تكثر أمواج بحر الصين بفعل الرياح القوية، ويتميز الصين بهبوب الرياح الموسمية وتباين أنواع المناخ ومنها الرياح الموسمية الشتوية التي تهب في فصل الشتاء جالبة معها كتلًا جافة- باردة من الهواء بفعل ضغط الهواء العالي عبر بر الصين إلى البحر في الجزء الجنوبي منها؛ وذلك بسبب أن درجة الحرارة على اليابسة أقل مما هي على المحيط[٥].

---

(١) عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، ص٢٠٣.

(٢) رحلة السيرافي، ص٥١؛ عبد الفتاح، سلسلة نظم تعليم الصين الهند ماليزيا، ص١٥٢.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥١.

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٩١.

(٥) قوانغ، جغرافيا الصين، ص٤٥.

أما الرياح الموسمية الصيفية، تهب في فصل الصيف من المحيط على البر الصيني بسبب؛ أن الهواء فوق اليابس أدفأ مما هو عليه فوق المحيط والضغط الجوي منخفظ[١].

ويذكر الإدريسي[٢]، أن مناخ البحر الصيني رياح عاصفة كثيرة الأمطار، وريحه بحرية تجري ستة أشهر دائمًا، ثم تنقلب إلى ريح أخرى، ومن هول تقلب الرياح توحش أهلها وانقطاعهم عن مجاورة الأمم الأخرى.

ولابد من الاشارة إلى أن النويري[٣]، قد وضح لنا شيئًا عن بلاد الصين، فيقول: لامتداد أرض الصين وكثرة بلادهم ولما كانت بلادهم موضوعة في مشارق الشمس كانت أهويتها صافية، ومياهها باردة عذبة، وشربتها طيبة، وإذا كانت بهذه الصفة كانت سكانها وعُمّارها كذلك[٤].

وتقع أراضيها في المنطقة الشبه استوائية التي تمتاز بغزارة أمطارها طوال أيام السنة، ومن جانب آخر تمتاز بعض جهاتها بشتاءٍ طويل وصيفٍ قصير[٥].

ويقع الجزء الأكبر من أراضي الصين في المنطقة الدافئة الشمالية؛ ولذلك يسودها المناخ الموسمي بوضوح، ويتغير اتجاه الريح بصورة جلية في موسمي الصيف والشتاء، ناهيك عن تأثير الأراضي الداخلية فسيحة الأرجاء بالمناخ القاري بصورة كبيرة نسبيًا[٦]، وعليه تميز مناخ الصين بالتنوع نسبة إلى إتساع مساحة أراضيها.

---

(١) قوانغ، جغرافيا الصين، ص٤٦.

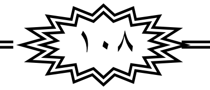
(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٧.

(٣) أبواب في الصين والتُرك والهند ، ص٢.

(٤) المروزي، أبواب الصين والترك والهند، ص٢.

(٥) سلطان، طارق فتحي، **العرب والصين في القرون الوسطى "دراسة سياسية حضارية" (١-٧٦٩هـ/٦٢٢-١٣٦٨م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٢٠-٢١.

(٦) تشن، لمحة عن الثقافة في الصين، ص١٣٨.



الفصل الثاني: رحلة أبي زيد السيرافي.

- **المبحث الأول: خط سير رحلة سليمان التاجر.**
- **المبحث الثاني: وسائل النقل البحري ودورها في انتعاش التجارة مع بلاد الهند والصين.**
- **المبحث الثالث: المعاملات التجارية المتبادلة بين العرب وبلاد الهند والصين.**



الفصل الثاني
رحلة أبي زيد حسن السيرافي

المبحث الأول
خط سير رحلة سليمان التاجر

كان للموقع الجغرافي الذي تتمتع به بلاد العرب أثرًا كبيرًا في تنشيط التجارة مع جميع البلدان وبالأخص بلدان المشرق؛ وذلك لإتصال البحر الفارسي (الخليج العربي) مع بحار الشرق، إذ يقول أبو زيد السيرافي[١] مؤكدًا على هذه الأهمية: " مما حدث في زماننا هذا ولم يعرفه من تقدمنا أنه لم يكن أحدٌ يقدر إن البحر الذي عليه بحر الصين والهند يتصل ببحر الشام ولا يقوم في أنفسهم حتى كان في عصرنا هذا ".

ويؤكد هذا القول من جاء بعده من الجغرافيين بقولهم: " إن بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة، إلا أن هيجانها وركودها مختلف "[٢].

وهذا ما شجع العرب أن يسلكوا منذ القدم تلك الطرق وقدّموا وصفًا جغرافيًا مفصلًا كلاٌ حسب اختصاصه، فمنهم من كتب عن الجغرافيا بشكلٍ عام، ومنهم من كتب عن البحار بشكل خاص. ولهذا نجد إن النشاط التجاري كان قائمًا على قدمٍ وساق بين بلاد العرب وبلدان المشرق وزاد ذروته بعد قيام الخلافة العباسية في العراق سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م).

---

(١) رحلة السيرافي، ص٦٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٥.

١- مرافئ ومسارات الرحلة:

ذكرت المصادر أنهُ من يرد السفر عن طريق البحر إلى بلاد الهند والصين فعليه أن يقطع سبع أبحر بمحطاتها ومساراتها وموانئها المختلفة، وكل بحر من تلك البحار لها لونها وريحها يختلف عن الذي يليه من بحار، فأول تلك البحار هو الخليج العربي حتى يصل إلى نهاية المطاف وصولًا إلى البحر السابع وهو بحر (الصنجي) بحر الصين[(١)].

ودونت أول تلك الرحلات بقلم سليمان التاجر لتكون كتاباته أروع ما دُوّنَ في العصور الوسطى عن رحلات إلى بلاد الهند والصين، ثم تكرر وصفه في كتب بن الفقيه والمسعودي[(٢)] وعليه سنورد تلك الرحلة بالتفصيل.

أ- الرحلة من بحر فارس إلى بحر لاروى:

كانت البصرة و**سيراف** من أهم موانئ الخليج الفارسي إلى الشرق الأقصى، وتعد الأبُلة ميناء للبصرة أي ترسوا عليها المراكب الكبيرة التي لا تستطيع الصعود إلى البصرة، وكانت زمن الفتح الإسلامي مرفأ السفن من الصين والهند وعُمان والبحرين[(٣)].

وذكر إن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف وأن المتاع يُحمل من البصرة وعُمان وغيرها إلى سيراف ويعبأ في السفن الصينية بسيراف[(٤)]؛ وذلك لأن أهلها

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٨؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٤٦-٤٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٤٦؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٠٢.

(٢) ابن الفقيه، البلدان، ص١١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٧؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦١.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤ ؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **فُتُوح البلدان**، تح: شوقي أبو خليل، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق،١٩٩٧م)،ص٤١٩؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٦.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤.

أعرف الناس برئاسة البحر وأهلها يفضلونها على البصرة؛ لشدة عمارتها ولباقة أسواقها ويسار أهلها، وتعد دهليز الصين دون عُمان وخزانة فارس وخراسان(١).

والمسافة من سيراف إلى عُمان في البحر من خمس إلى عشر فراسخ في عرض البحر(٢)، و تجني السلطات كل عام حوالي ربع مليون دينار مُكوسًا تجارية على السفن الداخلة إليها(٣).

ولا تصل السفن الكبيرة إلى موانئ البصرة والأُبلة؛ وإن خبر الموضع المعروف **بالجرارة**(٤) وهي داخلة من البحر إلى البر تقرب من نحو بلاد الأبُلة، ولهذه الجرارة اتخذت **الخشبات**(٥) من فم البحر مما يلي الأبلة و**عبّادان**(٦) وعليها أُناس يوقدون

---

(١) الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٤، المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ١٥٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٢٢.

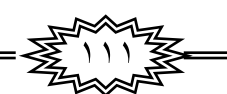
(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ص١٦٦.

(٣) فهمي، نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية محطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص١٢١.

(٤) **الجرارة:** موضع بمنتهى بلاد الأبلة وهي داخلة من البحر إلى البر وتقرب من نحو بلاد الأبلة، ومن أجلها ملح الأكثر من أنهار البصرة، ولهذه الجرارة اتخذت الخشبات. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٣.

(٥) **الخشبات:** أو المنار، أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المجانيق، وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضيقة ويرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعًا في الموضع المعروف بالكفلاء في أول الخليج العربي ، وعلى قمته حجارة وقرميد مقاومته على عمد من خشب كأنها سقف يسكنها الناظور، وكان الغرض منه شيئين: **أحدهما** أنه بُني بجهة ضحلة يضيق البحر عندها، فإذا بلغتها سفينة كبيرة ارتطمت بالأرض، لذى يشعلون بالليل سراجًا في زجاجة حتى لا تطفئهُ الرياح؛ لكي يراه الملاحون من بعيد فيحتاطون وينجون، و**الثاني**؛ ليعرف الملاحون الاتجاه وليحول القرصان اتجاه السفينة؛ خيفة انكسارها لرقة الماء، ويقال الذي بناه تاجر كبير، وآخر يقول بناه أحد الملوك. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٦؛ ناصر خسرو، سفرنامة، ص١٦٩؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص٣٣.

(٦) **عبادان:** جزيرة تحت البصرة قرب البحر، إذ أن الشط ينقسم هناك إلى قسمين مما يجعل بلوغها متعذرًا من أي ناحية بغير عبور الماء، ومن عجائبها أن لا زرع بها ولا ضرع. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٧٤.



النار بالليل على خشبات ثلاث كالكراسي في جوف الليل؛ خوفًا على المراكب الواردة من عُمان وسيراف وغيرها أن تقع في تلك الجرارة فلا يكون بها خلاص(1).

لذى يفسر لنا سليمان التاجر ذلك إن المراكب كانت تبحر من سيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر، وقلة الماء في مواضع منه ولم يشير إلى موضع الجرارة، كما وصف عند المسعودي.

لذى تحمل البضائع بسفن صغيرة من البصرة إلى سيراف والمسافة بين البصرة وسيراف في البحر مائة وعشرون فرسخًا، فإذا عُبِّئ المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء، و**خطفوا**(2) المراكب إلى موضع يقال له مسقط وهو آخر عمل عُمان(3).

ولم يشر سليمان التاجر إلى أن المراكب وقفت عند محطات وموانئ أخرى قبل وصولها إلى عُمان منها ميناء **هرمز**(4)، وميناء **ظفار**(5) وغيرها.

---

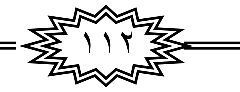
(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص83؛ ناصر خسرو، سفرنامة، ص169؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص33؛ متز، آدم، **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام**، ترجمة: محمد عبد الهادي، ط5، (دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان)، ص441؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص206.

(2) **خطفوا**: وهذه لفظة يستعملها أهل البحر يعني يقلعون إلى موضعٍ. السيرافي، رحلة السيرافي، ص24-25.

(3) السيرافي، رحلة السيرافي، ص24؛ ابن الفقيه، البلدان، ص11؛ الشمري، محمد حمزة جار الله، **موانئ شبه الجزيرة العرب وأثرها في النشاط التجاري البحري قبل الإسلام**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية ابن رشد، (1424هـ/2004م).

(4) **هرمز**: من المدن الساحلية على ساحل الخليج العربي ، وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة، وهي مرسى الهند والسند، ولقلة الرسوم المفروضة على التجارة والتسهيلات التي يقدمها أهل مدينة هرمز يفضله تجار الشرق والغرب، ومن هذا الطريق أيضًا تصدر الخيول إلى الهند، ولا يقل عدد تجارها كل موسم إلى 400 تاجر. الإدريسي، نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص141؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص130؛ فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص119- 120.

(5) **ظفار**: وهي مدينة باليمن في موضعين أحدهما قرب صنعاء. أما ظفار اليوم فليست إلا مدينة على ساحل بحر الهند، وهي قريبة من صحار، وظفار لا مرسى بها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص60.



وعليه يذكر سليمان التاجر إن المسافة من سيراف إلى عُمان في البحر نحو مائتي فرسخ[(١)]، وفي شرق هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من بلاد **سيف بني الصفاق**[(٢)] **وجزيرة كاوان**[(٣)]. وهذه الجزر من مدينة البحرين، ويقال أن لها ثلاثمائة وستون قرية وفيها ماء عذب، ومعدن اللؤلؤ، ويأوي إليها قرب ألف مركب وهي في غاية العمارة [(٤)]. والطريق من البصرة إلى جزيرة ابن كاوان ثمانية عشر فرسخًا ومنها مسيرة سبعة أيام وهي بين فارس والسند[(٥)].

وفي غربي هذا البحر جبال عُمان وفيها الموضع الذي يسمى بـ **(الدُرْدو)** [(٦)]، وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية[(٧)]. وفيها الجـــــــبلان اللـــــــــذان يقـــــــال لهـــــــما كُسير وعُويَرْ،

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١.

(٢) **سيف بني الصفاق:** جزيرة على ساحل الخليج العربي ، من جزر البحرين وسميت بهذا الاسم نسبة لسيف بن الصفار الذي ورد ذكرهم عند ياقوت الحموي، ولهم منازل على سواحل بحر فارس تنسب إليهم وتعرف بهم، وهم من آل الجلندي. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٨.

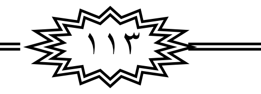
(٣) **ابن كاوان:** جزيرة عظيمة من جزر الخليج العربي بين عُمان والبحرين. بها مدينة عظيمة وجامع وأهلها شراة أباظية فيها عمارة وزرع ونارجيل. افتتحها عثمان بن أبي العاص الثقفي في أيام عمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ لما أراد غزو فارس في البحرين، وهي الآن خراب. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٤٦-٥٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣٩.

(٤) الحوراني، الملاحة وعلوم البحر في المحيط الهندي، ص٦٨.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١-٦٢.

(٦) **الدُرْدو:** موضع في الخليج العربي مما يلي شط البحر حيثُ جبلا كُسير وعوير، وهو مضيق بين جبلين يدور فيه الماء كالرحى دورانًا دائمًا من غير فترة، فإذا سقط إليه مركب أو غيره لم يزل يدور حتى يتلف، وهذا الماء موضوعه يكون في جنوب جزيرة ابن كاوان. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٥٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ج١، ص٢٢٤؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١١٠

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٧.



وليس يظهر منها فوق الماء إلى اليسير[١]. وهذه الطريق صعبة المسالك، وعرة المقصد، صعبة المنجى، وقيل: " كُسير وعُوير وثالث ليس فيه خير "؛ وذلك لأن إذا مرت بها سفينة لا تكد تسلم من الكسر والغرق[٢].

وعليه فإن هذا الطريق لا تسلكه السفن الصينية الكبيرة، ولكن تسلكه السفن الصغار[٣]، فإذا جاوزنا الجبلان صرنا إلى موضع يقال له صَحار عُمان فيستعذبون الماء من مسقط من بئرٍ بها وتخطف المراكب منها بحر لاروى ومنها إلى بلاد الهند[٤].

ب- الرحلة من بحر (بحر لاروى) إلى بحر هركند (خليج البنغال):

يكمل التاجر رحلته في بحر لاروى، وتخطف المراكب منها إلى بلاد الهند، وترسوا تلك المراكب عند ميناء كولم ملي (كولم)، والمسافة من مسقط إلى كولم ملي شهر على اعتدال الرياح. وتكون كولم ملي مرفأ السفن الصينية، ولها ماء عذب من الآبار فيؤخذ من السفن الصينية ضرائب قدرها ألف درهم ومن غيرها من السفن ما بين عشر دنانير إلى عشرين ديناراً[٥]، وتحسب هذه الضرائب على حسب حجم السفينة وحمولتها[٦]. وفي هذا البحر جزر عديدة ومنها جزيرة سيلان (سرنديب)، وجزيرة كولم ملي وبها جزر عظام ما لا يحصيه إلا الله، وكولم هي من أفضل مدن الهند التجارية، وتجارتهم أن يشتري أحدهم المراكب بما فيها وبها التجار

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١١٠.

(٢) المغربي، الجغرافيا، ص٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٨٣.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٥٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٣٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٩٠-١١٧؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٢.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢؛ أبي دلف، الرسالة الأولى، ص٦٦.

(٦) المغربي، الجغرافيا، ص١٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٢؛ ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج١، ص٢٨٥.

المـــسلمين[١]. " ومن كولم ملي إلى جزيرة سرنديب جزر ليست بالكثيرة غير إنها واسعة لا تضبط "[٢]؛ ولكن بين البحر الثالث بحر هركند وبين بحر لاروى جزر كثيرة يقال أنها ألف وتسعمائة جزيرة[٣]، وآخر هذه الجزر في بحر هركند سرنديب، وهي رأس هذه الجزر كلها، والمسافة من سرنديب إلى لنجبالوس مسيرة عشرة أيام[٤]، وهم يدعونها الدبيجات[٥]. وسرنديب فيها مغاص اللؤلؤ[٦]، وفي هذا البحر جزيرة يقال لها (ملجان) فيما بين سرنديب و**كلة**[٧] وذلك من بلاد الهند[٨].

ت- الرحلة من بحر هركند إلى بحر كلة بار:

ثم تخطف المراكب في بحر هركند[٩]، وهو بحر كثير الموج خبيثٌ شديدُ الهول[١٠]، فإذا جاوز المراكب هذا البحر صار إلى موضع يقال له لنجبالوس[١١]. والمسافة من سرنديب إلى جزيرة لنجبالوس مسيرة عشرة أيام، وأهلها لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من لغات[١٢]. ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٠.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٣.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٧.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٦.

(٥) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص١٧٠-١٧١.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٩؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٣.

(٧) **كلة بار**: أو كلة، كوالالمبور الآن، وهي أول مدن الهند ومنتهى مسير المراكب، وهي مدينة عظيمة منيعة. أبي دلف، الرسالة الأولى، ص٥٩.

(٨) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٣.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٧.

(١٠) الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص١٥٢.

(١١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(١٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٢.

كلاة بار، والمسافة من لنجبالوس إلى جزيرة كلة مسيرة ستة أيام[١]. وجزيرة كلة ينسب إليها البحر، وهي جزيرة خطرة طولها ثمانمائة ميل، وعرضها ثلاثمائة وخمسون ميلًا وبها مدن عديدة[٢]. وكلة بار والساحل هي مملكة الزابج، وهذه الجزيرة متيامنة عن بلاد الهند يجمعهم ملك، ثم تسير المراكب إلى موضع يقال له **بتُومة**[٣]، وبها ماء عذب لمن أراده، والمسافة إليها عشرة أيام ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له كدرنج[٤]. وفي هذا البحر أيضًا جزر أخرى ومنها جزيرة الرامني، وجزيرة النيان، وهذه الجزر تشرع على بحر هركند وشلاهط[٥]، وبعد هذا جزر تدعى لنجبالوس، فيها خلق كثير الرجال عُراةٌ ومنهم النساء. ومن جزر هذا البحر أيضًاأندامان وأهلها سُود ملفلفوا الشُعور **مناكير**[٦] الوجوه والأعين[٧].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٣.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٣) **بتومة:** جزيرة في بحر كدرنج، ترسو عندها المراكب؛ ليتزودوا بالماء العذب، والمسافة من الزابج إلى بتومة عشرة أيام. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٣؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٣.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٠؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٢٣.

(٦) **مناكير:** من التغير، التغير عن الحال تسرك، إلى حال تكرهها. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت١٧٠هـ/٧٨٦م)، **العين**، تح: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٥، ص٢٥٥.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٦.

ث- الرحلة من كلة بار إلى بحر كدرنج:

تخطف المراكب من البحر الرابع بحر (كلة بار) إلى موضع يقال له كدرنج وهو البحر الخامس[(١)] وهو بحر كثير الأمطار[(٢)]، وبها جبل مشرف ربما كان فيه الهُراب من العبيد واللصوص[(٣)]، والمسافة لمن يتوجه إلى كدرنج عشرة أيام وبها ماء عذب، وكذلك في سائر جزر الهند إن احتفروا فيها الابار وجد فيها الماء العذب، وبها جبل مشرف ثم يخطف إلى موضع يقال له الصنف[(٤)]. ويصف البكري[(٥)] (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، إن الطريق من بحر هركند مرورًا إلى بحر كلابار، ثم يخطف المراكب إلى كدرنج ومنها إلى بحر الصنف الذي يعمل منه العود، ثم إلى بحر الصين وهو بحر (صنجى) لا يحد ما وراءه.

ج- الرحلة من بحر كدرنج إلى بحر الصين (صنجى):

يكمل التاجر رحلته إلى موضع يقال له الصنف وهو البحر السادس[(٦)]، وسميت الصنف نسبة إلى مدينة على ساحل بلاد الصين، وبها العود الصنفي[(٧)]. وهو بحر هائج كثير الموج شديد الهول[(٨)]، ويلي هذا البحر موقع يقال له صندرفولات إلى بحر الصين مسافة عشرة أيام[(٩)]. وفيها ماء عذب، وهي جزيرة عظيمة تحيط بها جبال وعرة ورياح عاصفة، وهي باب من أبواب الصين[(١٠)]. ويعد صندرفولات أوائل

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١١٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٩؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عبد العرب، ص٦٣.

(٥) المسالك والممالك، ج١، ص١٤٠؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٣.

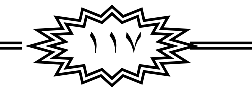
(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٠.

(٧) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٥٣.

(٨) الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص١٥٢.

(٩) ابن الفقيه، البلدان، ص١٣؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١١١.

(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج١، ص٢٦.



بحر الصين وهذا البحر لا يدرك قعره، ثم يليها، وبحر الهند هو أسلم من بحر الصين وأصغرها موجًا وهولًا[١].

أما مدينة الصنف، فهي مملكة المهراج ملك الجزر وملكه لا يضبط الكثير، ولا تحصى حنوده، وأطراف جزرهُ جبال فيها أُمم كثيرة بيض، إذ أنهم مخرومة وجوههم كقطع الترس مطرقة. " وذكروا أن بقرب الزابج جبلًا يسمى جبل النار لا يقدر على الدنو منه، يظهر منه بالنهار دخان وبالليل لهب نار، ويخرج من أسفله عينٌ باردة عذبة، وعين حارة عذبة "[٢]. ونجد نص هذه الرواية عند بن الفقيه والمسعودي ولكن بشكلٍ أوسع، فيقول: " في جبالهم النار بالليل والنهار، فنهارها حمراء وبالليل تسود، وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو، تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق(ثوران البراكين) ، وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم، وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم "[٣].

ثم تخطف المراكب إلى بحر يقال له **(صنجي)** [٤]، ومن أحوال هذا البحر أنه كثير الخب[٥]، وفيها جبال كثيرة لابد للمراكب من النفوذ بينها[٦]. ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له أبواب الصين، وهي جبال كثيرة يقال أنها إثنا عشر بابًا، وبين كل جبلين فيها فُرجة يمر بها المراكب[٧]، ثم تصير إلى موقع بعيد من بلاد الصين فإذا جاوزت تلك الأبواب دخلت في **خور**[٨]، وجازت في بحرهائج

---

(١) الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص١٥٢.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٠.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٣.

(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص١٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢١؛

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٢٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢١.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٥.

(٨) **الخَورْ**: جمعها الأخوار، بفتح أوله وتسكين آخره راء مهملة، وهو عند العرب السواحل كالخليج يند من البحر، وأصله هور، ومنها عدة مواضع مثل خور سيف دون سيراف والبصرة، وهي مدينة يتزود منها مسافروا البحر السويق. والخور طريق الماء لم يحفره أحد تجري فيها الأمطار ويتراجع ماؤها فيه عند المد وينضب في الجزر. عباد، إسماعيل الصاحب (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)،**المحيط** =

وماء عذب، فلا تزال كذلك حتى تصير إلى الموضع الذي تريد من بلاد الصين[(١)]. ثم إلى موضع يسمى خانفوا (كانتون)، ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن بن خرداذبة[(٢)] يذكر أن لوقين هي أول مرافئ الصين، والمرفأ الثاني بعد لوقين يكون خانفوا والمسافة بينها وبين خانجوا الميناء الثالث للصين مسيرة ثمانية أيام. ويبدو أن توجه الرحلة كانت إلى تجمع تجار العرب واستقرارهم في مدينة خانفو، ويفسر لنا سليمان التاجر[(٣)] ذلك: " إن خانفو مجتمع التجار ورجلًا مسلمًا يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية، يتوخى ملك الصين ذلك، وإذا كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين، وإن التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئًا من أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الاسلام" . ثم يصف السيرافي[(٤)] مدن الصين، فيقول: " إن لملك الصين من أمهات المدائن أكثر من مائتي مدينة، ولكل مدينة ملك، ومن مدائنهم خانفوا وهي مرسى السفن تحتها عشرون مدينة، وإنما تسمى مدينة إذ كان لها[(٥)] **الجادم**[(٦)].

=**في اللغة**، تح: محمد حسن آل ياسين، (عالم الكتب، بيروت– لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٢٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣١٦.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠؛ ابن خرداذبة، المسالم والممالك، ص٦٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٣؛ مؤنس، حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢٨٨؛ وللمزيد ينظر إلى ملحق رقم (١١).

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٩.

(٣) رحلة السيرافي، ص٢٤.

(٤) رحلة السيرافي، ص٣٨.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٨.

(٦) **الجادم:** ولم أجد تفسيرًا لهذا المصطلح إلا عند سليمان التاجر، والجادم مثل البوق ينفخ فيه، وهو طويل وغلضة ما يجمع الكفين جميعًا، وطوله ثلاث أو أربع أذرع، ورأسه دقيق بقدر ما يلتقمه الرجل، ويذهب صوته نحوًا من ميل، ولكل مدينة منها أربعة، فعلى كل باب منها خمسة تنفخ في أوقات من الليل والنهار، وعلى كل باب من أبواب المدينة عشرة طبول تضرب معه، وإنما يفعل ذلك؛ لتعلم طاعتهم للملك وبه يعرفون أوقات الليل والنهار، ولهم علامات ووزن للساعات. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٨.

٢- المسافات بين مرافئ ومحطات الرحلة:

في مستهل الحديث وصف سليمان التاجر[١] رحلته: " إن المراكب تحمل البضائع من البصرة والأبلة إلى سيراف وتعبأ بالمراكب الصينية، والمسافة من البصرة إلى الأبلة أربعة فراسخ[٢]. ثم تحمل المراكب البضائع والماء العذب من سيراف متجهة في مسيرها إلى عُمان ومنها إلى الهند تحديدًا في كولم ملي على ساحل مليبار، ومنها إلى بحر هركند (خليج البنغال)، ثم إلى بحر كدرنج وأخيًرا إلى الصين "[٣].

فالطريق من البصرة والأبلة إلى عبادان إثنا عشر فرسخاً[٤]، ثم تخطف المراكب إلى مدينة سيراف إذ تعد مركزًا للسفن التجارية الصينية (**الجنوك**) [٥]. والطريق من البصرة إلى سيراف أربعون ومائة فرسخ، علمًا عن الخليج العربي يركب في سائر السنة من عُمان إلى سيراف، وهو ستون ومائة وستون فرسخًا[٦]. ثم تخطف المراكب طريقها إلى جزيرة بن كاون والطريق من البصرة إلى جزيرة بن كاون ثمانية عشر فرسخًا[٧]. وتستكمل المراكب رحلتها متجهة إلى عُمان لتستقر في أهم مدنها التجارية وهي مسقط. والمسافة من سيراف إلى عُمان في البحر نحو مائتي

---

(١) رحلة السيرافي، ص١٥-٣٠؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١-١٣؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٠٥.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٥٠.

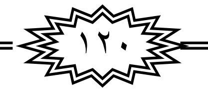
(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٥-٣٠.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٠.

(٥) **الجنوك**: مفردها (جنك)، سفنٌ صينية كبيرة تستطيع الوصول إلى الخليج العربي وصولًا إلى البصرة والأبلة وتنقل حمولاتها عن طريق السفن الصغيرة إلى البصرة والأُبلة، ويكون في الجنك نحو عشرين مجذافًا كبارًا كالصواري، يجتمع على المجداف الواحد منها ثلاثون رجلًا، ويقومون قيامًا في صفين، وكل صف يقابل الآخر، وفي المجداف حبلان عظيمان كالطوابيس، فتجذف أحد الطائفتين الحبل ثم تتركه، وتجذف الطائفة الأخرى، وهم يغنون عند ذلك بأصواتهم الحِسان. ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج١، ص٦٣٧.

(٦) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٥.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١-٦٢.



فــــرسخ[١]، وبين سيراف ومسقط مائتي فرسخ[٢]. ثم تخطف المراكب تاركة الخليج العربي ، وتبحر في البحر الهندي حتى تصل تحديدًا إلى ميناء كولم ملي، وتقدر المسافة من مسقط إلى كولم ملي حوالي شهرًا[٣]. ومن كولم ملي تخطف المراكب إلى سرنديب وتقدر المسافة بينهما بحوالي ثمانين فرسخًا، ثم تتجه المراكب نحو بحر هركند (خليج البنغال) [٤]، ومن كولم ملي إلى بحر هركند نحو شهر[٥]. ثم تخطف المراكب إلى جزيرة لنجبالوس (نيكوبار) [٦]، والمسافة من سرنديب إلى جزيرة لنجبالوس مسيرة عشرة أيام[٧]. ومنها تتمون المراكب بالماء وتتجه إلى موقع يقال له (كلة بار)، وهي مملكة الزابج وهي منتصف الطريق بين عُمان والصين[٨]. والمسافة ما بين كولم وهي قريبة من هركند إلى كلة بار شهر[٩]. والمسير من لنجالوس إلى جزيرة كلة بار مسيرة ستة أيام[١٠]. ثم تخطف المراكب في بحر كلة بار وصولًا إلى جزيرة بتومة ومنها إلى بحر كدرنج (كمبوديا)، والمسافة من كدرنج إلى بتومة عشرة أيام[١١].

ومنها إلى صندرفلات حتى تصل المراكب إلى بحر الصنف والمسير من صندرفولات إلى الصنف عشرة أيام[١٢]. ومن الصنف إلى أبواب الصين مسيرة شهرٍ

---

(١) ابن الفقيه، البلدان، ص١١.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٧؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٦) العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧١.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٨) البكري، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تح: مصطفى السقّا، (لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ،١٩٤٥م)، ج٣، ص١١٧٧.

(٩) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥.

(١٠) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(١١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨.

(١٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٣.

كامل حتى ترسو المراكب إلى ميناء خانفوا (كانتون) [١]. والمسير من صندرفولات إلى الصين مسافة شهر[٢]. وعليه استنادًا إلى كل ما سبق فقد زودتنا كتب المصادر والمراجع بحساب زمني للرحلات التجارية التي تستغرقه من الخليج العربي إلى الصين وهو كما يلي:

من ميناء مسقط إلى ميناء كولم ملي ———— شــــهر قمـــــري[٣]

من ميناء كولم ملى إلى ميناء كلة بار ———— شــــهر قمـــــري[٤]

مــن ميـنــاء كلــة بــار إلـــى ميـنــاء صـــــــــــندرفولات ———— شــــهر قمـــــري[٥]

مــن ميـنــاء صــندرفولات إلــى ميـنــاء كـــــــــــانتون ———— شــــهر قمـــــري[٦]

وانطلاقًا مما سبف يمكننا أن نحدد أن الرحلة من مسقط رإلى ميناء خانفوا الصيني تستغرق مائة وعشرين يومًا إي قرابة أربعة أشهر وعشرين يومًا، تتخللها فترات التوقف والاستراحة في بعض الموانئ أو رحلة العودة، فقد تستغرق ذات المدة تقريبًا، وعليه أن رحلة الذهاب والعودة تتجاوز السنة إذا ساعدت الظروف، أو ربما اقتربت من السنتين إذا لم تساعد الحالة المناخية والاقتصادية[٧].

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠؛ ابن خرداذبة، الممالك والمسالك، ص٦٢.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٣؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٤؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢١٩.

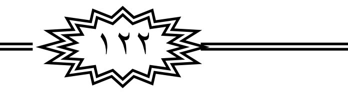
(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢١٩.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٣.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٩؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٤؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢١٩.

(٧) ولو حاولنا الوقوف بما جاء بهِ المستشرق الحوراني بذكرهِ الزمن الرحلة من مسقط إلى ميناء خانفوا تستغرق مائة وعشرين يومًا؛ أي أربعة أشهر فقط،أماالعشرين اليوم الذي أشار ألية المستشرق لربما كان يقصد بهِ فترات التوقف والأستراحة لتلك المراكب في بعض الموانئ ،أما زمن الرحلة الفعلية على حسب المسافات التي وردت ذكرها عند السيرافي فهي أربعة أشهر فقط.السيرافي،رحلة=



ووراء بلاد الصين من أرض التغزغز وهم من الترك والتبت هذا مما يلي بلاد الترك، فأما ما يلي البحر فجزيرة سيلا وأهلها يهادون صاحب الصين ويزعمون أنهم إن لم يهادوه لم تمطر لهم السماء، ولم يبلغها أحد من أصحابنا(١). ولكن ذكرت في المصادر الأخرى أن في هذه الجزيرة قومٌ من العلويين؛ الذين هربوا من بطش الدولة الأموية(٢).

٣- موسم الرحلة:

يؤكد لنا صاحب أخبار الهند والصين إن التجارة البحرية مع الهند والصين كانت نشيطة في القرن الثالث والرابع الهجريين/ الثامن والتاسع العاشر الميلاديين، وإن أكثر السفن الصينية تُحمل من البصرة وعُمان وغيرها وتعبأ في السفن الصينية بسيراف(٣). ويرجع سبب هذا النشاط التجاري إلى معرفة العرب على سر الملاحة الموسمية التي عرفها ملاحوا العرب والفرس منذ أقدم العصور(٤)، ولا تجد حادثة كالرياح الموسمية متجبرة في ظاهرها نافعة في نتائجها(٥). ويذكر المسعودي(٦): " ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون منها مهابها،

=السيرافي،ص٢٤-٣٠ ؛الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي ،ص٢١٩؛عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١١٠؛ الدوري، عبد العزيز، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، ط٣، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م)، ص١٧١-١٧٢.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٢؛ ابن خرداذبة، الممالك والمسالك، ص١٧٠.

(٢) المروزي، أبواب من الصين والترك والهند، ص٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٥؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الإدب، ص٢١٧.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١-١٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٦-١٧؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص١٧١.

(٤) فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٥؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص١٧٠.

(٥) لوبون، حضارة الهند، ص٥٢.

(٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٥٣.

قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علة ذلك قولًا وعملًا ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها أبان هيجانه وأحوال ركوده وثورانه "[1]، في حين كانت السفن الأجنبية تلتزم الملاحة الشاطئية في بحر الهند[2]. وعليه كان العرب على معرفة بمهاب رياح البحر وثوران مياهها، الخليج العربي تكثر أمواجه ويصعب ركوبه، في حين لين بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة أمواجه، في حين يلين الخليج العربي وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاع بحر الهند[3]. وإن اضطراب هذه البحار وهدوئها عند كون الشمس من البروج[4]، وأول ما تبتدئ صعوبة الخليج العربي عند دخول الشمس قرب الاستواء الخريفي فلا يزال في كل يوم تكثر أمواجه ... ويصعب ظهره إلى أن تصير الشمس إلى الحوت وأشد ما يكون صعوبة ظهره وكثرة أمواجه وشدته في آخر الخريف عندما تكون الشمس في القوس، فإذا كان قرب الاستواء الربيعي يبتدئ في قلة الأمواج ولين الظهر وسهلة الركب إلى أن تعود الشمس مدارها

---

(١) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص٨٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٨.

(٢) لم يكتشف سير الملاحة الموسمية حتى جاء الملاح اليوناني "هيالوس" في القرن الأول الميلادي ولاحظ موسمية الرياح في المحيط الهندي، فأدرك انتظام هبوبها ستة أشهر في العام من الشمال الشرقي، وستة أشهر الأخرى من الجنوب الغربي، وتخير الموسم المناسب وعبر المحيط الهندي، وكانت رحلة هيالوس فتحًا جديدًا في علم الملاحة نشطت عقبه تجارة الطيب بين شواطئ الهند والبحر الأبيض المتوسط. وكانت المراكب قبل ذلك الوقت تسافر إلى جزيرة ملقا وسيلان جنوب الهند، وتتبادل متاعها مع ما تجيء به مراكب العرب والفرس من الخليج العربي أو عبر البحر الأحمر. فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٥-١٦.

(٣) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص٨٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٥؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٤؛ جورج، بيار، **معجم المصطلحات الجغرافية**، ترجمة: حمد الطفيلي، ط٢، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ص٨١٦-٨٢٣.

(٤) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص٨٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٥؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٤.

الطبيعي، وألين ما يكون ظهرًا وأسهلها مركبًا في أواخر زمان الربيع وهو عند كون الشمس في الجوزاء(١) "(٢).

أما بحر الهند فعند دخول الشمس الاستواء الخريفي تقل ظلمته، وتنقص أمواجه، ويلين ظهره، ويسهل مركبه إلى أن تصير الشمس إلى الحوت، وألين ما يكون ظهرًا عند كون الشمس في القوس إلا أن يكون بحر فارس قد يركب في كل أوقات السنة(٣).

وبلاد الهند وبحر الهند يكون فيه السيارة وهو للشتاء ودوام الأمطار، فشتاؤنا صيفهم، وصيفهم شتاؤنا(٤).

إن الرحلات التجارية ارتبطت تمامًا بمواقيت هبوب تلك الرياح وما تتركه الأخيرة من تأثير على الأمواج وصعوبة الملاحة وتجنب التجار الإبحار وقت هبوب تلك الرياح خلال فصل الصيف(٥). لذى كانت السفن القاصدة الصين ترسو في الخليج العربي قبل أن تشتد عواصفه، أي في نوفمبر وديسمبر (تشرين الثاني وكانون الأول)، وتعبر المحيط من مسقط إلى كولم ملي مع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، وكانت هذه الرحلة تستغرق شهرًا(٦)، والأُسبوعان الأخيران من ديسمبر (كانون الأول) يمكن قضاؤهما في التجارة في كولم ملي إذ لم يكن مواصلة

---

(١) الشمس تقطع كل برج في شهر، وتقطع البروج كلها في ثلاثمائة وستين يومًا، ويسمى هذا مدار الشمس السنوي. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٧٣؛ الانطاكي، داود بن عمر (ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م)، **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العُجاب**، تح: أحمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٧١م)، ج٢، ص١٠٥.

(٢) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص٨٦–٨٧؛ عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١١٣؛ متز، الحضارة الاسلامية، في القرن الرابع الهجري، ص٤٣٧

(٣) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص٨٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٥.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٦؛ لوبون، حضارة الهند، ص٥٢.

(٥) عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١١٣–١١٤.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٦؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١–١٣؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٢٠.

السير على أية حال، إلا بعد أن شهد العواصف الدوارة في الجزء الجنوبي من بحر هركند (خليج البنغال) [(١)]. وذلك قرب نهاية(ديسمبر/كانون الأول).

والشهر الثاني الذي تستغرقه الرحلة من بحر هركند إلى كلة بار هو شهر (يناير/ كانون الثاني) [(٢)]. وبعد قضاء أسابيع قليلة في كلة بار تكون الرياح الموسمية الشمالية الشرقية قد قاربت نهايتها، والرياح الموسمية الجنوبية قد حان حينها، فتنتفع السفن بها في بحر الصين، وهذه الرياح الموسمية التي تهب في الصيف تكون رياح لطيفة هادئة ويكون موسمها في أبريل ومايو (نيسان/ أيار)، وفي هذين الشهرين أيضًا تكون العواصف الهوجاء على أقلها[(٣)]. وبعد قضاء الصيف في خانفو تعود السفن مع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ما بين أكتوبر وديسمبر (تشرين الأول/ كانون الأول)، وتعبر بحر هركند ثانية في يناير (كانون الثاني) وتسير إلى كولم ملي في فبراير ومارس (شباط/ آذار) وهي لا تزال مستعينة بالرياح الموسمية الشمالية الشرقية، ولكنها قد تستعين بالرياح الموسمية الجنوبية الغربية لتصل إلى مسقط في أبريل (نيسان)، ثم تكمل رحلتها مرة أخرى إلى الخليج الفارسي، وقد أسبغ عليها الصيف السكينة والهدوء، وكانت تستغرق عامًا ونصف العام وكان الرجال يقضون الصيف بين أهليهم قبل الرحلة التالية[(٤)].

وانطلاقًا مما سلف ولطول إقامة التجار في تلك البلدان ولانتظام هبوب الرياح وجدت أماكن لإقامة التجار، كما كان هناك وكلاء تجار غالبًا ما كانوا من العرب، وبتوالي الزمان تكاثر عدد العرب بالموانئ المختلفة، وحدث التزاوج بين الوافدين وأهل البلاد[(٥)].

---

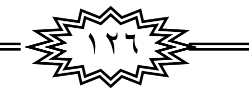
(١) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٢٠.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٢.

(٣) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٢٠.

(٤) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٢١؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٤؛ متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري،، ص٤٣٦.

(٥) عثمان، تجارة المحيط الهندي عصر السيادة الاسلامية، ص٤٥؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢١٠؛ فوزي، حديث السندباد القديم، ص٢؛ وللمزيد ينظر إلى الملحق رقم (١٢).



المبحث الثاني

وسائل النقل البحري ودورها في انتعاش التجارة مع بلاد الهند والصين

١- المراكب المستخدمة في التجارة:

أشار صاحب كتاب رحلة السيرافي(١) إلى أن السفن العربية المستخدمة في البحر الرومي تختلف كثيرًا عن السفن المستعملة في البحر الهندي؛ لذلك لابد من ذكر إيجاز عن نوع السفن المستخدمة لكل بحر، وهي كما يلي:

أ- نوع السفن:

أشار أبو زيد السيرافي(٢) في متن حديثه إلى نوع السفن المستخدمة في البحر الهندي، بقوله: " إن الخشب المخروز لايكون إلا لمراكب سيراف ومراكب الشام والروم مسمورة غير مخروزة ". وهذه اشارة تدل على إن السفن التي كانت تبحر في البحر الفارسي والهندي والصيني أيضًا من نوع المراكب التي تدعى **بالجلاب**(٣).

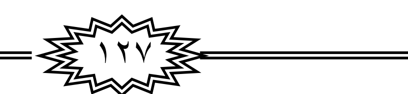
عليه يتبين لنا من ذلك إن المواد المستعملة لربط أجزاء السفينة يكون بالخيوط بدلًا من المسامير في تثبيت الألواح المثقوبة(٤)، وتدعى تلك الخيـوط

(١) للمقارنة. ينظر: إلى صفحة ٢٧، ص٦٥.من الدراسة.

(٢) رحلة السيرافي، ص٦٥؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٢.

(٣) **الجلاب**: مفردها جلبة، وهي نوع من أنوع السفن التي يعرفها تجار البحر الفرعوني (البحر الأحمر) لا يستعمل فيها المسامير البتة، وإنما هي مخيطة بأمراس من القتبار(وهي قشور) أو (شعر) شجر النارجيل (جوز الهند) يدرسونة إلى خيوط يخيطون بها المراكب، ثم يدهن بالسمن أو بدهن الخروع، والغاية من الدهان؛ لكي يلين عود السفينة ويربط لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر. ينظر: ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، **رحلة ابن جبير**، (بلامط ، بيروت ،١٩٦٤م)، ص٤٧.

(٤) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٣؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٣؛ وللمزيد ينظر إلى ملحق رقم (١٣).



بـــــتـا**القَنْبرَ**[١]. ولم تكن المسامير أو الأوتاد الخشبية تستعمل في بناء أي جزء من أجزاء السفينة[٢]، بل كان صناع السفن يفتلون الخيوط ويصنعون منه أمراسًا يخيط بها المراكب[٣]. وعليه يمكننا أن نرجع طريقة خياطة السفن إلى عدة أسباب، ومنها:

اولاً: إن طريقة الخياطة والمواد اللازمة لها كانت قريبة المأخذ للشعوب البدائية في هذه البقاع، أما الحديد أو البرونز لا يزال بعيد المنال[٤].

ثانياً: ومن الأساطير السائدة في تلك العصور هي وجود صخور المغناطيس في هذا المحيط، وإن المراكب المسمورة إذا اقتربت منه تتطاير منها المسامير إلى الحجر، وذكر: إن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجذب الحديد[٥]. ويذكر لنا أبي دلف[٦] في رحلته: " وعندهم حجارة هي مغناطيس الماء "، وهناك رأي آخر هو أن المركب المسمور إذا صُدم بالحجارة تشققت ألواحه بفعل المسامير[٧]. أما إذا كان مخيطًا بالحبال أعطى الرطوبة فلا ينكسر وربما كان هذا تعليلًا مقبولًا، إذ أن اشتداد الرطوبة في البحر الأحمر تسبب سرعة صدأ هذه المســـــامير[٨]؛

---

(١) **القَنْبرَ:** (بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء)، عبارة عن خيوط من ليف جوز الهند، وطريقة صناعته، بأن يقوم العاملون عليه بدباغته في حفرة على الساحل، ثم يخرجونه بالمزاريب، وبعدها تغزلها النساء، وتصنع منها حبالًا لخياطة المراكب وتحمل إلى الهند والصين واليمن، وتدعى تلك الطريقة بالجلفطة. ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج١، ص٢٧٢؛ شهريار، عجائب الهند، ص١١٨.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٧.

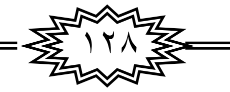
(٤) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٣.

(٥) ابن الفقيه، البلدان، ص٤؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٢.

(٦) الرحلة الأولى، ص٤٥.

(٧) المغربي، الجغرافيا، ص٢؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٩٥؛ شهريار، عجائب الهند، ص١١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٨.

(٨) **ربما المؤرخ كان يقصد بالرطوبة في البحر الأحمر ،(الملوحة)**؛لأن الرطوبة في البحر أمر طبيعي ،أما الملوحة هي ما تترك أثرها على مسامير المراكب .ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، =



ولكن المستشرق جورج فصلو[1] يذكر أن هذه القصص من الأساطير التي كانت شائعة في العالم القديم، فيقول: " إن السفن اليونانية والرومانية في البحر الأحمر كانت فيها مسامير وقطع أخرى من الحديد مع هذا لم يكن يصيبها أبدًا أي أذى[2].

ثالثاً: ويعلل المسعودي[3] سببًا آخر للوصول إلى تفسير علمي، بقوله: " إن مراكب البحر الحبشي لا يثبت فيها الحديد لأن ماء البحر يذيب الحديد فتغرق المسامير في البحر وتضعف[4]، فاتخذت أهلها الخياطة بالليف بدلًا منها، وطُليت بالشحم و**النورة**[5].

ولكن المشرق جورج فصلو[6]، كان له رأي آخر، فيقول: " إن البحر الرومي والحبشي لهما الخصائص الكيميائية نفسها، وعلى العكس ذلك نجد إن ألواح الساج في المحيط الهندي لا تتلف الحديد كما تتلفه ألواح البلوط في البحر المتوسط.

رابعاً: ولعل السبب الفاصل إن بقاء السفن المخيطة الغلاء النسبي بدلًا من الحديد، هذا لا يدل على إن الحديد لم يكن موجودًا، فقد كان يستخرج قديمًا من مناجم إيران، والسودان، والهند أيضًا، ولكن يبدو أن استخراج الخام من المناجم وصهره وصناعته إلى مسامير كانت تتطلب نفقات كثيرة، وكانت صناعة الحديد

=ج٢، ص٥٧٨؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٣؛ متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص٤٢٨.

(١) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٥.

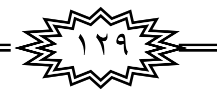
(٢) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٥؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٣.وللمزيد ينظر إلى الملحق رقم (١٤).

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٧.

(٤) ولهذا السبب كانت مراكب اليونان القديمة تخدم وقاية من الرصاص وتصب فوق رؤوس المسامير؛ لحفظها، والدليل على ذلك انتشال بعض بقايا السفن مؤخرًا على سواحل البحر المتوسط. العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٤.

(٥) **النورة:** وهي مادة من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس ويدهن به المراكب، حتى عرفت المراكب البحرية ببياضها. متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص٤٢٨.

(٦) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٧.



في تلك اماكن ضيقة النطاق على عكس المواد الخام اللازمة للخياطة تكون قريبة المنال لا تحتاج إلى صناعة دقيقة[1]. وعليه لابد لنا من معرفة كيف وأين نشأت طريقة صنع السفن بالمسامير؟ وأن كانت في وقت متأخر؟

يمكننا أن نؤكد أن سكان المحيط الهندي والصيني والعربي أيضًا بدأوا ببناء السفن بالمسامير بعد أن وصلت مراكب أوربا إليها، ولم يكد يمضي عام (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) حتى كانت مراكب **مالابار**[2] تبنى بكثير من مسامير الحديد، وأخذت السفن المثبتة بالحديد تحل شيئًا فشيئًا محل السفن المثبتة بالخيوط في معظم أرجاء المحيط الهندي[3].

ب- الخشب المستعمل في بناء السفن:

لا ريب أن الخشب المستعمل في صنع المراكب كان من خشب النارجيل (جوز الهند) [4]، والساج[5]، ويذكر سليمان التاجر[6] أن صُنّاع المراكب كانوا يقصدون جزيرة لتجبالوس ويخرجون لهم قومًا يلبسون ثيابًا بيضًا كواسج، بزواريق منقورة من خشبة واحدة، ومعهم النارجيل وقصب السكر والموز، وإن خشب الساج و(النارجيل)، من أنفس أنواع الخشب جميعًا؛ فهو شديد التماسك ، ومتى ما تم اعداده لا يتشقق أو يتغير شكله، وهو ليس شديد الصلابة ويسهل استعماله، وله مرونة وقوة عظيمتان، وموجود بكثرة في تلال جنوب الهند[7]. ويؤكد لنا

---

(١) العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٣؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٧.

(٢) **مالابار**: وهي بلاد ساحلية شاسعة تقع في الجانب الغربي من شبه الجزيرة الهندية، وهذه المدينة المشهورة في الكتب الجغرافية ببلاد الفلفل. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٢٣.

(٣) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥١؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٣.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٢٢٦.

(٦) رحلة السيرافي، ص٢٦-٢٧؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عن العرب، ص٧٢.

(٧) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٤٤-٢٤٥.

الـــــمسعودي[١] كل ما ذكر، بقوله: " إن ألواح مراكب الساج المثقوبة المخيط بليف النارجيل ويصنع منها حبالًا يخيطون بها المراكب عوظًا عن مسامير الحديد، ويكون هذا في البحر الحبشي ".

وينقل لنا أبو زيد السيرافي[٢] روايةُ، فيقول: " وبعُمان من يقصد هذه الجزر- أي في الهند، التي منها النارجيل ومعهم آلات النجار وغيرها، فيقطعون من خشب النارجيل ما أرادوا، فإذا جف قُطِّع ألواحًا ويفتلون من ليف النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب ويستعملون منه مركبًا وينحتون منه **الدقل**[٣]، وينسجون من خوصه شراعًا، ومن ليفه خراباتٍ وهي **القلوس**[٤] عندنا، فإذا فرغوا من جميعه شحنت المراكب بالنارجيل فقُصد بها عُمان فبيع وعظمت بركتهُ ومنفعتهُ إذ كان جميع ما يتخذ منه غير محتاج إلى غيره".

ت- طلاء السفن:

بعد الانتهاء من صناعة المراكب وربطها بالخيوط، يلجأ الصناع إلى طلائها بالشحم والنورة وعرفت هذه العملية بالجلفطة، أي طلاء بدن السفينة وسد الشقوق بين ألواحها بالقطن، ثم يطلى بدهن الحوت. ويروي لنا أبو زيد السيرافي[٥] رواية طريفة عن طريقة صناعة دهن الحوت الذي يطلى به بدن السفينة، فيقول: " إن

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٢) رحلة السيرافي، ص٢٥-٨٦.

(٣) **الدقل:** خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع، وتسميه البحرية الصدي. مصطفى، المعجم الوسيط، ص٦٠٥.

(٤) **القَلوس:** جمع قلس، بفتح القاف، وهو الحبل الغليظ من حبال السفن. ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ص٤٢٨.

(٥) رحلة السيرافي، ص٩٠-٩١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٧؛ شهريار، عجائب الهند، ص١١٩.

بقرية من سيراف على عشرة فراسخ تعرف **بالتاين**[1] بيوت عادية لطاف سقوفها من أضلاع هذا الحوت[2]، وسمعت من يقول: أنه وقع في قديم الأيام إلى قرب سيراف منه واحدة، فقصد للنظر إليها فوجد قومًا يصعدون إلى ظهرها بسلم لطيف، والصيادون إذا ظفروا بها طرحوها في الشمس وقطعوا لحمها وحفروا له حفرًا يجتمع فيها **الودك**[3] ويغرف من عينها إذا أذابت الشمس الودك بالحرارة، ويجمع فيباع على ارباب المراكب ويخلط بأخلاط لهم يمسح بها مراكب البحر يسد به خزرها ويسّد أيضًا ما ينفتق من حززها فيباع ودك هذا الحوت بجملة من المال "[4]، لذا يعتقدون أن تدليك المراكب بهذا الدهن مع الخيوط بدل من المسامير تحمي السفينة من حجر المغناطيس الموجود في هذا المحيط.

وفي نفس الصدد ورد عند ابن جبير[5] (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) رأي آخر، فيقول: " إن دهن القرش أفضل من دهن الحوت ". أما الإدريسي[6] فيذكر تشحيم المراكب بشحم **البابة**[7]: " ويصيدون ما صغر منها، فيطبخونها في قدور فيذوب جميع

---

(١) **التاين**: من أعمال فارس ثم من كورة اصطخر لأنها بين أصبهان وفارس فتتوزع فيهما، وهي مدينة عامرة ذات نعمة وفي جبالها معادن الفضة، كما ذكرت بصيغة نائين. مؤلف مجهول، حدود العالم ،ص١٠٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٦.

(٢) **الحوت**: يقصد به حوت البال. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٠.

(٣) **الودك**: وهو صلابة الشحم، وقيل الودك: دَسَم اللحم. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص٢٧٢؛ الفراهيدي، العين، ج٤، ص٤٤٨؛ جورومان، **الحوت التاريخ الطبيعي والثقافي**، ترجمة: أيزمير الإحميدان، (مطبعة كلمة، أبو ظبي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص٢٨؛ وللمزيد ينظر إلى ملحق رقم (١٥).

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٠-٩١؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٣.

(٥) رحلة ابن جبير، ص٤٧.

(٦) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٤.

(٧) **البابة**: أو سمك القرش، دابة كبيرة تكون في بحر الهند والصين، ويكون طولها نحوًا من مائة ذراع في عشرين ذراعًا، وينبت في سنام ظهرها حجارة صدفية وربما تعرضت للمراكب فكسرها، ويحكى أن الربابنة أنهم يرشقونها بالسهام فيتنحى عن طريقهم. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٤.

لحمها ويعود شحمها مذابًا، وهو دهن مشهور ببلاد اليمن وفي عدن وغيرها من المدن الساحلية ...؛ لسد خروق المراكب(١).

وعليه استنادًا إلى كل ما سبق كان للعرب دور كبير في تطور علم الملاحة وصناعة السفن البحر، " وعُدَّ من بين أيديهم الحضارة الانسانية ولولاه لما تمت رحلات الكشوف الجغرافية الكبرى في المحيطات "(٢).

٢- العوامل المؤثرة في حركة التبادل التجاري بين العرب وبلاد الهند والصين:

لقد تباينت العوامل والمؤثرات على حركة التبادل التجاري بين المناطق العربية وبلاد الهند والصين، ومنها ما كان عاملًا طبيعيًا، وآخر غير طبيعي للإنسان دخل مباشر فيه وعليه أثر بشكل أو بآخر على هذا النشاط التجاري، وعليه من الضروري تسليط الضوء على البعض من تلك العوامل(٣)، وهي كما يلي:

أ- العوامل الطبيعية المؤثرة على النقل التجاري:

ومع إلقاء نظرة متفحصة على تاريخ العلاقات التجارية بين تلك البلدان وبين بلاد العرب نجد أهم ملامحها تتمثل في ابراز الطرق المتنوعة وبالأخص الطرق البحرية التي ربطت بين الطرفين، وهذا التنوع في طرق النقل يبرز عمق العلاقات التجارية في تلك المرحلة، وعليه كان لابد من وجود بعض الصعوبات التي اعترضت سبيل هذه التجارة(٤)، ومنها:

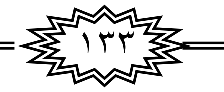
---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٤٧.

(٢) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٧٢؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٤.

(٣) يوسف، الصين الاسلام والتجارة، ص١٥.

(٤) عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١١٢.



اولاً- ضحالة المياه (الأغباب[1] والأخوار):

عدت الأغباب وألأخوار واحدة من العوامل التي أثرت على التجارة، وقد أشار أبو زيد السيرافي[2] إلى أول تلك العقبات عندما تناول ذكر جزيرة سرنديب، لقوله: " ومحاذى هذه الجزيرة أغبابٌ واسعة، ومعنى الغُب الوادي العظيم إذا أفرط في طوله وعرضه، وكان مصبه إلى البحر، يسير المجتازون في هذا الغب المعروف بغب سرنديب شهرين وأكثر ".

بناءًا على ذلك يبين لنا السيرافي أول تلك العقبات التي تقف عائقًا أمام التجارة، وهذه الرواية تدل على حقيقة كثر الغباب الموجودة على طول طريق سرنديب وبحر هركند، إذ قدر مسافتها مسيرة شهرين في البحر.

أما العامل الآخر الذي يشير إليه سليمان التاجر[3] بأن المراكب الصغيرة تحمل البضائع من البصرة وتخطف طريقها وتحمل بعدها في مراكب كبيرة في ميناء سيراف، وبدورنا يمكننا أن نعلل السبب؛ وذلك لكثرة ما يتركه البحر من الارسابات، إذ يرق الماء في مواضع منها حتى يخاف على السفن أن تسلكه إن تجلس على الأرض، وكثرت الخلجان على أساس ذلك على شواطئ الخليج العربي والبحر الهندي التي عرفت باسم الأغباب والأخوار. وتظهر خطورتها إبان حركة **المد**[4]

---

(١) **الأغباب:** يقصد بها الإرسابات النهرية التي يتركها البحر وترق فيها الماء. والغب الضارب من البحر حتى يمعن في البر. الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م)، **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٢٢٨.

(٢) رحلة السيرافي، ص٨١.

(٣) رحلة السيرافي، ص٢٤.

(٤) **المد:** مضي الماء في فيحته وسيحته وسنن جريته، وإذا كان غلب الماء المالح على الماء. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٩؛ ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج١، ص٢٠٠.

والـــــــجزر[١]، إذ ينخفض فيها منسوب المياه كما يعرض السفن الكبيرة لخطر الاصطدام بالقاع[٢].

ثانياً : حركة المد والجزر:

أما حركة المد والجزر هي الأخرى كانت لا تقل خطورة في إعاقة سير التجارة، وبدون مغالاة قد لا نجد كتابًا من كُتب الجغرافيين أو الرحالة إلا وإنهم قد تناولوا تغير تلك الظاهرة المهمة في البحر، وقد أشار إليه أيضًا صاحب رحلتنا بذكره[٣]: " وفيها مدٌ وجزر مرتين في اليوم والليلة إلا أن المد يكون فيها يلي البصرة إلى جزيرة بني كاوان[٤] إذا توسط القمر السماء، ويكون الجزر عند طلوع القمر وعند مغيبه. والمدُ يكون بناحية الصين إلى قريب من جزيرة بني كاوان إذا طلع القمر، فإذا توسط السماء حرز الماء، فإذا غاب كان المد، فإذا كان في مقابلة وسط السماء الجزر ".

وعليه فقد ذكر لنا السيرافي مواقيت المد والجزر اليومية على طول الطريق من البصرة وصولًا إلى الصين، وقسّم تلك الظاهرة على وجهتين متمايزتين في توقيت المد والجزر، الأولى تبدأ من البصرة حتى جزيرة بن كاوان، والثاني من تلك الجزيرة وصولًا إلى بلاد الصين.

---

(١) **الجزر**: رجوع الماء على سنن مضية وانكشاف ما مضى عليه في هيجانه، وإذا كان الجزر غلب الماء الحلو على الماء المالح فيستسقي أهل البصرة ماء غير جيد لدورهم، ولذلك يقال: إن ماءهم زُعاق. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٩؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٠٠.

(٢) وعليه فقد نصبت الخشبات في البحر وعددها أربعة، وتلك الخشبات صنعت من خشب الصاج يوقد عليها النار في الليل؛ لكي يراه الملاحون من بعيد فيحتاطون خوفًا إذا بلغتها سفينة كبيرة ارتطمت بالأرض. ويكون موضع هذه الخشبات بين البصرة والأبلة وعبادان، وضربت المراكب في هذه الأرض عشرات المرات، وهذا الموضع يسافر فيه أربعون مركبًا فيرجع واحد. الأصطخري،المسالك والممالك، ص٣٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة القاليم، ص١٢؛ ناصر خسرو، سفرنامة، ص١٦٩؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٠٦.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٣؛ عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١١٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٥٦.

ولابد من الاشارة إلى أن حركة المد والجزر تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي تحدث في كل يوم وليلة مرتين، وفي كل شهر قمري مرتين، وفي كل سنة مرتين[١].

وحكى أن المد والجزر في بحر عُمان والخليج العربي يحدث مرتين في اليوم والليلة، وحكى ربانيو البحر الهندي والبحر الصيني أن المد والجزر يحدث مرتين في السنة، فمرة في شهور الصيف شرقًا ويجزر ضده البحر العربي، ثم يرجع المد غربًا ستة أشهر[٢]، وقيل عن أهل المد والجزر هي مقاومة الأرض لقوة جذب الشمس والقمر لها، غير إنها تعجز عن منع المياه على سطحها من الإنتفاخ والتحدب عند نقطتين متقابلتين قطريًا من الكرة الأرضية وهكذا ينشأ المد والجزر[٣].

ثالثاً: الرياح وشدتها:

ومن العوامل الطبيعية الأخرى التي كان لها دور رئيس في تحديد موعد الرحلة وتحجيم مقدار حمولتها هي الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، والغربية، والشمالية الشرقية، إذ أن لها دور رئيس في حركة التجارة في المحيط الهندي، بل ارتبطت مواعيد الإبحار ارتباطًا تامًا بمواقيت هبوب تلك الرياح. وقيل: " وفي كل بحر من هذه البحار تهيج فيه ريح تثيره وتهيجه حتى يغلي كغليان القدور، فيقذف ما فيه إلى الجزر التي فيه ويكسر المراكب، ويقذف السمك الميت الكبار العظام، وربما قذف الصخور كما يقذف القوس السهم "[٤]. وهذا وصف مهول لشدة الرياح. ونجد لدى المسعودي وصفًا تفصيليًا لتلك المواقيت[٥]، مما تسببه تلك الرياح من ارتفاع حركة الأمواج وصعوبة الملاحة، وتجنب التجار للإبحار وقت هبوب تلك الرياح خلال فصل الصيف.

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٢-٩٣؛ المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، (دار صادر، بيروت،بلات)، ج، ص٥١.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٢-٩٣.

(٣) باليديية، آن لوفيفرا، **البحار والمحيطات**، ترجمة: زينب منعم، (المجلة العربية، الرياض، ١٤٣٥هـ)، ص٤٥.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٣.

(٥) وللمزيد من التفاصيل. ينظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٥٣.

كما تمتلئ صفحات المصادر بوصف الأهوال التي يلاقيها البحارة من جراء تلك الرياح، وأغارقها الكثير من السفن، ومن تلك الحوادث التي وقعت في الطريق من الهند إلى الصين. إن مركبًا خرج يريد الصين، فبينما هو يسير إذ حان وقت الصلاة الأولى، فهبط رجلٌ منهم ليجدد الوضوء إلى الصلاة فنظر إلى البحر فلم يلبث أن قام وعاد ولم يتوضأ، وكان مذعورًا، وقال: " يا رجال ... أرخو الشراع "، ففعلو، فقال: " إطرحوا كل ما على ظهر المركب في البحر "، ثم قال أي شيء عندكم أحب لكم أموالكم التي منها ألف عوض، أو أنفسكم التي لا عوض لها؟ فقالوا: " أي شيء جرى علينا حتى تقول لنا هذا القول "، ... " فريحنا رخو وبحرنا رهو "[1]، ونحن سالمين في كنف رب العالمين، فقال الرجل: " فاليشهد لي رجلًا منكم أني كنت لكم ناصحًا، وأنا أستودعكم الله تعالى "، فهم وأنزل القارب وأنزل معه ماء ورجالًا وزادًا، فلما عزم على مفارقتهم قالوا له: " إرجع ونحن نفعل ما تأمرنا "، ورجع ورموا ما على المركب من سلع ولم يبقَ سوى بني آدم وزادهم ومائهم فقط. وقال: لو علمتم ما يجري لكم وللمركب في جوف هذه الليلة، فتطهروا وصلوا وأخلصوا التوبة إلى ربكم، وأسألوه العفو "، ففعلوا، فقال: " فلما كان الليل فتح الله سبحانه وتعالى أبواب السماء بريح سوداء ملأت ما بين السماء والأرض ورفعت أمواج البحر إلى السحاب وحطتها إلى التراب طمرت من السفن في البلاد والسواحل، في وسط البحر، وقل من سَلِمَ منها، وبقيت الحال هكذا إلى ثلاثة أيام بلياليها، فلما كان اليوم الرابع أمر الله عز وجل الرياح فسكنت فهدأت ". وذكر في إحدى كتب المصادر أن حكايات العواصف البحرية أو الخب في الكتابات، جميعها تقريبًا خالية من الخرافة والخيال، والعجيب في حكاية شهريار هو قدرة الربانيون على قراءة إشارات الخب على مياه البحر قبل قدومه[2].

---

(١) أي ريحنا لينة غير عاصفة، وبحرنا هادئ. شهريار، عجائب الهند، ص٦٨؛ عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١١٤.

(٢) شهريار، عجائب الهند، ص٦٨-٦٩.

إذ يشير أبو زيد السيرافي نقلاً عن سليمان التاجر[1] إن من أسباب تكسر المراكب الصادرة والواردة هي الرياح، إذ يضطر التجار إلى المقام الطويل فيبيعون المتاع في غير بلاد العرب، وربما رمت بهم الريح إلى اليمن أو غيرها يبيعون المتاع هناك، وربما أطالوا الاقامة لإصلاح مراكبهم وغير ذلك من العلل.

د. الأعاصير الحلزونية (النافورات) والدَردُور:

أما الرياح الإعصارية الحلزونية التي تسمى الدردور و**نافورات الماء**[2]، هي الأُخرى لا تقل خطرًا على التجارة وهي إحدى الظواهر الخطيرة التي هددت السفن التجارية في المحيط الهندي. والدردور هذا في ثلاثة ابحر في الخليج العربي ، وبحر الصين، بحر الهند.

وقد ذكر سليمان التاجر[3] الدردور الذي يقع في الخليج العربي بقوله: " وفي غربي هذا البحر جبال عُمان وفيها الموضع الذي يسمى الدردور وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية. والدردور إذا وقعت فيه المراكب تدور ولا تخرج منه، وهو مضيق على مقربة من جبلا كُسير وعوير "[4].

أما نافورات الماء أو دردور هوائي تبلغ سرعة الرياح الدائرة فيها درجة شديدة جدًا، ويحدث أن تمتص الرياح في دورانها بعض الماء من سطح البحر، وهذه

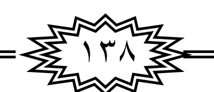
---

(١) رحلة السيرافي، ص٢٤.

(٢) **نافورات الماء:** وهو اعصار فوق البحر ينشا من تفاعل ريحين متضادتين تدوران حول نطاق جوي منخفض الضغط، منخفض الحرارة، ويتكاثف بخار الماء في هذا النطاق، فيبدو في صورة عمود يصل بين البحر والسحاب، وقد ينقطع العمود في موضع وسط بين السحاب وسطح البحر؛ بسبب جفاف الماء في ذلك الموقع، بالنسبة لرطوبة المواضع القريبة منه والنافورات، ظواهر تتميز باضطرابٍ عنيف جدًا لكتل الهواء في نطاق لا يزيد قطره عن مائة وخمسين إلى مائتي وخمسين مترًا على الأقصى متخذًا الشكل الحلزوني. فوزي، حديث السندباد القديم، ص٨٣–٨٥.

(٣) رحلة السيرافي، ص٢٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٠؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٢٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٦٤؛ فوزي، حديث السندباد القديم، ص٨٥؛ عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، ص١١٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٣٤.



النافورات فهي برية وبحرية، وتحدث هذه النافورات في أي وقتٍ وأي موضع، وسبب حدوثها هو انخفاض مفاجئ في الضغط الجوي من السرعة والشدة إذ تولد حركة التخلخل الفجائي انفجارًا داخليًا في الأجسام، وهذا ما يفسره من تطاير الواح النوافذ وتنزع أسقف المنازل عند مرورها(١).

وذكر ابوزيد السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر(٢) في محور كلامه عن بحر هركند: " وربما رؤي في هذا البحر سحابٌ أبيض يظل المركب فيتشرع منه لسانٌ طويل رقيق حتى يلصق ذلك اللسان بماء البحر فيغلي له ماء البحر مثل **الزوبعة**(٣)، فإذا أدركت الزوبعة المراكب ابتلعته، ثم يرتفع ذلك السحاب مطرًا فيه قذى البحر، فلا أدر ايستقي السحاب من الحر أم كيف هذا "، وربما والله أعلم أن سليمان التاجر قد رأى تلك الظاهرة في **جزيرة السحاب**(٤) المعروفة في الهند، لذا نجد أن لتلك الظاهرتان أثر كبير في تحجيم التجارة بين بلاد العرب والهند والصين نتيجة للخسائر الفادحة في أرواح التجار والملاحين وأموالهم أيضًا(٥).

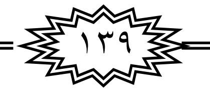
(١) فوزي، حديث السندباد القديم، ص٨٦.

(٢) رحلة السيرافي، ص٢٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٩؛ فوزي، حديث السندباد القديم، ص٨٨.

(٣) **الزوبعة:** اسم شيطان، ويكنى الإعصار أبا الزوبعة حين يدوم ثم يرتفع إلى السماء ساطعًا. الفراهيدي، العين، ج٣، ص١٨٥.

(٤) **جزيرة السحاب:** جزيرة من جزر الهند، سميت بذلك؛ لأنه ربما طلع من ناحيتها سحاب أبيض يضل المراكب، فيخرج منها لسانٌ رقيق طويل مع الريح العاصفة حتى يلتصق ذلك اللسان بماء البحر فيعلو له ماء البحر ويضطرب مثل الزوبعة الهائلة، فإذا أدركت المراكب ابتلعته، ثم يرتفع ذلك السحاب فيمطر مطرًا. وفي هذه الجزيرة تلول إذا مستها النار عادت فضة خالصة. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٠٧.

(٥) فوزي، حديث السندباد القديم، ص٨٦.



هـ. الجبال الطافية في البحر:

ومن الظواهر الخطيرة الأخرى في البحار، هي الجبال الطافية عند السواحل العمانية وأشهرها جبلي كُسير وعُوير وهي جبال يظهر جزء منها طافيًا فوق سطح الماء، والجزء الآخر يختفي في الأعماق وتتجنب السفن الكبيرة عبور تلك الناحية ، ويبدو أن تلك الجبال الطافية التي يختفي معظمها تحت سطح الماء مما يغري السفن على العبور بجوارها فتصطدم قيعانها بالجزء المختفي من الجبال وتتحطم. وقد أشار السيرافي(١) إلى هذان الجبلان بقوله: " كُسير وعوير وليس يظهر منها فوق الماء إلا اليسير، فإذا جاوزنا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صحار "، وهذا الطريق صعبة المسلك، وعرة المقصد، صعبة المنجى، وقيل: كُسير وعُوير وثالث ليس فيه خير؛ وذلك لأنه إذا ما مرت بهم سفينة لا تكد تسلم من الكسر والغرق(٢).

كما يذكر أبو زيد السيرافي(٣) صعوبة الابحار في بحر االقلزم، إذ المراكب التي تحمل المتاع من سيراف إلى مصر، كان السيرافيون يواجهون صعوبات كثيرة في هذا البحر؛ لكثرة جباله الثابتة فيه. وأنه لا ملوك في شيء من سواحله ولا عمارة، وإن المراكب إذا سلكته تحتاج في كل ليلة إلى أن تطلب موضعًا تستكن فيه خوفًا من جباله، فتسير في النهار وتقيم بالليل، وعليه فقد جزم أبو زيد بصعوبة الملاحة في هذا البحر. أما الطريق ما بين **إيلة**(٤) وفي القلزم مكان يعرف باوان وهو أخبث مكان في هذا البحر إذ أن به دوران ماء في سفح جبل إذا وقع الريح على ذروته

---

(١) رحلة السيرافي، ص٢٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١.

(٢) المغربي، الجغرافيا، ص٢٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج١، ص١٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٣٤.

(٣) رحلة السيرافي، ص٨٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٩-٣٠؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص٢٨-٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٥٣؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص١٨-٢٠.

(٤) **إيلة:** مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، كانت مدينة جليلة في زمن داود (ﷺ)، وكان يجتمع بها حجيج الشام ومصر من جاء بطريق البحر، وهي القرية التي ذكرها الله تعالى حاضرة البحر. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٥٣.

انقطعت الريح إلى قسمين فتلتقي المراكب بين شعبتين في هذا الجبل متقابلين، فتخرج الريح من كليهما كل واحدة متقابلة للأخرى فيثور البحر على كل سفينة تقع في ذلك الدوران باختلاف الريحين فتنقلب ولا تسلم أبدًا، وإذا كان الجنوب أدنى مهب فلا سبيل إلى سكونه، ومقدار طوله نحو ستة أميال، وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون وجنوده[١].

ووصف بحر القلزم مثل الوادي وبه جبال كثيرة قد علا الماء عليها، وطرق السفن بها معروفة لا يهتدي فيها إلا **الربابنة**[٢]، ويتخلل بالسفينة في أضعاف تلك الجبال بالنهار، وماء بحر القلزم صافٍ ترى تلك الجبال فيه[٣].

وعليه استنادًا إلى كل ما سبق نجد إن تلك العوامل قد أثرت بطريقة مباشرة وغير مباشرة على حركة التبادل التجاري بين العرب وبلاد الهند والصين.

سادساً: الحيوانات البحرية المفترسة:

استهل سليمان التاجر[٤] رحلته بوصف أكبر وأضخم حيوانات بحر الزنج وهو البحر الهندي بعينه ألا وهو **سمك الأوال**[٥].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٩-٣٠؛ الأصطخري، المسلك والممالك، ص٢٨-٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٥٣؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٨-٢٠.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص٢١١.

(٣) الأصطخري، المسالك والممالك، ص٢٨-٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٤.

(٤) رحلة السيرافي، ص١٥.

(٥) **سمك الأوال:** أو سمك (العنبر)، وهي من رتبة الحيتان يعيش في البحار الحارة على الأغلب (البحر الأعظم)، بحر الزنج، والمحيط الهندي، وعرفت هذه الأوال عند العرب بالأسماء الآتية: البال، والبلينة، والأبلينة، والوال، والفال، والأوال، القاطوس، القنعدة، وفيطس اسم نوع لفصيلة الثدييات البحرية الكبرى التي نسميها "الحيتان" في العصور الحديثة، وتنقسم فصيلة القياطس إلى ذوات الأسنان، وذوات الألواح القرنية، وتنبت الأولى أسنان كما في عينة الثدييات. أما الثانية فلا تظهر الأسنان في فكها إلا أثناء دور التكوين الجنيني ثم تتلاشى بعد ذلك وتنبت بدلها في الفك الأعلى ألواح من مادة قرنية كانت تستعمل حتى أوائل هذا القرن لتقويم أثواب النساء ومشداتهن=

ونجد أن المصادر والمراجع حافلة بوصف هذا الحيوان البحري، إذ ذكر أبو زيد السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر(١) :" وفتح أبو حبيش(٢) وهو الرجل الذي عاش من العمر مائتين وخمسين سنة، وكان في بعض السنين نزل في **الماغوز**(٣)، فرأى أبو حبيش الحكيم السواح فأتى به إلى أبحر وروايته عن سمكة مثل الشراع، وربما رفع رأسه [عن الماء] فتراه كالشيء العظيم، وربما نفخ الماء من فيه فيكون كالمنارة(٤) العظيمة، فإذا سكن البحر اجتمع السمك فحواهُ بذنبه، ثم يفتح فمه فيرى السمك في جوفه يقبض كأنه يقبض في بئر، والمراكب التي تكون في البحر تخافه، فهم يضربون بالليل **بنواقيس**(٥) مثل نواقيس النصارى مخافة أن تتكئ على المراكب

=وأضلاع للمظلات. السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٥؛ فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٥٧؛ جورومان، الحوت التاريخ الطبيعي والثقافي، ص٢٩.

(١) رحلة السيرافي، ص١٥-١٦.

(٢) **لم أجد لهُ ترجمة**.ينظر :لسيرافي، رحلة السيرافي، ص١٥.

(٣) **الماغوز**: يقصد به يأجوج ومأجوج ورد توضيحه مسبقًا في الدراسة ص٦٠.

(٤) فهو وصف ظاهر الصدق لما يراه البحريون عن بُعد من تنفس القياطس (الحوت البال)، فهذه الدواب البحرية دمها حار، تتنفس برئتها الهواء الطليق في الجو، وتقع فتحة الأنف فيها فوق رأسها، وقد ظل الناس طويلًا يحسبون البال يقذف الماء من تلك الفتحة زفيره، ولكن الثابت هو أن ظاهرة "النفخ" مرجعها إندفاع غازات الزفير الدافئة المشبعة ببخار الماء وهي خارجة من رئتي البال، ويتكاثف هذا البخار كما يتكاثف زفير الحيوانات ذات الدم الحار في الجو البارد، وليس ما يمنع أن يختلط رذاذ ماء البحر بهذا الزفير، ولكن هذا الزفير ليس مسؤولًا عن ظاهرة النفخ الخاصة بالقياطس (البال) والتي جعلت معنى التسمية الدارجة عند الغربيين "النفخ"، وصيادوا البال يميزون بين القياطس البليني ذي النتؤات الفكية القرنية، وبين البال الأسبرماسيني "النفاخ ذو الأسنان" ذو الجمجمة الكبيرة، الذي يعطي شكلًا صندوقيًا للرأس في استدارته، وهذا التميز نابع بمجرد رؤية عمود البخار المتكاثف عن بُعد. فدابة العنبر ترسل زفيرها في عمود منفرد من فتحة واحدة، أما القيطس البليني، يخرج زفيره المتكاثف في عمودين. فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٥٨-١٦٠-١٦١؛ جورومان، الحيتان، ص١٠.

(٥) **الناقوس:** هو صحن مجوف عميق تضرب بخشبة طويلة منها يعلم به النصارى اوقات الصلاة، وذكر في بعض المصادر بالدبادب أو الطبول، أو الخشبة. السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٦؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١-٦٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٥؛ شهريار، عجائب الهند، ص١١٣.

فتغـــــرقه[1] "[2]. ولم يذكر لنا التاجر طول هذه السمكة، ولكن اكتفى بوصفه فقط " ولهذا السمك الكبير الذي يدعى الوال"[3]الحوت الأزرق، وبالمقابل فقد اختلفت المصادر في تحديد حجم دابة البحر تلك، فمنهم من أرجع طوله إلى أربعمائة أو خمسمائة ذراع[4] بالذراع العمري[5]، وهي ذراع ذلك البحر.

ومنهم من قدرهُ مائة ذراع[6]، ومنهم من قدره مائتي ذراع[7]، وأغلب هذا النوع من السمك طوله مائة ذراع، وربما يهز البحر فيظهر شيئًا من جناحه، فيكون كالقلع العظيم، وينفخ الماء في الجو[8] أكثر من ممر السهم، والمراكب تفزع منه بالليل

---

(١) إن قول سليمان بخوف المراكب أن يتكئ عليها البال فيغرقها، فيمكن بصفة عامة تأييده فيما يختص بـ (دابة العنبر البال)، وحدها؛ لأن أكثر الأنواع الأخرى من الحيتان تتجنب السفن وتفزع منها، أما البال (الأسبرماسيتي)، فقد عُرف بالشراسة والضراوة على الشر، وهناك حالاتٍ مقررة تتلطح فيها البال زوارق صيد برأسه الهائل فهشمتها وأغرقتها. فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٦٢؛ جورومان، الحوت، ص٢٦، وللمزيد ينظر إلى الملحق رقم (١٦).

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٥-١٦؛ شهريار، عجائب الهند، ص١٣٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١،ص٨٥؛ البكري، المسالك والممالك، ص٦٢؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١١٨؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٣٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٦٥.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٥؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٤٣؛ إبراهيم، عالم القرون الوسطى في اعين المسلمين، ج١، ص٢٠٢.

(٥) **الذراع العمري**: ذراع الخليفة عمر تساوي الذراع الميزانية، فتكون بذلك ٧٢,٨١٥ سم. هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية، ص٨٩.

(٦) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٦٥،٣٧١.

(٧) القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١٠٩.

(٨) وهذه النفخة كانت مثل المدخنة، فالمسافرين العرب القدماء كانوا يرونها كالمآذن او أشرعة السفن البعيدة، وإذا كان الرذاذ قريبًا بما يكفي، تنتشر رائحة كريهة ورذاذ مخاطي مالح، وقد عزز زفير الحوت الخوف في قلوب البحارة، كما شعر آخر بالخوف من استنشاق الهواء الرطب، معتقدين أنه يسبب الدوار ونوبات الاغماء وربما الموت، أما الآخر يرى أن أنفاس الحوت السامة يمكنها أن تسبب طفحًا على جلد الانسان. جورومان، الحوت، ص١٠-١١.

والنهـــــــار[1]، فإذا عرف القوم مرورها ضربوا بالخشب (الدبادب) لتهرب الدابة من صوتهم، ويكون أكثر هذه الحيتان بقرب جزيرة الواق واق وهو أبيض اللون[2]، ولهذا السمك الكبير الذي يدعى الوال مع عظم خلقه سمك تدعى **اللشك**[3]، طولها قدر الذراع فإذا طلعت هذه السمكة وبغت وآذت السمك في البحر سُلطت عليها هذه السمكة الصغيرة فصارت في أصل أذنها[4] ولا تفارقها حتى تقتلها[5]، فتطفو فوق

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٥-١٦؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٣٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٥؛ إبراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، ج١، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) البكري، المسالك والممالك، ص١٤٣-١٤٤؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١٠٩؛ الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، **حياة الحيوان الكبرى**، تهذيب: أسعد فارس، (طلاس للدراسات والترجمة والنشر-١٩٩٢م)، ص٢٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١،٤٦٥؛ ويبدو أن تلك الحيتان ما زالت حتى وقتنا الحالي تفاجئ السياح في تلك الجزر، إذ شوهدت إحدى تلك الحيتان وهي تستريح على سطح الماء مع طفلها في مكان قريب من جزر هاباي في ساحل تونغا (سريلانكا).الشبكة المعلوماتية الألكترونية(الأنترنيت)، CGTN ARABIC ، جهة إعلامية خاضعة لسيطرة الصين https://www.faceebook.؛ وللمزيد ينظر الملحق رقم (١٥).

(٣) **اللشك:** أو الديمورا، أو سمك اللزاق، أو المصاص، أو قملة القرش، وهي نوع من أنواع السمك تعيش في البحر الهندي وطولها نحو ذراع أي (١٥٠س)، توجد على رأس هذه السمكة مصاصات تساعدها على الإلتساق بالحيوانات البحرية الأكبر منها حجمًا مثل الحيتان وسمك القرش، وتعيش هذه السمكة في البحار الحارة. وتفضل الحياة السهلة المريحة، كما تفضل التطفل على الأسماك الأخرى وترتحل معها من مكان إلى لآخر. السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٥؛ البكري، المسالك والممالك، ج١، ص١٤٤؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٣٢؛ SERAPHIC. و REATION DESVOYAGES. DANS L'INDETA LA GHINE. TEXTE ARABE IN PRIME EN 1811, PARLES SOINS DE FKU LANG LES, PARM. REINAUD, PARIS, 1845, P 86-87.

(٤) يقصد بها التاجر قاعدة الزعانف الصدرية الذي يشير له المؤلف بالأذان. ينظر: SERAPHIC, DESVOY AGERSKAIT DARLES ARAB, ESETLES PERSAS, P 86-87.

(٥) يبدو أن هذا منطقيًا؛ لأن تلك السمكة الصغيرة تعلق على جسد دابة الوال وهذه العلاقة التكافلية بينهما بمثابة عقد منحتها الطبيعة إياه إلى الأبد، وتمتلك هذه السمكة الصغيرة الشجاعة الكافية=

الماء فتكون كالجبل العظيم، ودومًا تلتصق هذه السمكة الصغيرة بالمراكب فلا تقرب المركب هذه السمكة الكبيرة فرقًا (خوفًا) من الصغيرة[1]، إذ كانت له آفة وقاتلة[2]. وربما يقذف البحر قطعًا من **العنبر**[3] كالتلال، فيأكلها البال، فتقتلها فتطوف فوق الماء[4]. وله قوم يجمعونه في قوراب قد عرفوا الأوقات التي توجد فيها هذه الحيتان

=للسباحة في فم الحوت وتخلصها من بقايا اللحوم بين أسنانه، وهي الأخرى تحصل على وجبة غذاء لهذا تمنح تلك الحيتان أو سمك القرش الاقامة المجانية لتلك الأسماك الصغيرة.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٥؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١٠٩؛ إبراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، ج١، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٨٥؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٣٢.

(٣) **العنبر**: افراز مرضي (باتولوجي) متحجر، من قبيل حصى المرارة في الإنسان والحيوان، يتكون في أمعاء نوع من القياطس (الحوت) الذي يعيش في البحار الحارة على الأغلب، وقد اشتهر العنبر بشهرته العظيمة، وما برح ينتفع به في الشرق كمادة طبية، اما الغرب كان تحضيره منه للروائح العطرية. ينظر: فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٥٨-١٥٩.

(٤) إن شعوب القرون الوسطى لم تستطع أن تفهم سر تكوين العنبر الذي غالباً ما كانت تجده في الأغلب طافيًا على وجه الأرض أو مطروحًا على الشواطئ، ولذلك راحت تبتدع نظرياتٍ لهذا التكوين باعدت بين تفكيرهم وبين الواقع، إذ يذكر أبو زيد السيرافي وموضحًا ما يقذفه بحر القلزم من العنبر بقوله: " لأهل هذه النواحي أوقات يركبونها في ليالي القمر يسيرون بها على سواحلهم قد ريضت وعرفت طلب العنبر على الساحل ... ومنه ما يوجد فوق البحر ويزن وزنًا كثيرًا، وربما كان كهيئة الثور ودونه، فإذا رآه الحوت المعروف بالبال ابتلعه، فإذا حصل في جوفه قتله وطفا الحوت فوق الماء "، وعليه هذه الرواية تؤكد على عدم معرفة الشعوب في القرون الوسطى الأصل في تكوين العنبر. وعليه فقد اهتدى علماء القرن التاسع عشر إلى حقيقة أن العنبر يتكون في جوف البال نفسه؛ وذلك حين حللوا تلك المادة فقاربوا بينها وبين الكولسترين وقدروا أنها ترسب مرضي شبيه بحصى المرارة، والبال يتغذى على الاخطبوطات الكبيرة وللأخير مناقير قرنية كالببغاء قائمة بأزدواج في فتحة الفم، وهي الفتحة المحوطة في نظام دائري بأذرع الشعبانية الثمانية ذات المصاصات الحجامية، وقد وجد العلماء المناقير داخل قطع العنبر، لذا ارتهنوا العلماء إن العنبر تتكون نتيجة تهيج أغشية أمعاء البال بواسطة هذه المناقير فتترسب حول مركز التهيج مواد كولسترينية هي العنبر. وعليه استنادًا لما سبق يؤكد أن العنبر مادة يفرزها الحـــــوت نتيجة=

المبتلعة العنبر، فإذا عاينوا منها شيئًا اجتذبوه إلى الأرض بكلاليب من الحديد ويشقون بطنها ويستخرجون العنبر منها[١]، فما يكون في بطنها يكون شهكًا تعرفه التجار والعطارون بالعراق وفارس والهند، وما يكون في ظهرها يكون جيدًا نقيًا[٢]. وهذا الحوت المعروف بالبال بما عُمل من فقار ظهره كرسي يقعد عليها الرجل ويتمكن[٣].

ويشير التاجر سليمان إلى نوع آخر من الأسماك في بحر هركند ويعلل أن سبب قلة المتاع خوف التجار من هذا الحيوان، بقوله: " وفي هذا البحر سمك يدعى **اللخم**[٤]، وهو سَبع يبتلع الناس، فيقل المتاع "[٥]، وقيل هي سمكة في البحر لها خرطوم كالمنشار[٦] ولا معيشة لأهل عُمان إلا صيد هذا السمك، وهو شبيه بكلب البحر[٧]، ويقال له الكوسج[٨]: " سَمك في البحر خرطومه كالمنشار يأكل الناس ويسمى اللخم "، وقال الأصمعي: " الناقص الأسنان "، واللخم ضرب من السمك الخبيث له ذنب طويل يضرب به ويسمى جبل البحر. ومن الروايات الطريفة حول الكوسج، نقل شيخنا عن رجلٍ، أن امرأته قالت له: " أنت كوسج "، فقال لها: " إن كنتُ كوسجًا فإنتِ طالِق "، فسأل عن ذلك إمام العراق وشيخ الكوفة الإمام أبا

= اضطرابات معدية. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٠-٩١؛ فوزي، رحلة السندباد القديم، ص١٥٩-١٦٠.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٠-٩١.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩١؛ البكري، المسالك والممالك، ص٢٣٦؛ جورمان، الحوت التاريخ الطبيعي والثقافي، ص٢٨.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٠-٩١.

(٤) **اللخم**: " بخاء معجم مفتوح "، واللخم: القطع، أي لخم الشيء لخمًا قطعه، واللخم بالضم سمكٌ بحرين ويقال له الكوسج. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٤٦٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ص٧٨٩١.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٣.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ص٧٨٩١؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٧٤.

(٧) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج١، ص٢٧٤.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، ص٨٧٩١.

حنيفة، فقال: " تعد أسنانه، فإن كانت ثمان وعشرين فهو كوسج وتُطلق عليه، وإن كانت اثنتين وثلاثين فلا ولا تُطلق، فعُدّت فوجدت اثنتين وثلاثين[١].

وعليه إن اللخم سمكٌ ضخم لا يمر شيء إلا قطعه وهو يأكل الناس، وقيل القرش[٢]. وأشير إليها في بعض المصادر بإسم المنشار، وقيل: هي سمكة عظيمة كالجبل العظيم، ومن رأسها إلى ذنبها كالمنشار من عظام أسود، وكل سن منها أطول من ذراعين، وعند رأسها عظمان طويلان طول كل واحدة عشرة أذرع، تضرب بالعظمين يمينًا وشمالًا في الماء فيسمع لها صوت عظيم، ويخرج الماء من فيها ومناخرها ويصعد نحو السماء رمية السهم، وينعكس المركب كالسيل، وهي بعيدة عن المراكب، وإذا عبرت تحت المراكب قطعتها نصفين، وإذا رآها أصحاب المركب يبكون ويضجون إلى الله تعالى بالدعاء ويصلون صلاة الموت خوفًا منها[٣]. أما الحميري[٤]، يذكر أن في بحر هركند سمكة من صدرها إلى رأسها مثل الترس، تطيف بها عيون تنظر منها وباقيها طويل مثل الحية في الطول عشرين ذراعًا[٥]، وقيل ثلاثون ذراعًا[٦]، ولها أرجل كثيرة كأمثال المنشار[٧]، طول كل سن منها شبر كالحديد في الصلابة أو الفولاذ في القطع[٨]. وصدرها إلى آخر ذنبها لا تنطوي على شيء إلا أهلكته، ولا تتصل بشيء من المراكب إلا شقته، ولا تضرب شيئًا إلا قطعته نصفين[٩].

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، ص١٤٨٩.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ص٨٧٩١؛ الفيروزآبادي، المعجم الوسيط، ص٨٢٠.

(٣) ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٣٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٦٥-٤٦٦.

(٥) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٦٥.

(٦) ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢١١.

(٧) الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٤٦٦.

(٨) ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢١١.

(٩) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٦٦.

استنادًا إلى كل مما سبق، كانت الحيوانات البحرية المفترسة لها دور أيضًا في إدخال الخوف في قلوب العديد من التجار ما منعكم في الخوض بالبحار من أجل المتاجرة لما تركت تلك الحيوانات من رعب في نفوسهم.

ب- العوامل البشرية المؤثرة على تراجع التبادل التجاري بين العرب وبلاد الصين من الفترة (١٣٧-٢٦٤هـ/٧٥٤-٨٧٨م):

مرت التجارة العربية بفترات من الركود والتراجع؛ بسبب بعض الأحداث والأزمات التي تركت آثارها السلبية على النشاط التجاري[١]، وتلك الأسباب عديدة ويمكن أن نوجزها بكل مما يأتي:

اولاً- ثورة آن لوشان[٢](An lushn):

ذكر لنا محقق كتاب رحلة السيرافي عن أحداث قد سبقت رحلة سليمان التاجر إلى بلاد الصين وتلك الأحداث سببت في ركود حركة التجارة بين بلاد

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، مقدمة تحقيق عبد الله الحبشي، ص٣.

(٢) **ثورة آن لوشان:** عبارة عن تمرد عنيف وثورة اشتعلت في الصين ضد أسرة تانغ الحاكمة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ورفع آن لوشان لواء العصيان ضد الحكم القائم في سنة (١٣٧هـ/٧٥٤م)، وكان حينها حاكم على مدينة صغيرة يقال لها (يون نشو)، ثم ترقى إلى منصب المحافظ بولاية (هاتونغ)، وقد أظهر آن لوشان أنه أهدى ثلاثة آلاف من الخيول إلى الامبراطور، وما كانت هذه الهدايا إلا خيولاً على كل جواد منه مقاتلان وحوله اثنان وعشرون حارساً في الظاهر،وما هُم في الواقع إلا قواد الجيش، وطلب امبراطور الصين (تسوجونغ) المساعدة من الأواغرة والعرب فدخلت قوات الإسناد إلى العاصمة الشرقية مع القائد الصيني الكبير (كوتسنى) فاتحين منتصرين بعد أن دارت بينهم معركة أدت إلى فرار جيش آن لوشان، وقتل الأخير على يد القوات المشتركة. وبعد المعركة خير الامبراطور (سوجونغ) تلك القوات بالعودة أو الاقامة، فقد عاد من عاد، بعدها لقى من الحفاوة والاكرام من أمراء الصين، وأقام من فضل الاقامة فيها، إلا أنهم أقاموا على شروط وهي استقلالهم في إدراتهم الخصوصية وعباداتهم وشعائرهم فأجاز لهم مطالبهم، وفرقهم الملك على المدن العظيمة، كما أجاز لهم أيضاً التزوج ببنات السكان والمصاهرة، فكثروا في مدة وجيزة. الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٨-٣٩؛ ديورانت، قصة الحضارة، ج٤، مج١، ص١٠٩؛ يوسف، الصين والاسلام والتجارة، ص٨-٩؛ سلسلة كتب سور الصين العظيم، تاريخ الصين، مجلة بناء الصين، بكين، ١٩٨٦م، ج١، ص٩٣.

العرب وبلاد الصين، لقوله: " وكان الفرس حتى عصر السيادة العربية هم أكثر الناس جسارة على ركوب البحر، وكان من الواضح منذ عهدٍ طويل أن **المستعمرات العربية الفارسية بميناء كانتون**[١] بالصين كانت قد بلغت حدًامن القوة أصبحت معها في سنة (١٤١هـ/٧٥٨م)تضع يدها على المدينة وتتحكم فيها ثم تنهبها وتغادر البلاد عن طرق البحر. وهذا تفسير لما كانت تمر به المدينة من اضطرابات أمنية وعدم وجود قوة للدولة للوقوف بوجه تلك الحملات. وبسبب الاضطرابات التي وقعت أحداثها على أثر اندلاع ثورة آن لوشان[٢] والسيطرة على كانتون والمحاولة لإسقاط اسرة تانغ، ولكن استنجاد الامبراطور (سوجونغ) [٣] بالعرب الذين استقروا في **بخارى**[٤]

(١) **المستعمرات العربية الفارسية بميناء(كانتون):** أطلق هذا المصطلح على مدينة خانفوا (كانتون) في الكتب الأجنبية تعبيرًا منهم على إن العرب احتلوا المدينة في تلك الفترة، وقد اقتبس عبد الله الحبشي ذلك النص من تلك المصادر الأجنبية، إذ يذكر بدر الدين الصيني " ان نفوذ جاليات العرب والفرس في مدينة خانفوا من الكثرة والقوة حتى مكنهم في سنة (١٤١هـ-٧٥٨م) من القيام بمشاغباتٍ استطاعوا أن ينهبوا ميناء الصين الأكبر نهبًا". والحقيقة عكس ذلك؛ لآن القوات النظامية التي تقدمت نحو الصين بأمر من الإمبراطور الصيني (سيوجونغ) للقضاء على ثورة آن لوشان، وبعد القضاء على الثورة خير الامبراطور تلك القوات البقاء أو الرجوع إلى اراضيهم ومدنهم ومنهم من رفض ورجع إلى دياره والآخر فضل البقاء، وقد قسم الامبراطور أولئك المسلمين على كبريات المدن ومنها كانتون، والملاحظ أن كتب المستشرقين تطلق على مدينة (خانفو) في تلك الفترة بالمستعمرة . السيرافي ،رحلة السيرافي ،ص٦.

(٢) فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٨؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٦

(٣) **سوجونغ:** وهو ولي عهد الامبراطور (يونغ جونغ) اعتلى العرش بعد أن تنحى والده عن العرش على أثر الضغط الذي مارسه قادة ثورة آن لوشان، ونصب سوجونغ على عرش السلطة بعد أن شاور الوزراء، وكان ذلك في (١٣٨هـ/٧٥٥م)، واستطاع هذا القائد من القضاء على ثورة آن لوشان وإرجاع الحكم إلى أسرة تانغ بعد طلبه المساعدة من العرب والأواغرة. الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٦؛ يوسف، الصين الاسلام والتجارة، ص٨.

(٤) **بُخَارى:** من أعظم مُدن ما وراء النهر، وهي مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الأرجاء حلوة الفواكه، وهم يدخرون العنب من سنة إلى سنة، كثيرة الأنهار، ويحيط ببناء المدينة القصور والبساتين والقرى المتصلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٠؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٠٩؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص١٨٠.

وسمرقند[١] على أثر فتوحات **قتيبة بن مسلم الباهلي**[٢]، و**الأواغرة**[٣]، ساعدوا على إرجاع الحكم **لأسرة تانغ**[٤] والقضاء على الثورة نهائيًا سنة

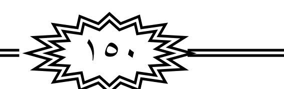
---

(١) **سمرقند:** بلدٌ معروف مشهور، قيل أنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد ومرتفعة عليه. وهي بلدة مشهورة بما وراء النهر وليس على وجه الأرض مدينة أطيب ولا أنزه ولا أحسن من سمرقند. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٧٣؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢١٩.

(٢) **قتيبة بن مسلم الباهلي:** أمير خُراسان في خلافة سليمان بن عبد الملك الأموي. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٠٩.

(٣) **الأواغرة:** قومٌ تفرعوا عن التتار في أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وقد أسلم رئيسهم على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، وكان الأيغور على علاقة سياسية مع الصين بعد العرب لأنهم كانوا شعبًا قويًا، ودخلوا بعلاقة مصاهرة مع أسرة تونغ وتزوج ثلاثة من رؤساء الأواغرة بين السنوات(١٣٤هـ/٧٥١م) و(١٦٩هـ/٧٨٥م) من أميرات تانغ لأسباب سياسية، وقبل الصينيون العرب الفاتحين بينهم وتزوجوا منهم، حضَّروهم وارتقوا هم وإياهم إلى أسمى ما بلغوه من المجد في تاريخهم الطويل. الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٤٢؛ ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص١٠٨؛ الطائي، سعاد هادي حسن، **الأويغور دراسة في أصوالهم التاريخيةوأحوالهم العامة (١٢٧-٦٥٦هـ/٧٤٤-١٢٥٨م)**، ط٢، (مكتبة عدنان، بغداد- العراق، ٢٠١٦هـ)، ص٢١-٤٣.

(٤) **يذكر بدر الدين الصيني** أن بعض المؤرخين ومنهم موسيودابري مؤلف كتاب " المحمدية في الصين"، ان امبراطور الصين قد طلب الأعانة العسكرية من الخليفة أبي جعفر المنصور في قمع ثورة (آن لوشان)، ويقول: " لقد بحثت عن هذا الخبر في الكتب العربية القديمة من الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٣م)، إلى بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) فلم أجد فيها أية إشارة إليها"، ثم يكمل ويقول إن للشيخ بيرم التونسي المتوفى سنة (١٨٨٩م)، وهو " أن أصل المسلمين في الصين وهم يرتقون إلى ستين مليونًا من السكان ومن العساكر والمسلمين اللذين جلبهم ملك الصين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، حين ثارت عليه رعاياه فاستنجد بالخليفة على أن يؤدي معلومًا إذا أنجده، فأرسل إليه أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه وأجازهم على ذلك بجواز الاقامة في مملكته"، ثم يكمل ويقول: " ناسف لأنه لم يذكر مأخذه من أي مصدر، ويستنتج بدر الدين الصيني ان تلك القوات لم تأتي بأمر من الخليفة أبو جعفر المنصور لمساعدة امبراطور الصين مرجحًا ذلك لأسباب، وهو أن عهد الخليفة العباسي كان مليئًا بالحوادث والاضطرابات مثل خروج عمه عبد الله بن علي في صفر (١٣٧هـ)، من ثم أنه لم يستطع الوقوف أمام طموحات أبو مسلم الخراساني، لذا احتال عليه وقتله عام (١٣٩هـ/٧٥٥م)، فأدى مقتله إلى ثورة هائلة خراسان استمرت ثلاث سنوات وانتهت في سنة (١٤١هـ/٧٥٨م). ومن المعلوم أن الثورة التي اندلعت في الصين كانت في السنة الأولى التي تولى فيها أبو جعفر المنصور الخلافة واستمرت ثلاث سنوات=



(١٤٠هـ/٧٥٧م) [١].وعلى أثر هذه الثورة فقد سكنت تلك القوات في خانفوا، ويذكر سليمان التاجر[٢]: " في خانفو وهو مجتمع مع التجار رجلًا مسلمًا يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية، ويتوخى ملك الصين ذلك لاهتمامه بأولئك القاطنين بأرضه، وكان هذا الحاكم إذا كان العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين، وعليه استنتاجًا إلى كل ما سبق كانت لتلك الثورة أثر على حركة التجارة في تلك الفترة .

ثانياً- ثورة بابشوا (Babshow):

ذكر أبو زيد السيرافي[٣] أن في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، أي حوالي سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م)، وقعت اضطرابات سياسية عنيفة في بلاد الصين أدت إلى تراجع حركة التجارة العربية وشلت حركتها، وحرمت الموانئ الصينية وخاصة ميناء خانفو (كانتون) التي كانت مجتمع تجار العرب وأهل الصين من المتاجرة؛ وذلك بسبب نشوب حروب أهلية أدت إلى حالة من الفوضى في البلاد، وعليه يذكر لنا أبو زيد السيرافي[٤] في مستهل كتابه تفاصيل عن تلك الثورة التي اندلعت في أرجاء الصين، بقوله: " وقد تغير أمر الصين وحدثت فيه حوادث

=أيضاً ولم تقمع إلا في سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م)، ومن المتيقن إذن أن التعبئة العسكرية التي جاءت إلى الصين في (١٣٨هـ/٧٥٥م) لم تكن من قبل أبي جعفر المنصور، بل كانت تلك القوات التي جاءت مع قتيبة بن مسلم الباهلي في العصر الأموي استقرت في بخارى وسمرقند. الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٩.

(١) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٨؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١،ج٤، ص١٠٩؛ يوسف، الصين الاسلام، ص٨؛ آرنولد، الدعوة إلى الاسلام، ص٣٣٣؛ برّوى، إدوار، **تاريخ الحضارات العام في القرون الوسطى**، ترجمة: يوسف أسعد داغر، بأشراف مويس كروزيه، ط٢، (منشورات عويدان، بيروت- لبنان،١٩٨٦م)، ص٩٢-٩٣.

(٢) رحلة السيرافي، ص٢٤.

(٣) رحلة السيرافي، ص٥٣-٥٤ح المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨.

(٤) رحلة السيرافي، ص٥٣-٥٤-٥٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٥٥.

انقطع لها الجهاز إليهم وخرب البلد وزالت رسومه وتفرق أمره، وأنا أشرح ما وقفت عليه من السبب في ذلك إن شاء الله: السبب في تغير أمر الصين عما كان عليه من الاحكام والعدل وانقطاع الجهاز إليه من سيراف: أن نابغًا نبغ فيهم من غير بيت الملك يعرف **ببابشو**(١).

وكان مبتدأ أمره **الشطارة**(٢) والفتوة، وحمل السلاح والعبث واجتماع السفهاء إليه حتى اشتدت شوكته وكثر عدده واستحكم طمعه، فقصد خانفوا من بين مدن الصين، وهي المدينة التي يقصدها تجار العرب، وبينهما وبين البحر مسيرة أيام يسيرة، وهي على وادٍ عظيم وماء عذب، فامتنع أهلها عليه فحاصرهم مدة طويلة، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين إلى أن ظفر بها، فوضع السيف في أهلها، فذكر أهل الخبرة بأمورهم: أنه قتل من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس سوى من قتل من أهل الصين مائة وعشرون ألف رجل كانوا بهذه المدينة"(٣).

ويذكر إن الحرب كانت سجالًا بين الطرفين واستمرت نحوًا من سنة، وكانت النتيجة بهروب الملك، وأمعن الخارجي في طلبه، فانحاز الملك إلى مدينة في أطراف أرضه تُعرف بـ "خمدان"، وطلب الملك المساعدة من البلاد المتاخمة لبلاده، وهي بلاد التبت وملكهم **الخاقان**(٤)، فأرسل الأخير بولدٍ له بنحو من أربعمائة ألف

---

(١) **بابشو**: وذكرت بعض المصادر بـ "يانشو"، قائد صيني تولى قيادة الثورة في الصين سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م)، في زمن أُسرة تانغ، وكان يانشو رجل من غير بيت المملكة، فاجتمع إليه أهل الدعارة والشر، فافتتح مدينة خانفو، وقتل فيها مائتا ألف. البكري، المسالك والممالك، ص١٩٥.

(٢) **الشطارة**: الشاطر في اللغة من أعيا أهله ومؤدبه خُبثًا ومكرًا. وهو مأخوذ من شطر عنهم إذا نزح مراغمًا. وهنا يأتي معنى "الشطارة" اللصوص وقُطّاع الطرق، والشطار أبطالها من اللصوص والقراصنة بدلًا من الفرسان. الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص٢٠٠٢.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٤-٥٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٩؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٦؛ يوسف، الصين الاسلام والتجارة، ص٨؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٦٤.

(٤) **الخاقان**: لقب أطلق على ملك التُرك الأعظم، وأطلق هذا اللقب على شيوخ الأمراء من القبائل التركية، وقد تلقب به سلاطين الخطأ، وتركستان، والتبت، والخزر، خلا ملك (الخرلنج)، فإنهم يسمونه (جبغوية)، وملك الصين (بغبور) . السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٢؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٣٩؛ ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد=

فارس وراجل، وقد استفحل أمر بابشو، وكانت الحرب بينهم سجالًا، واستطاعت تلك الجموع بعد حروب متصلة ووقائع عظيمة من ازاحته، فزعم قوم إنه قُتل، وزعم آخرون أنه مات، وعاد ملك الصين إلى بلده المعروف بخمدان بعد ضعف في نفسه، ونقص في أمواله وهلاك قواده وصناديد رجاله وكفاءته[(١)].

وعليه فقد قسم الصين إلى أقسام وكل ناحية منه تحت حكم متقلب ومنع من أموالها وتمسك بما في يده منها[(٢)]، رغم ذلك كانوا يدينون بالولاء للملك بالطاعة والدعاء له، لكن دون السمع والطاعة في الأموال. وهنا يشبه أبو زيد السيرافي[(٣)] بلاد الصين ببلاد فارس في ذلك الوقت، إذ يقول : " فصارت بلاد الصين على سبيل ما جرت عليه أحوال الأكاسرة عند قتل الاسكندر **لدارا الكبير**[(٤)] وقسمته أرض فارس على **ملوك الطوائف**[(٥)]، وصار بعضهم يعضد بعضًا للمغالبة بغير إذن الملك ولا

=(ت٣٠٩هـ/٩٢١م)، **رسالة ابن فضلان**، تح: سامي الدهان، (مط الهاشمية، دمشق، ١٩٦٠م)، ص١٨٤؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٤١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٨٤.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٤-٥٥-٥٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٩؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٥.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٥.

(٣) رحلة السيرافي، ص٥٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٩.

(٤) **دارا الكبير**: وهو دارا بن بهمن، حكم اثنى عشرة سنة، وهو أحد ملوك الفرس وحاربه الاسكندر وغلبهم على ملكهم. ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، (مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٨٩٣م)، ص٩٤.

(٥) **ملوك الطوائف**: وهي المدة التي مرت بها بلاد فارس بعدما قتل الاسكندر بن فيلبس دارا بن دارا، وعليه تغلب كل رئيس على ناحيته، وكاتبهم الاسكندر، فمنهم فرس ومنهم العرب، وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتخريبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هوفية، فينعدم نظام الملك والانقياد إلى ملك واحد يجمع كلمتهم ليرجع إليه الأمر. السيرافي،رحلة السيرافي، ص٥٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٧٩؛ كرسيتنسن، آرثر، **إيران في عهد الساسانيين**، ترجمة: يحيى الخشاب، راجعه: عبد الوهاب عزام، (دار النهضة العربية، بيروت- لبنان ، بلات)، ص٤٧٨-٤٩٠.

أمره، فإذا أناخ القوي منهم على الضعيف تغلب على بلاده واحتج ما فيه وأكل ناسه كلهم، وذلك مباح لهم في شريعتهم لأنهم يتبايعون لحوم الناس في أسواقهم(١).
وامتدت أيديهم مع ذلك إلى ظلم من قصدهم من التجار "(٢).

وعليه فإن هذه الرواية المهمة في تاريخ العلاقات التجارية بين العرب وبلاد الصين كما جاء في نص كتاب أبو زيد أشارت إلى ما تأثرت به تلك الصلات التجارية بين الجانبين، وما تعرضت بها له مصالح التجار من ظلم وبطش بعد تلك الواقعة " وامتدت ايديهم مع ذلك إلى ظلم من قصدهم من التجار ولما حدث هذا فيهم التأم إليه ظهور الظلم والتعدي في **نواخذة العرب**(٣) وأرباب المراكب فألزموا التجار ما لا يجب عليهم وغلبوهم على أموالهم واستجازوا ما لم يجرِ الرسمُ به قديماً في شيء من أفعالهم، فنزع الله جل ذكره البركات منهم جميعاً ومنع البحر جانبه، ووقع الفناء بالمقدار الجاري من المدبر في الربابنة و**الأدلاء**(٤) بسيراف وعُمان "(٥)،

---

(١) يروي لبزرك بن شهريار رواية عن شخص خرج من بحر الصنف إلى الزايج فوقع بين يدي أشخاص لم يفهم كلامهم، وقال: " فحملوني إلى قريةٍ فأدخلوني إلى منزلٍ وحبسوني مع ثمانية أنفس، فسألوني عن خبري فحدثتهم وسألتهم، فخبروني أنهم من أهل مركب فلان، وقد خرجوا من الصنف إلى الزايج، فوقع عليهم (الخب) أي الريح، فتخلصوا في قارب المركب نحو عشرين رجلًا فوقعوا إلى هذه الجزيرة، فأخذهم قوم فاقتسموهم فأكلوا منهم جماعة إلى هذ ا الوقت"،فلما كان الغد جاؤنا بسمسمٍ وموز وسمنٌ وعسل وضعوه عندنا، فقالوا هذا طعامنا منذ وقعنا ها هنا، فأكلنا مقدار ما يمس رمقنا، ثم جاءوا فنظروا إلينا وأخذوا أحسننا حالاً في جسده، فودعناه وقد كان بعضنا أوصى ببعض، فأخرجوه إلى وسط المنزل ودهنوه من رأسه إلى قدمه بالسمن، ثم أقعده في الشمس مقدار ساعتين، ثم اجتمعوا عليه فذبحوه وقطعوه قطعاً، ونحن نرى، ثم شووه وأكلوه وطبخوا بعضه، وأكلوا بعضه نيًا مملوحًا، ثم شربوا شرابًا وسكروا، وهذا دليل على إن تلك الأقوام كانت تأكل لحوم البشر. شهريار، عجائب الهند، ص١٨٩، وللمزيد من التفاصيل ينظر إلى : ص١٨٨-١٨٩، من الدراسة.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٥.

(٣) **النواخذة:** جمع ناخوذات، و (الناخذاة): هو رئيس السفن مأخوذ (ناواي) سفينة من خُذا: أي صاحب. أدّى شير ، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٥٠-١٥١.

(٤) **الأدلاء:** المرشدون للسفن. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٦.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٥٦.

وعليه استنتاجًا مما سبق، إن بعد سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م) تغيرت أحوال التجار وجاروا عليهم وظلموهم، وفرضوا عليهم رسوم تجارية باهضة الثمن، ويفسر أبو زيد السيرافي[١] أن تلك الاجراءات المجحفة بحق المسلمين العرب قد " نزع الله جل ذكره البركات منهم جميعًا ".

وعليه فقد تركت هذه الثورة نتائج سلبية عديدة على كلا الجانبين السياسي والاقتصادي، أما أهم الآثار السلبية على الجانب السياسي فتلخصت بـ:

١. أصبحت سلطة الملك لا تتجاوز سوى اظهار الطاعة والدعاء له دون السمع والطاعة في الأموال.
٢. تقسيم الصين إلى قوى وأحزاب مختلفة، وغلب على كل ناحية متغلب منع من أموالها وتمسك بما في يده من أموال[٢].

أما على الجانب الإقتصادي، فقد كانت تلك الآثار:

أ. انقطع لها الجهاز (أي التجارة)، وخربت البلاد وزادت رسومه وتفرق أمره، وظلم من قصدهم من التجار، وانقطاع الجهاز إليه من سيراف[٣].
ب. ومن نتائج هذه الثورة أيضًا التي استمرت تسع سنوات في الجانب الاقتصادي هو انقطاع الحرير خاصة عن بلاد العرب؛ وذلك بعد أن ملأ الثوار البلد بالخراب ولم يسلم من أيديهم شيء حتى شجر التوت، حين لجأ الثوار إلى قطع تلك الأشجار وسائر الشجر في الصين، وذكر أن لشجر التوت أهمية خصوصًا لإعداد أهل الصين ورقة لدود القز حتى يلف الدود به نفسه ولقطع تلك الأشجار كانت السبب في انقطاع التجارة مع بلاد العرب[٤].

---

(١) رحلة السيرافي، ص٥٦؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٥.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣-٥٥.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨-١٠٩؛ ف. هايد، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، ترجمة: أحمد محمد رضا، مراجعة وتقديم: عز الدين فودة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م)، ص٤٧-٤٨.

وعليه كانت التجارة في هذهِ الحقبة متأرجحة بين الركود والنشاط متأثرة بعوامل طبيعية وبشرية.

ت -عمليات القرصنة البحرية:

أشار سليمان التاجر إلى جزر في بحر كدرنج فيها ماء عذب لمن أراده وبها جبل مشرف وربما كان فيه "الهُراب من العبيد واللصوص"[(١)]. وهذه اشارة من التاجر إلى عمليات القرصنة في تلك البحار، ولا يمكننا تحديد متى ظهرت عمليات القرصنة البحرية، إلا أن القرآن الكريم أورد أحد صور الاعتداء على السفن بسورة الكهف في قصة النبي موسى ﴿عليه السلام﴾ مع **الخضر**[(٢)] في قوله تعالى:﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[(٣)]، إن السفينة إنما خرقتها لأعيبها؛ لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة (يأخذ كل سفينة) صالحة، أي: جيدة (غصبًا) فأردت أن أعيبها لأرده عنها لأعيبها فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها[(٤)].ومع هذهِ الآيه القرانية والتفسير لها إلا أننا لا نستطيع ان نجزم بأن هذهِ الآية القرأنية جاءت في صميم عمليات القرصنة البحرية التي تحدث بها سليمان التاجر.

---

(١) رحلة السيرافي، ص٢٨.

(٢) **الخضر**: عبد من عباد الله الصالحين، ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف، وذكر تفاصيل رحلته مع نبي الله موسى ﴿عليه السلام﴾، وكان لهذا العبد كراماتٍ من الله خصه بها، لقوله تعالى:﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ سورة الكهف، الآية (٦٥)، وكان التقاءه بموسى عند مجمع البحرين أي الخليج العربي وبحر الروم. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، **مختصر تفسير القرآن العظيم**، تح: أحمد شاكر، ط٢، (دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص٤٨٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: (٧٩).

(٤) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص٦٦٩؛ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، ص٤٨٧.

وعليهِ أن عمليات القرصنة في الخليج العربي وبحر الروم كانت قائمة منذ زمن النبي موسى (عليه السلام) عندما اجتمع بالخضر بمجمع البحرين، أي: هما الخليج العربي مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب[1].

وعليه كان الملك في زمن موسى (عليه السلام) يستولي على كل سفينة عن طريق استخدام القوة، وهذه هي القرصنة البحرية بعينها، وكان القراصنة في العصور الوسطى يهاجمون السفن لأخذ مبالغ مالية من التجار، كما لجأ بعض التجار في بعض الأحيان بأعمال قرصنة ضد رفاق مهنتهم وأصبح كل تاجرٍ لصًا بدرجة أو بأخرى دون وخز من ضمير، ولهذا لجأ بعض التجار لحماية مصالحهم التجارية من أجل منافسة ناجحة إلى الإتحاد معًا في منظمة تجارية كان لها دور سياسي ضخم بعيدًا جدًا عن حدود نشاطها التجاري نفسه، وبالتالي كانت هذه أول خطوة لعمل جماعي في مكافحة القرصنة البحرية[2].

وقد وردت تسمية القرصنة في المصادر العربية بأسم " متلصصة البحر "[3]، كما نعتهم ابن خرداذبة[4] بـ " اللصوص "، وقد انتشر هؤلاء القراصنة في مياه الخليج العربي " وكان للساحل الغربي منه خاصة أسوأ سمعة بسبب هؤلاء القراصنة "[5]، ولابد من الاشارة إلى أن فتح السند كان على أثر تعرض زمرة من التجار المسلمين ونسوتهم الذين قد وقعوا في أيدي قُطاع الطريق البحري (القرصنة)، وأرسلت الخلافة جيشًا بقيادة **محمد بن القاسم الثقفي**[6] واستطاعت تلك القوات أن تحقق النصر في

---

(١) ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، ص٤٨٣.

(٢) ماخوفكسي، ياتسيك، **تاريخ القرصنة في العالم**، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م)، ص٤١-٤٢.

(٣) الأصطخري، المسالك والممالك، ص٣٣.

(٤) المسالك والممالك، ص٦٢.

(٥) آدم متز، الحضارة الاسلامية، ص٣٩٧.

(٦) **محمد بن القاسم الثقفي**: وهو أحد قادة الجيش الاسلامي الذي تقرر توجيهه لفتح بلاد السند في زمن والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، وقتل محمد بن القاسم ملك السند داهر وكان ذلك في سنة (٨٩هـ/٧٠٧م). اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٨.

سنة (٨٩هـ/٧٠٧م) [١].كما إهتمت السلطة المركزية بالحد من القرصنة؛ ولكنها لم تتمكن من القضاء عليهم تمامًا؛ لأنهم كانوا سريعي الإختفاء ببوارجهم في الخلجان العديدة المنتشرة على سواحل الهند وبحر فارس، وهم حاملين معهم الاسلحة المختلفة، فيذكر لنا التنوخي[٢] (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م) أن تاجرًا خرج بتجارته من واسط أراد البحر، " فإذا خرج علينا اللصوص في سفن عدة بقسي ونشّاب، و**سلاح شاك**[٣]، وهم نحو مائة نفس، كالعسكر العظيم ". ثم يكمل التاجر وكان معي غلمان يرمون، فحلفت أن من رمى منهم بسهم ضربته؛ وذلك لأني خفت أن يقصدنا اللصوص، ثم لا يرضون إلا بقتلي، قال: وبادرت فأخذت ذلك السلاح الذي كان معهم، فرميت جميعه في الماء واستسلمت للأمر طلبًا للسلامة[٤]. ونجد في هذه الرواية يذكر لنا التاجر نوع الأسلحة الذي كان يحمله مراكب التجار لحماية أنفسهم من قراصنة البحر، وفي نفس الوقت يبين عدد قراصنة البحر ومجموعاتهم إذ يتعدى المجموعة الواحدة منهم مائة شخص.

فضلًا عن ذلك يشير التاجر إلى جزيرة لنجبالوس إذ تخطف المراكب إلى ناحية منهم فيخرجون إليهم رجالهم من الجزيرة في زواريق منقورة من خشبة واحدة ومعهم النارجيل وقصب السكر والموز، وشراب النارجيل: وهو شراب أبيض حلو كالعسل، فإذا ترك ساعة صار شرابًا[٥]، وإن بقى أياماً صار خلًا، فيبيعون ذلك بالحرير وربما وقع إليهم العنبر اليسير فيبيعونه بقطع الحرير، وربما استلبوا من التجار الحرير ولا يعطونهم شيئًا[٦]، وهذه دلالة على وجود اللصوصية والقرصنة في تلك الجزر ولابد من ذكر أن سواحل الخليج العربي وشعابها هي الأخرى مأوى للقراصنة، إذ كانوا يأوون في الشعاب المختلفة بالبحر، بل وانتشروا على طول مياه الهند والسند وهم

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص٦٤٨.

(٢) أبي علي المحسن بن علي، **الفرج بعد الشدة**، تح: عبود الشالجي، (دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ج٤، ص٢٣٥.

(٣) **سلاح شاك:** هو السلاح التام المعد للقتال. ينظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤، ص٢٣٥.

(٤) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤، ص٢٣٥.

(٥) أي خمرًا. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٧.

المعروفون بإسم " **الميدوالكراج** "[١] ويسكنون بلاد السند، لذا كانت المراكب التي تصل الصين في هذا البحر تتزود بما تحتاجه من مياه ومؤن في مينائي صحار ومسقط على سواحل عُمان ثم تمر مباشرة إلى كولم ملي جنوب مالابار لتقتاد بذلك قراصنة الميدوالكراج[٢].

بل إن هؤلاء القراصنة وصل نفوذهم أحيانًا إلى جزيرة سقوطرى وأتخذوها وكرًا لهم ليتربصوا السفن القادمة إلى الشرق، لذا حرص الصينيون على أن تحمل سفنهم التجارية جنوًدا وبحريين مدربين على رمي النار اليونانية[٣].

كما إن القراصنة انتشروا على طول شواطئ جزيرة سرنديب (سريلانكا الحالية) وقطعوا الطريق على السفن والمراكب التي كانت تمر نحو سواحل الهند الشرقية وصولًا إلى الصين، وعُدّت أرض شواطئ سرنديب من أخطر المسالك البحرية؛ لضيق المسالك الصالحة فيها للملاحة، مما سهل أمر مهجامتها من قبل قراصنة الجزيرة والاستيلاء عليها[٤].

وعليه استنادًا لكل مما سبق يبدو أن عمليات القرصنة واللصوصية من العوامل التي أدت إلى ارباك التجارة وتحجيمها.

---

(١) **الميدوالكراج:** إحدى الأقوام الهندية التي سكنت إقليم السند، وتم تهجيرهم منه إلى الاماكن الساحلية بجزيرة العرب بسبب عملهم بالقرصنة، ووصفوا على أنهم من أكثر القراصنة عددًا وأشدهم بأسًا. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٠.

(٢) فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٦٤-١٦٥؛ العليم، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٢١٠.

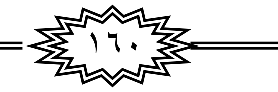
(٣) فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٦٥؛ الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٠٨-٢١٠.

(٤) إبراهيم، سفيان ياسين، **القرصنة في بحر الهند خلال العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)**، بحث منشور في مجلة جامعة كركوك، المجلد: ١١، العدد ٢، نشر (٢٥/١/٢٠١٦م)، ص٤٤.

ث-خزن البضائع:

أشارت المصادر إلى إن المخازن التي تخزن فيها البضائع تبنى من الخشب، وكذلك كل بيوت أهل الصين، إذ يشير إلى حريق قد اندلع وأدى إلى خسائر تراجعت على أثرها حركة التجارة، إذ ذكر : " ومن أسباب قلة المتاع حريق ربما وقع بـ (خانفوا)، وهو مرفأ السفن ومجتمع تجارات العرب وأهل الصين، فيأتي على المتاع، وذلك أن بيوتهم هناك من خشب ومن القنا (جريد النخل المشقق)، وعليه كانت مباني الصين أكثر عُرضة للحرائق التي كثيرًا ما تحدث ، فيأتي الحريق على المتاع وكان هذا سبب عامل من عوامل قلة المتاع إلى بلاد العرب وعليه كان للصينيون تدابير خاصة، إذ يجلبون كل ما يملكونه من نفائس وذخائر في صناديق مركبة على عجل وفي حالة الخطر دفعت بما فيها إلى الخارج، وقد بنيت مخازنهم بدون عتب (أي عتبة الدار)، ويعلل أبو زيد السيرافي ذلك؛ فإذا وقع الحريق دفعت تلك الصناديق بما فيها فلم يمنعها العتب من سرعة النفوذ[1].وعليه أتخذ الصينيون التدابير الأمنية للحد من المحافظة على تلك البضائع والسلع(المتاع).

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٣-٢٤؛المروزي،أبواب في الصين والتُرك والهند،ص١٥.



المبحث الثالث

المعاملات التجارية المتبادلة بين العرب وبلاد الهند والصين

١- المعاملات المالية في بلاد الهند:

إن للعملة دوراً كبيراً في مضمار المعاملات المالية ، ولم يتغير ذلك الدور منذ اختراعها حتى الآن، إذ لجأ الناس إلى استعمالها كوحدة للحساب، ووسيطاً للمبادلة، وأداة لاختزان القوة الشرائية، وقاعدة للقيم المستقبلية، كما إن العملة وثائق هامة يمكن الاعتماد عليها في استنباط الحقائق التأريخية سواء ما يتعلق منها بأسماء أو بالعبارات الدينية المنقوشة، فهي سجل للألقاب والنعوت، التي تلقي الضوء على الكثير من الأحداث السياسية، وعليه تنوعت العملات المستخدمة في العمليات التجارية عبر العصور، ويمكننا أن نحدد جزءًا منها، وما تم الاشارة إليه في هذا العصر، وهو كالتالي:

أ- الودع[(١)]:

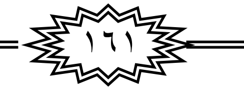
يذكر السيرافي[(٢)] إن في بحر هركند جزر تملكها امرأة عامرة بنخل النارجيل ومالهم الودع، وهذه الملكة تدخر الودع في خزائنها. والودع يأتيهم على وجه الماء وفيه روح، فتوخذ تسعفه من سعف النارجيل فتطرح من على وجهه الماء فيتعلق فيـــــــــــــها الودع، وهـــــــــــــم يدعونه الكـــــــــبنج[(٣)]

---

(١) **الودع:** (الصدف)مناقف صغار تخرج من البحر، وهي حرز أبيض في جوفها شق كشق النواة. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨ﻫ/١٠٠٧م)، **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تح: عبد الستار أحمد خراج، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٣٧٧ﻫ/١٩٥٨م)، ج٢، ص٢٣٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٥٠؛ محمد، عبد الرحمن فهمي، **النقود العربية ماضيها وحاضرها**، (دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤م)، ص٤-٥؛ الشهابي، قتيبة، **نقود الشام دراسة تأريخية للعملات التي كانت متداولة في الشام**، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق- الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠٠م)، ص٢٠. وللمزيد ينظر إلى الملحق رقم (١٧).

(٢) رحلة السيرافي، ص١٧-١٨.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٧-١٨.



و(الكنـــــج) [1]. والودع هو حيوان يلتقطه أهل تلك الجزر في البحر، ويضعونه في حفر هناك، فيذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض، ويسمون المائة منه سيارة " بالسين المهملة وياء وآخر الحروف "، ويسمون السبعمائة منه الفال " بالفاء "، ويسمون الإثني عشر ألفًا منه الكُتّي " بضم الكاف وتشديد التاء المعلوة "، ويسمون المائة ألف منه بُستو " بضم الباء الموحدة والتاء المعلومة وبينها سين مهملة "، ويباع بها قيمة أربعة بساتي بدينار من ذهب، وربما رخص حتى يباع عشر بساتي منه بدينار. والودع هو صرف أهل اليمن والسودان[2]، وهو **عين البلاد**[3].

وعليه استنادًا على ما ذكر يمكننا أن نجزم أن تلك الجزر لم يكن لها عملات نقدية معدنية، وكان تعاملها بالمجوهرات والودع.

في الواقع كانت الأمم في الاسلام وقبله لهم أشياء يتعاملون بها بدل الفُلوس كالبيض والخبز، ... والودع الذي يستخرج من البحر[4]. فضلًا عن ذلك كان تعامل أهل الهند والسند بالأحجار الكريمة من الجواهر، وتحمل إليهم **أحجار الزمرد**[5] من مصر مركبًا في خواتيم، كما يحمل إليهم المرجان و**حجر الدهنج**[6][7]، وعليه كان تعاملهم بالودع والجواهر وغيرها من الأشياء.

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٧٠-٧١.

(٢) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ص٥٨٨.

(٣) **عين البلاد:** عملة البلد. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٥؛ محمد، النقود العربية، ص٢٣.

(٤) الكرملي، أنستاس ماري، **النقود العربية وعلم النميات**، (مط العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م)، ص٦٨؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، في القرن الرابع الهجري، ص٢٥٢.

(٥) **أحجار الزمرد:** وهو حجر أخضر شفاف يدخل في معالجة أدوية ومعالجة من سقي السم، وفي اكحال بياض العين، وحمله يقطع نزف الدم، ووضعه في الفم يقطع العطش. ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٩٩.

(٦) **حجر الدهنج:** وهو حجر أخضر كالزبرجد، يتكون في معدن النحاس وهو أنواع كثيرة، ومن عجيب أمره أنه يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته. ومن عجيب أمره أيضًا أنه أذا سقي من محكته فعل فعل السُم، وإذا يقي منه شارب السُم نفعه. ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٢٩٩.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٤.

ب- دراهم ودنانير الهند والسند:

ورد ذكر هذه العملة عند سليمان التاجر[١] عندما تناول ذكر **الملك بلهرا**[٢]، وهو ملك الهند الأكبر (أي ملك الملوك) [٣]. وهذا الملك يعطي العطاء كما تفعل العرب، وله المال الكثير وماله دراهم تدعى الطاطرية[٤]. ووزن كل درهم درهم ونصف بسكة الملك[٥]. أما المقدسي[٦] فيذكر: " ولهم الطاطرا في الواحد درهمان إلا ثلثًا "، بينما ذكر في مصادر أخرى بصيغة " الطاطري " في الدرهم، وزن درهم وثلثين[٧]، كما يتعاملون بالدنانير أيضًا.

---

(١) رحلة السيرافي، ص٣٤.

(٢) **الملك بلهرا:** وهو أشرف ملوك الهند، وهو ملك متفرد بملكه، وجميع ملوك الهند مقرون له بالشرف، فإذا وردت رسله على سائر الملوك صلوا لرسله تعظيمًا له. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧.

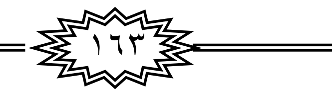
(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٦.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧.

(٦) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ص١٧٤.

(٧) الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٠٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢١١.



ويذكر بن رستـــــــة[١] شكل عملة **ملك الجزر**[٢] بقوله: " والعرب يدخلون إليه في تجارتهم فيبرهم ويشتري منهم ومعاملاتهم له بالذهب القطع والدراهم التي يقال لها الطاطرى عليها تمثال صورة الملك وزنها مثقال، فإذا بايعوهم، قالوا للملك: إبعث معنا من يخرجنا من بلادك ويحفظ متاعنا، فيقول ليس في بلادي لص، أخرجوا فإن حدث بأموالكم حدث فخذوه مني وأنا الضامن مالكم ".

وهذه الرواية أن دلت فتدل على عظمة وقوة هذا الملك وبالتالي فرض سيطرته على البلاد ويضمن للوافدين إلى مملكته بعدم التعرض للأذى، وعليه سك العملة الرسمية للدولة ونقش عليه صورة هذا الملك.

أما الإدريسي[٣] فيذكر إن عملة ملك الجزر من الفضة وليس من الذهب، كما جاء عند ابن رستة، فيقول: " ومدينة يسكنها ملك الجزر ودراهمه فضة تسمى بالدراهم الطاطرية ". اما عملة المدينة المنصورة " دراهمهم فضة ونحاس، ووزن الدرهم عندهم خمسة دراهم وربما جلبت إليهم الدراهم الطاطرية فيتعاملون بها ".

أما الدنانير السندية التي وردت عند أبي زيد السيرافي[٤]، بقوله: " وكان يحمل إلى الهند في القديم الدنانير السندية، فيباع الدينار بثلاثة دنانير ".

ويذكر لنا أبي دُلَفْ[٥] (المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري) تلك العملة، بقوله: " ودرهمهم يزن ثلثي درهمنا، ويعرف بالفهري "[٦]، وعليه أن الدنانير السندية التي أشار إليها أبو زيد السيرافي في ذلك الزمن هي الدراهم التي تدعى بالفهري،

---

(١) الأعلاق النفيسة، ص١٣٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٤٦.

(٢) **ملك الجزر**: ملك من ملوك الهند، وهو ملك كثير الخيل، وهو عدو للعرب، غير إنه مقر أن العرب أعظم الملوك، ولابد من الاشارة إلا أن هذا الملك يبر تجار العرب ويكرمهم. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤-٣٥.

(٣) نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ج١، ص١٦٩.

(٤) رحلة السيرافي، ص٩٣.

(٥) الرسالة الأولى، ص٦٠.

(٦) أبي دلف، الرسالة الأولى، ص٦٠.

وبلغت قيمتها خمسة دراهم عراقية[١]، ومن الضروري ذكر أن تلك العملات كانت تضرب في دمشق وبغداد هي نفسها التي كانت تستخدم في بلاد السند بأعتبارها أقليمًا من الأقاليم التابعة للدولة الاسلامية[٢]، واستنادًا على الرواية أعلاه، يؤكد لنا السيرافي إن عملة الهند أقل قيمة من الدينار السندي، ويمكننا أن نرجح ذلك إلى عدة احتمالات، ومنها:

اولاً:من المحتمل أن عملة الهند مصنوعة من الفضة أو النحاس، وعملة السند مصنوع من الذهب فيكون قيمة الدينار السندي يساوي ثلاثة دنانير هندية أو الاثنان من الذهب.

ثانياً:من المحتمل أن اختلاف (العيار) بين العملتين الهندية والسندية، فيكون ثمن الدنانير الأخير يساوي ثلاثة دنانير هندية.

ثالثاً: أما الاحتمال الأخير وهو قد يكون الدينار الهندي مصنوعًا من غير الذهب، ولكنه مطلي بالذهب، فيكون مقدار دينار واحد من الدنانير السندية ما يعادل ثلاثة دنانير هندية.

٢- **المعاملات المالية في بلاد الصين**:

ذكر أبو زيد السيرافي[٣] أن معاملات أهل الصين **بالفلوس**[٤] وخزائنهم كخزائن الملوك وليس لأحدٍ من الملوك فلوس سواهم، وهي عين البلاد.

---

(١) جمال الدين، عبد الله محمد، **التاريخ والحضارة الاسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي (١٥-٤١٦هـ/٦٣٦-١٠٢٥م)**، (دار الصحوة ،القاهرة- مصر ،بلات)، ص٢٢٥.

(٢) جمال الدين، التاريخ والحضارة الاسلامية، ص٢٢٤.

(٣) رحلة السيرافي، ص٥٧.

(٤) **الفلوس:** قطع نقدية من النحاس وأخلاط من غيره معجونة به. والفلس منها في قدر الدرهم البغلي، وفي وسطه ثقبٌ واسع ليفرد الخيط فيه، وقيمته كل ألف فلس منها مثقال من ذهب، وينظم الخيط منها ألف فلس على رأس كل مائة عقدة، فإذا ابتاع المبتاع ضياعًا أو متاعًا أو بقلًا فما فوقه دفع من هذه الفلوس على قدر الثمن، وهي موجودة بسيراف وعليها نقش بكتابتهم، ولابد من الاشارة =

وعليه لم يتعامل أهل الصين بالدنانيرولا والدراهم بل كان تعاملهم بالفلوس؛ والسبب في ذلك لإنكارهم على المتعاملين بالدنانير والدراهم: أن لصًا لو دخل منزل رجلٍ من العرب المتعاملين بالدينار والدرهم لتهيأ له حمل عشرة آلاف دينار ومثلها من الورق على عنقه، فيكون فيها **عطب**(١) صاحب المال، وإن لصًا لو دخل إلى رجلٍ منهم لم يحمل أكثر من عشرة الآف فلس وانما ذلك عشرة مثاقيل ذهب(٢).

وعليه إن هذه الرواية تحتاج إلى وقفة لتفسير ما جاء به أبو زيد السيرافي لإنكار الصينيون على العرب المتعاملين بالدنانير والدراهم، وأفضلية العملة الصينية على العملات الأخرى من وجهة نظرهم. ومن الضروري الإشارة إلى إن العملات النقدية بجميع أنواعها من دنانير أو دراهم تسك في الدولة العربية الاسلامية بالذهب والفضة(٣). أما العملة الصينية معمولة من نحاس وأخلاط من غيره معجونة به، وكل ألف فلس فيها يساوي مثقال من الذهب(٤). على نقيض الدراهم العربية إذ أن مقدار زنة الدرهم الواحد يساوي مثقال من الذهب(٥)، وعليه استنادًا إلى ما سبق إن قيمة العملة الصينية كانت أقل قيمة من العملات العربية، وإذا تعرض التاجر العربي للسرقة فيكون ذلك عطب صاحب المال (أي هلاكه وافلاسه) (٦)(٧). ولابد من الاشارة

=إلى أن الدرهم البغلي هي دراهم فارسية وزن الواحدة منها مثقال من ذهب. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٥؛ الكرملي، النقود العربية وعلم النُميات، ص٢٢.

(١) **عطب**: عَطَبَ عَطبًا: أي هَلَكَ. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٧٥.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٧.

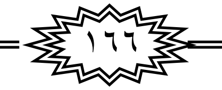
(٣) الكرملي، النقود العربية وعلم النميات، ص٢٢.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٧.

(٥) الكرملي، النقود العربية وعلم النُميات، ص٢٢؛ الشبكة المعلوماتية الألكترونية (الأنترنيت)، بوابة أوكرانيا، ukrate.comK، العثور على عملة صينية عمرها ألف عام في بريطانيا. وللمزيد ينظر إلى الملحق رقم (١٨).

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٧.

(٧) وهنا يشير المؤرخ إلى أمر مهم ألا وهو إن عملة الصين كانت معجونة من نحاس ومواد أخرى رخيصة، وكل عقدة من الفكوج عملة مقدارها ألف فلس، وعليه فإن اللصوص يجدون من الصعوبة حمل هذه المبالغ التافهة والتي لا تساوي عشرة دنانير من الدنانير العربية، أما اللصـــــــوص في=



إلـــــــى أن كل ألف فلس يســمى فكوّجٍ[١]، وكل فكوجًا يزن مثقالٍ من الذهب[٢].

أما بن بطوطة[٣] فقد ذكر إن اهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا بدرهم، وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعًا، وإنما بيعهم وشراؤهم بقطع الكاغد، كل قطعة منها بقدر الكف، مطبوعة بطابع السلطان، وتسمى الخمس والعشرون منها بـ " الشِتْ "، وهو بمعنى الدينار عندنا، وإذا تمزقت تلك الكواغد في يد إنسان حملها إلى دار كدار السكة عندنا، فأخذ عوضًا جددًا ودفع تلك ولا يعطى على ذلك أجرة ولا سواها، لأن الذين يتولون عملها لهم الأرزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل الدار أمير من كبار الأمراء. وإذا مضى الانسان إلى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء شيء لم يؤخذ منه ولا يلتفت إليه[٤].

وعليه استنادًا إلى ما سبق تعد الصين من الدول السباقة في إصدار العملة الورقية " والأوراق المالية في ذلك العهد وهي أوثق في المعاملة من الدراهم والدنانير عند الجماهير في الصين، وكلام ابن بطوطة شاهد عيان، إذ قال: " وإذا مضى الإنسان إلى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء لم يؤخذ منه ولا يلتفت إليه "[٥].

ويشرح المروزي[٦] شكل تلك العملة، وفي هذه المدينة صاحب عشور الملك يجمع أمتعة التجار .... والكواغد الحسنة التي يكون في أحد وجهيها أبيض والوجه الآخر أصفر ".

= بغداد يستطيع حمل عشرة آلاف دينار؛ ولكن لا يستطيع حمل أكثر مما يوازي عشرة دنانير من عملة الصين!.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩.

(٢) للمقارنة ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩–٥٨.

(٣) رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٦٤١.

(٤) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ص٦٤٢.

(٥) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ص١٤٠؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٤٠؛ يوسف، الصين الاسلام والتجارة، ص١٢.

(٦) أبواب في الصين والترك والهند، ص١٠؛ البطاينة، محمد ضيف، **الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية، الأولى**، (دار الكندي، الأردن ،بلات)، ص٣٠.

ويذكر المستشرق وول ديورانت[1] يرجع تاريخ أقدم عملة معدنية في الصينة إذ جعلت الحكومة الذهب عملتها الرسمية الذهب ، وصنع من خليط من النحاس والقصدير، وما لبثت هذه أن طردت الذهب من التعامل، ولما أخفقت التجربة التي قامت بها الحكومة لكثرة ما زيف وقتئذ من النقود، استعيض عنها بشرائح من الجلد يبلغ حجم الواحدة منها قدمًا، وكانت هذه الشرائح مقدمة لاستعمال النقود الورقية، ولما أن أضحى ما يستخرج من النحاس أقل من أن يفي بالأغراض التجارية لكثرة البضائع المتداولة، وعليه أمر الإمبراطور عام (١٩٢هـ/٨٠٧م) أن تودع العملة النحاسية كلها في خزائن الحكومة، وأن يحدد بدلًا منها النقود الورقية.

٣- صادرات وواردات العرب وبلاد الهند والصين:

ازدهرت التجارة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وبقيت فترة الازدهار باقية ما بقى الاتصال مباشرًا مع الهند والصين، وقد تنوعت التجارة بين بضائع مصدرة ومستوردة من وإلى تلك البلدان، ويمكن إيجازها بما يلي:

أ- الصادرات:

اولاً: السلع والمنتوجات المصدرة لبلاد الهند:

تنوعت البضائع والسلع المصدرة إلى بلاد الهند، وقد أشار سليمان التاجر إلى بعض تلك البضائع ومنها التمور، وذلك لإنعدام زراعة أشجار النخيل في أرض الهند، لقوله[2]: " وليس للصين ولا للهند نخلٌ، ولهم سائر الشجر "، ويبدو أن للعوامل المناخية دور في عدم نمو هذه الشجرة في أرض الهند؛ لأنها تحتاج إلى درجات حرارة عالية، وعليه كانت التمور من أول المواد المصدرة عبر هرمز، وكان التجار يفضلون هذا الميناء على غيره من الموانىء؛ لقلة الرسوم المفروضة على

---

(١) قصة الحضارة، مج١،ج١، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٢) رحلة السيرافي، ص٥٠؛ العليم، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص١٩٦؛ فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٩١.

التجارة والتسهيلات التي يقدمها العاملون بها، وعليهِ فلم يقل عدد تجارها في كل موسم عن أربعمائة تاجر[١].

وكـــانت تحمل إلى بلاد الهند **اللُبان**[٢]، وسبائك، و**الذبل**[٣] من البحر وهي جلود ظهور السلاحف[٤].

ومن ميسان تُحمل إليهم البُسط[٥]، كما نقل التجار فضلًا عن التمور والملابس الزيت والقمـح والشـــعير، كما نقلوا الخمر العراقـــــــي إلـــــــــــى جزيرة سرنديب[٦]، كما صدروا إلى الهند أيضًا خيول العرب من العراق والبحرين واليمن[٧]، لأن للهند خيل قليل، وهي بالصين أكثر[٨]، إلا أن خيول الصين تختلف عن خيول العرب، إذ يذكر أبو زيد[٩] ذلك بقوله: : " وليس لهم خيلٌ عربية بل غيرها "، لذا كانت تُحمل إليهم الخيول العربية إلى بلاد المشرق، وتصدر إلى بلاد الهند من البصرة وبكميات كبيرة[١٠]، وعليه فقد حظي تجار العرب لدى بلاد الهند برعاية

---

(١) فهمي، طرق التجارة الدولية ومصطلحاتها بين الشرق والغرب، ص١١٩.

(٢) **اللبان:** وهو صمغ شجر في شجر عُمان، أجوده المعلق الذي قطعت من شجرة من قبل أن يسقط إلى الأرض فيلتصق في جسمه من ترابها، فكان لونه أبيض مائلًا إلى الخضرة. الجاحظ ، التبصر بالتجارة، ص٢٢.

(٣) **الذبل:** الذبل يكون على السلاحف، وهي سبع قطائع لا يكون على السلحفاة أكثر منها ويبلغ وزن أربع قطائع منها منًا والمن يكون جملته مائتين درهم وأثقل،. وهذا الذبل يتخذونه حلي وأمشاط؛ لأنه غليظ وهو في ذاته كثير التلوين صافي الديباجة. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٦؛ الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج١، ص٧٠.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٦.

(٥) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٤٠؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص١٦٤.

(٦) ابن خرداذبة، الممالك والمسالك، ص٦٨.

(٧) ابن خرداذبة، الممالك والمسالك، ص٦٨؛ ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٣٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، ص٨٠-٨١.

(٨) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥١.

(٩) رحلة السيرافي، ص٣٩.

(١٠) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٤٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ص١٢٨.

خاصة وذكر إن الملك بلهرا كان أكثر الملوك حبًا وتقديرًا للعرب، فقد ذكر أبو زيد السيرافي(١) أن في بلادهم إذا شاهدوا رجلًا منهم (أي من بلاد العرب) سجدوا له لأنه من البلاد التي ينبت فيها النخيل، وذلك "لجلالة التمر الذي يكثر عندهم وفي قلوبهم ". وعليه فضلًا عن التمر الذي يصدر إلى بلاد الهند، فتصدر مواد أخرى ومنها ماء الورد والبسط(٢) ومن الأبلة تصدر المنادل وثياب الكتان الرفيعة والعمائم(٣).

ثانياً: السلع والمنتوجات المصدرة لبلاد الصين:

شهد القرن الثالث الهجري،التاسع الميلادي تبادلًا عظيمًا للتجارة بين العرب والصين، فكانت السفن تخرج من البصرة وسيراف إلى موانئ الصين(٤)، لذا كانت أمور التجارة بين البلدين آمنة في هذه الفترة مما شجع التجار للسفر إلى الصين، وكانت تُحمل إليهم سبائك النحاس والذبل من البحر، وهي جلود ظهر السلاحف(٥). ومن أرض الحبشة تُحمل إليهم جلود النمور البرية وهي أحسن الجلود وأنقاها(٦). كما يُحمل إليهم العاج واللبان، التي تُحمل من **بلاد الشحر**(٧)، وتكون منابت اللبان فيها من أراضي **عاد**(٨)

---

(١) رحلة السيرافي، ص٨٦.

(٢) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٤٠.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ص١٢٨.

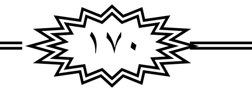
(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٨-٨٩.

(٧) **بلاد الشحر:** موقع هذه البلاد بين عُمان واليمن، وروي أنها أرض منابت اللبان، وهم قوم أكثرهم من العرب، وليست لهم قرى وهم في قشف وضيق عيش إلى أن تنتهي أرضهم إلى أرض عدن. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٨٦.

(٨) **عاد:** قوم من بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهي عاد الأولى كانوا إثنى عشر قبيلة، وهؤلاء ممن طغوا في الأرض، فأرسل الله إليهم رسولًا فكذبوه وتمادوا في غيهم، فأهلكهم الله. العَوْتَبِي، أبي المنذر سلمة بن مسلم الصحاري (عاش في أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري)، **الانساب**، تح: محمد إحسان النص، ط٤، (بلا دار، ١٤٣٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٧١.



و**حـــــمير**[١] لهم ألسنة بالعربية عادية وقديمـــة لا يعــــــرف أكثرها العرب[٢].

وذكرت في المصادر بأن: ليس في الصين متاع أحسن مما حمله تجار العراق[٣]. وعليه تميزت البضائع التي تصل إلى الصين من العراق بجودتها مما جعل المؤرخون يذكرون مميزات تلك البضائع وتميزها بأنها أفضل ما قد تصل أرض الصين من بضائع.

ولابد من الاشارة إلى أن التجار كانوا يحملون معهم فضلًا عن السلع والبضائع التي تحمل من بلاد العرب بضائع مستوردة من أقطار أخرى، وتباع في الصين وأهم تلك البضائع هو (الخنو) الذي هو قرن **الكركدن**[٤].

ويطلق على هذا الــتحيوان اسم " البُشان "[٥] أو الحمار الهندي (الحريش) [٦]، وهو أسود اللون[٧]. وقد اختلف المؤرخون بعدد قرون الكركدن، وقال بعضهم أن له

---

(١) **حمير**: وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان لأهل حمير كيان ملكي باليمن وأسلموا على يد الرسول ﴿ﷺ﴾ في العام الثامن للهجرة .ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص١٥٦.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٨.

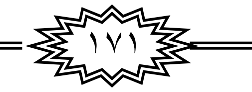
(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص١٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٤) **الكركدن**: دابة دون الفيل وفوق الجاموس، ورد ذكرها في أغلب كتب المصادرن ولهذا الحيوان قرن واحد في وسط وجهه، وقيل قرنان، ويعتبر قرن الكركدن أعز محمول إلى بلاد الصين. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٦-٣٩؛ ابن خرداذبة، الممالك والمسالك، ص٦٥؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٦٤.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٦-٣٩؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٦) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت٢٥٥هـ/٧٧٥م)، **الحيوان**، تح: عبد السلام محمد هارون، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، بلات)، ج٧، ص١٢٣-١٢٤؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى ، ص١٤٧.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٤٠٨.



قرنٌ واحد في وسط جبهته[١]، وقال آخر أن له ثلاث قرون، واحدة في وسط جبهته بين عينيه وقرنان على أذنيه[٢]، وهذا الحيوان قوي ليس كقوته شيء من الحيوان[٣].

كما اختلف المؤرخون في شكل هذا الحيوان، فعن السيرافي[٤]، قال: " ليس له مفصل في ركبه ولا في يده، وهو من لدن رجله إلى إبطه قطعة واحدة. أما بن بطوطة[٥] ذكر إن رأسه كبيرة متفاوتة الضخامة، ولذلك يضرب به المثل، فيقال: " الكركدن رأس بلا بدن، ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف. أما طوله مائة ذراع فأكثر من ذلك، وهو عدو للفيل[٦] والانسان والفيل يهرب منه[٧]. أما قرن الكركدن طوله نحو ثلاثة أذرع وعرضه نحو الشبر[٨]، وذكر أن في جوف هذه القرون إذا شُقّت صورة إنسان أو صورة طائر الطاووس أو سمكة وغيره من الصور كاملة الشكل بيضاء[٩]. وأُنثى الكركدن نزورًا– أي قليلة الولد، وأيام حملها ليست بأقل من أيام حمل الفيلة، فلذلك قل عدد هذا الجنس، وذكر إن مولود الكركدن تقيم في جوف أُمها سبع سنين، وإنها تخرج رأسها وعنقها من فرج أُمها فترعى الحشيش، ثم تعيد رأسها إلى جوف أُمها، فإذا ابتدأ تكون قرنها امتنعت من الخروج للرعي على حسب عادتها، فتنفر في جوف أُمها حتى تبقر جوفها وتخرج فتموت الأُم[١٠]. وكان للمؤرخين رأي آخر حول هذه الرواية من الجاحظ، إذ ذكر إن هذا مُحال من قوله غير مسموع؛ لأن الأمر لو كان كما وصفه الجاحظ لفنى هذا النوع حتى لا يوجد له

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٦؛ الجاحظ، الحيوان، ص١٢٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٧٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٦٤.

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ص١٤٧.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٦.

(٤) رحلة السيرافي، ص٣٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٥) رحلة ابن بطوطة، ص٤٠٨.

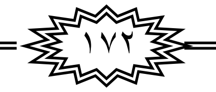
(٦) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ص١٤٧.

(٧) السيرافي رحلة السيرافي، ص٣٦.

(٨) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٤٠٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٦٤.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٧٥-٧٦؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٦٤.

(١٠) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص١٢٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٧٥-٧٦.



إلا ذكـــره[١]. " فسال من أهل سيراف وعُمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار، فكلٌ يتعجب. من قول الجاحظ إذا خبرته بما عندي من هذا وسألته عنه ويخبروني أن حمله وفصاله كالبقر والجواميس، ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ، أمن كتاب نقلها أو مخبر أخبره بها "[٢]. وعليه نجد إن المؤرخين لم يأخذوا رواياتهم على علاتها، بل تحققوا منها بعد أن وضعوا تلك في محل قبول ورفض العقل لهذه الروايات.

وعليه كان قرن الكركدن يصل إلى الصين ويباع بألفي دينار وثلاثة آلاف وأكثر على قدر حُسن الصورة، وهذا كله يشترى من بلادهم بالودع وهو عين البلاد[٣].

ب- الواردات:

١. واردات السلع والمنتوجات من بلاد الهند:

كان لكل مدينة أو جزيرة من جزر الهند منتوجاته الخاصة التي يزداد الطلب عليها في الأسواق تبعًا لجودتها، وندرتها، ونقائها. وكانت حوانيت العرب، والفُرس، والصينيين هناك مشهورة ببيع الأحجار الكريمة واللؤلؤ، والعطور، والتوابل، والبخور. ويُحمل من الهند أنواع من العطور، كما يُحمل منها العنبر من بحر هركند ويقذفه البحر وكلما كان البحر أغزر وأبعد كان العنبر أجوده[٤]، ومن أجود أنواعه الأزرق، ثم الأصفر[٥]. وبلغنا أيضًا أنه وجد في بحر الشام عنبر وهذا من المستنكر وما لم يُعرف في قدم الدهور، ولا يجوز إن كان ما قبل حقًا أن يكون العنبر وقع إلى بحر الشام (بحر الروم) من بحر عدن والقلزم وهو البحر الذي يتصل بالبحار التي يكون فيها العنبر؛ لأن الله جل ذكره قد جعل بين البحرين حاجزًا، بل هو إن كان صحيحًا

---

(١) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٦٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٣.

(٣) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٠٧.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٣؛ اليعقوبي، البلدان، ص٢١٦؛ فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٦٨.

(٥) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص١٨؛ المفارق، **أطلس الوطن العربي والعالم**، دار الشرق العربي، ص٦٤. للمزيد ينظر إلى الملحق رقم (١٩).

مما يقذفه بحر الهند إلى سائر البحار واحدًا بعد واحد، حتى يقضى به إلى بحر الشام[١]. وفي هذه الرواية يستنكر أبو زيد السيرافي وجود العنبر في بحر الشام ويؤكد أن هذه المادة اختصت ببحر الهند ومُحال وجودها في ذلك الزمن في بحر الشام، وهذا إن دلَ على شيء فيدلُ على قوة الأمواج والرياح القوية التي تقذف بالعنبر وتحملها إلى شواطئ الشام. وعليه كان العنبر من العطور، وهو أنواع كثيرة وأجوده وأغلاه ثمنًا هو العنبر الذي يسمى بـ (الشحري)، وهو ما يقذفه بحر الهند إلى سواحل بلاد الشحر[٢] من أرض اليمن، وزعموا أنه يخرج من البحر وتقطعه الريح وشدة الموج فترمي به إلى السواحل، وهو يفور ولا يدنو منه شيء؛ لشدة حرارته وفورانه، فإذا أقام أيامًا وضربه الهواء جمد فتجمعه الناس من السواحل المتصلة بمحاذاته، وذكر: " أنهُ ربما أتت سمكة البال (الحوت) فابتلعت من ذلك العنبر الطافي وهو يفور، فلا يستقر في جوفها حتى تموت، وتطفوا ويطرحها إلى الساحل فيشق جوفها ويستخرج ما فيه من العنبر، ويسمى أيضًا المبلوع[٣].

وبعض الناس ظنوا أن العنبر هو رجيع دابة البال، وهو ليس برجيع دابة البال وانما هو ما ذكرناه[٤]. ولأهمية العنبر ورواجه في أسواق العراق، فيذكر بن بطوطة[٥]: أنه خُصص له سوقًا كاملة في بغداد لبيع العنبر والمسك " سوق العنبر والمسك "، وعليه كان العنبر من العطور التي تستورد إلى بلاد العرب من بحار الهند، وقد احتفظ بشهرته العظيمة، وما برح يُنتفع به في الشرق كمادة طبية، ولكن استعماله في الغرب كان أكثر ما يكون في تحضير الروائح العطرية لا كعطور في ذاته، بل كمثبت لروائحها[٦].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٧.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٧؛ فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٦٨.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٦٦.

(٥) رحلة ابن بطوطة، ص٢٤٢.

(٦) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص١٧؛ الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص١٩؛ فوزي، حديث السندباد القديم، ص١٥٨-١٥٩.

ومن الحيوانات الأخرى التي كانت تُحمل إلى بلاد العرب كواردات تجارية مجلوبة لها ألا وهي " الفيلة "[١]؛ وكان الغرض من جلبها سيما في العصر العباسي إلى إن الخلفاء العباسيين بنو حيرًا للوحوش في قصورهم وجمعوا فيه أنواع عديدة من الفيلة، والنمور، والطيور أيضًا، وذكر المسعودي[٢] أن الخليفة أبو جعفر المنصور أمر بأن يُجلب له الفيلة وكان يستعملها؛ للأعياد والاحتفالات، وأحيانًا للحروب[٣]. وكانت الفيلة والعاج تُحمل من المنصورة، فضلًا عن العاج والأشياء الرفيعة والعقاقير النافعة[٤].

ومن سرنديب يُحمل معدن الجوهر والياقوت الأحمر والأصفر[٥]. والياقوت الأحمر يدعى البرهرماني الصافي، وقد بلغ وزن فص الخاتم الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوّم بمائة ألف دينار، واشتراه أبو جعفر المنصور بأربعين ألف دينار[٦]. والجواهر الثمينة ترغب في اقتنائها الملوك والسلاطين لعظم الثمن وخفة المحمل والمباهاة بها وعدمها عند العامة[٧]. كما كان يُحمل من جزيرة سرنديب العود، والؤلؤ الفاخر[٨]، وخشب جوز الهند (النارجيل) [٩]، ويذكر أبو زيد السيرافي[١٠] بدأ خلق اللؤلؤ بالتفصيل، فيقول: " إنه من تدبير الله تبارك اسمه، وهو عز وجل، يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُون ﴾[١١]، وتفسيرالآيه سبحانهُ وتعالى خالق الأجناس من النبات

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٧.

(٢) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٥-٢٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٨١.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١١.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤٨١.

(٥) القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص٢٥٢.

(٦) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص١٣-١٤.

(٧) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص١٣.

(٨) السيرافي، رحلة السيرافي، ص١٩.

(٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٨٢؛ ابن خرداذبة، الممالك والمسالك، ص٦٦.

(١٠) رحلة السيرافي، ص٩١.

(١١) سورة يس، الآية: (٣٦).

والحـــيوان[1]. فالؤلؤ على قدر **الأنجدانة**[2]وعلى لونها وفي هيئتها وصغرها وخفة ورقها وضعفها، فيصير على وجه الماء طيرانًا ضعيفًا ويسقط على جوانب مراكب الغاصة، ثم يشتد على الأيام ويعظم ويستحجر، فإذا ثقل لزم قعر البحر ويغذو بما الله أعلم به، وليس فيه إلا لحمه حمراء كمثل اللسان في أصله ليس لها عظم ولا عصب ولا فيها عرق، وقد اختلفوا في بدء اللؤلؤ، فقال قومٌ: الصدف إذا وقع المطر على وجه البحر وفتح فاه حتى يقطر فيه من المطر فيصير حبًا، وقال آخرون: إنه يتولد من الصدفة نفسها، وهو أصح الخبرين؛ لأنه ربما وجد في الصدفة وهو ثابت لم ينقلع، فيقلع وهو الذي تسميه تجار البحر اللؤلؤ القلع والله أعلم[3] .رواية طريفة عن لؤلؤ البحرين وعجائب أبواب الرزق: إن أعرابيًا في قديم الأيام ورد إلى البصرة ومعه حبة لؤلؤ تساوي جملة مالٍ، فصار بها إلى عطار كان يألفهُ فأظهرها، وسأله عنها وهو لا يعرف مقدارها فأخبره أنها لؤلؤة، فقال: وما قيمتها؟ قال: مائة درهم، فاستنكر الأعربي ذاك، وقال: هل أحدٌ يبتاعها مني بما قُلت؟، فدفع له العطار مائة درهم فابتاعه، ومن ثم أخذ العطار الحبة فقصد بها مدينة السلام فباعها بجملة من المال، واتسع العطار في تجارته، فذكر إن العطار سأل الأعرابي عن اللؤلؤة، فقال: مررت **بالصمان**[4]، وهي من ارض البحرين، فرأيت في الرمل ثعلبًا ميتًا على فيه شيء أطبق عليه، فنزلت فوجدت شيئًا مثل الطبق يلمع في جوفه بياضًا فأخذتها. فعلم إن السبب في ذلك خروج الصدفة إلى الساحل تستنشق الريح، وذلك عادة

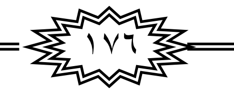
---

(١) الواحدي،الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ص٩٠٠.

(٢)**الانجدانة:** ورق شجر الحلتيت، والحلتيت: صمغه والمحروث أصله، وهو مجفف لرطوبة المعدة، بطيء فيها يغير رائحة التفل والبول، وينفع الأنجدان من السموم والأدوية القاتلة، وهو بطيء الهضم. ابن رسول، الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، **المعتمد في الأدوية المنفردة**، صححه محمود عمر الدمياطي، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص١٠.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩١–٩٢؛المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج١،ص١١٦.

(٤) **الصمان:** عدة مواضع في بلاد العرب، والصمان موضع قرب رمل عالج بينه وبين البصرة تسعة أيام، وهي أرضٍ فيها غلظ وارتفاع، وفيها قيعان واسعة، وكانت الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٢٣.



الصدف، فمر الثعلب وعاين اللحمة في جوفها، وثب الثعلب بسرعته فأدخل فاهُ في الصدف قبض على اللحمة فأطبقت الصدفة على فِيهِ، ومن شأنها إذا أطبقت على شيء وأحست بيد تلمسها، لم تفتح فاها بحيلة حتى تشق من آخرها بالحديد، وهي بذلك تصون اللؤلؤ كصيانة المرأة لولدها، وعليه أخذت بنفس الثعلب أمعن في العَدوِ يضرب بها الأرض يمينًا وشمالًا إلى أن أخذت بنفسه فمات وماتت، وظفر الأعربي رزقًا[١].

واستنتادًا إلى الرواية السابقة يؤكد لنا ما كانت تجنيه تجارة اللؤلؤ من أرباح، وكانت تباع بجملة من المال وتتسع تجارة العاملين فيها وتكثر أرباحهم، فضلًا عن تجارة اللؤلؤ فقد جلب التجار من الهند من العود الهندي الذي لا غش فيه كلما كان أصلب، فهو أجود وزعموا أنه خير العود الهندي، وهو ثقيل الوزن الذي يرسب في الماء[٢]. ومن صفاته أيضًا الرزانة واللون المائل إلى السواد، ورائحته على النار فيها نسبة من رائحة اللينوفر وآخر رائحته كأولها[٣]. لذا كان العود الهندي أهم السلع التي تستورد من الهند، فضلًا عن ذلك في جزر الهند لهم المسك الكثير وفي بلادهم جبال بيض ليس شيء أطول منها، والمسك الذي يكون في بلادهم جيد[٤].

ومن المدن الساحلية المهمة والميناء الأشهر في الهند وهي كولم ملي، فهي تعود شهرتها إلى تصدير الأعشاب الطبية والعقاقير، إذ لا يوجد طب بالهند إلا بها.

وكولم ملي أيضًا منابت الخيزران والساج، ويجاوز في الطول مائة ذراع ،وعليه أنفردت بلاد العرب عامة بالنقل التجاري لامتلاكمهم السفن التجارية الكبيرة، في حين سفن الهند الصغيرة لا تسطيع العبور في المياه الشاسعة، واقتصر استخدامها للنقل

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٢.

(٢) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص١٦.

(٣) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٠.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٧.

الداخلي، واقتنعت الهند على ما يبدو في تلك العصور بالقيام بدور المنتج والمصدر للسلع التي تطلبها الأسواق العربية [١]،

وعلى هذا الأساس نجد أن بلاد الهند تنوعت بأنواع عديدة من المحاصيل الزراعية من حبوب وثمار وفاكهة وأشجار أيضًا، إذ ذكر ليس للهند نخل ولهم سائر الشجر .ومن الأشجار الواسعة الانتشار في جميع بلاد الهند هي شجر النارجيل وذكر في الجزر التي تملكها امرأة عامرة بنخل النارجيل ... وكلها عامرة بالناس والنارجيل، كما إنهم يزرعون الأرز.[٢].

وعليه استخلاصًا مما سبق كان للتجار والربابنة العرب دور كبير في تنشيط التجارة مع الهند في القرن الثالث والرابع الهجريين /التاسع والعاشر الميلاديين.

ثالثاً: واردات السلع والمنتوجات من بلاد الصين:

كانت تجارة العرب مع بلاد الصين رائجة، والذي ساعد نجاح هذه التجارة هي سياسة الدولة وما قدمتهُ من تسهيلات ساعدت على نجاحها في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وكان ميناء خانفوا (كانتون) من أهم مراكز تصدير السلع والمنتوجات كما يذكر السيرافي أن خانفوا هي مجتمع التجار[٣]، وكانت لهذه المدينة الساحلية دور كبير في احتضان العديد من الجاليات العربية الاسلامية التي استقرت في بلاد الصين على أثر مساعدتهم لملك الصين في ثورة آن لوشان، وخيرهم الملك بالعودة أو البقاء، وقد عاد من عاد، ومنهم من فضّل الإقامة، وصاروا في كل مدينة مستقلة على حسب كثرتهم وقلتهم مستقلين في أحكامهم الخصوصية متمسكين بالدين[٤].

---

(١) فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٧٣؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، ص١٨٦.

(٢) السيرافي ، رحلة السيرافي ،ص ١٨-٣٠-٥٠؛الأصطخري ، المسالك والممالك ،ص١٧٦؛ ابن حوقل ،صورة الأرض ،ص٢٨٠.

(٣) رحلة السيرافي، ص٢٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧.

(٤) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٩؛ يوسف، الاسلام الصين والتجارة، ص٨.

وعليه كانت مدينة خانفوا المركز التجاري الأول ومقصد جميع سفن سيراف إليها " علمًا أن لوقين هي أول مرافئ الصين والمسافة من لوقين إلى خانفوا مسيرة أربعة أيام "[١].

رغم ذلك كانت مراكب العرب تفضل أن ترسو في سواحل خانفو بدلًا من لوقين؛ وذلك لأنها مجمع تجارات العرب وسكناهم[٢]. وعليه كانت أسواق خانفوا تزخر بالعديد من البضائع والسلع ومنها المسك، ويذكر أنه يحمل من الصين بنوعه المسمى بـ (المسك التبتي) اليابس الفاتح، وكلما خف وزنه وفاح فهو أجود[٣].

وذكر أبو زيد السيرافي[٤] معلومات مفصلة عن الحيون الذي يؤخذ منه هذا المسك، بقوله: " إن بأرض الصين **ظباء المسك**[٥] الصيني والتبت أرض واحدة ولا فرق بينهما، فأهل الصين يجتذبون ما ضرب منهم من الظباء وأهل التبت ما ضرب منهم وإنما فضل المسك التبتي على الصيني بحالتين: **الأولى:** أن ظبي المسك يكون في حد التبت رعيه من سُنبل الطيب، أما رعي تلك الدابة من سائر نبت أرض الصين سيما رعيه سائر الحشائش[٦].

و**الثانية:** ترك أهل التبت **النوافج**[٧]في حالها وغش أهل الصين لما وقع إليهم منها وسلوكهم أيضًا في البحر وما يلحقهم من الإيذاء، فإذا ترك أهل الصين المسك في نوافجه وأودعت البراني، واستوثق منها وورد أرض العرب كالتبتي في جودته.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨.

(٣) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص١٧؛ خلف، محمود محمد، **بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي** (١٣٢-٣٦١هـ/٧٥٠-٨٧٣م)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،بلات)، ص٣٠٢.

(٤) رحلة السيرافي، ص٧٥؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٧٩.

(٥) **ظباء المسك:** دابة تعيش في بلاد التبت وبلاد الصين، ويكون رعيه من السنبل الطيب وسائر الحشائش، ولها نوافج منها يستخرج المسك. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٧٩.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٣١.

(٧) **نوافج:**نفجت الشيء فانتفخت ،والنافجة الورم المنتفج الذي لا يلبث.الجواهري،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،ص١١٧٥.

ونجد تفسير ما قاله أبو زيد عند المؤرخين بقولهم: إن أهل التبت لا يعرفون إخراج المسك من نوافجه على عكس أهل الصين يخرجونه من النوافج فيتطرق بالدم وغيره كما يعطي سببًا آخر لعدم جودة المسك الصيني؛ لأن ظباء المسك الصيني يقطع مسافة طويلة على سواحل البحر فتصل إليه الأنداء البحرية فتفسده(١).

ومن ثم يذكر الطريقة الصحية لوصول المسك الجيد المحافظ على رائحته وجودته إذا أودع في **البَراني الزجاج**(٢)وأُحكم عفاصها ورد إلى بلاد الاسلام من فارس وعُمان وهو جيد بالغ .كما ذكر أن أجود المسك كله ما حكه الظبي على أحجار الجبال، إذ كان مادة تصير في سرته (النوافج) ويجتمع دمًا عبيطًا كأجتماع الدم فيما يعرض من الدمامل، فإذا أدرك حكه وأضجره فيفزع إلى الحجارة حتى يخرقه فيسيل ما فيه، فإذا خرج عنه جف واندمل وعادت المادة تجتمع فيه مثل ذي قبل(٣)، وإن بخروج ذلك المسك من الدابة لذة حتى إذا فرّغ ما في (نافجته) وهي سُرته، وهي لفظة فارسية اندملت وعادت قد جمعت إليه مواد من الله، فتجتمع ثانية كما كـــانت أولًا(٤). وللتبت رجال يخرجون في طلب هذا وينصبون الحبائل والشرك والشباك ولهم به معرفة(٥)، فيصطادونها وربما رموها بالسهـــــــــام فيصير عونها ثم يقطعون عنـــــها نوافجها والــــــدم في سررها خام، ثم يبلغ الإنضــــــاج

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١١.

(٢) **البَراني الزجاج:** قوارير من زجاج. أبن منظور،لسان العرب،ج١٣،ص ٢٣٧.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٣-١٢٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٣-١٢٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٣١.

فيكـــون **لرائحةُ زهومة**[١].تبقى زمانًا حتى تزول ثم تحمل إلى ملوكهم[٢]، وسبيل ذلك الثمار إذا قطعت قبل النضج فإنها تكون ناقصة الطعم والرائحة[٣]، وأجود المسك وأخلصه ما ألقاه الغزال من تلقاء نفسه، وذلك أن الطبيعة تدفع سواد الدم إلى سرته، فإذا استحكم لون الدم وأحدث له في سرته حكمه فيندفع إلى أحد الصخور الحادة فيحتك بها، فيتلذذ فينفجر ويسيل على تلك الأحجار كانفجار الجراح والدماميل[٤]، ولكن إذا قطعت النوافج عن الظبي بفعل الانسان قبل ادراك المسك فيها، كان له رائحة كريهة مدة من الزمن حتى يجف على مر الأيام الطويلة حتى يصير مسكًا[٥].

وظبي المسك كسائر الظباء عندنا في دقة القوام، وانتصاب القرون وانعطافها[٦]. ويذكر المؤرخون أنه لا فرق بين غزلاننا وبين غزلان المسك في الصورة ولا الشكل ولا اللون ولا القرون، وانما الفارق بينهما بالأنياب، ويتفق ياقوت الحموي مع أبو زيد بذلك: " ولها نابان دقيقان أبيضان في الفكين، قائمان في وجه الظبي "[٧]، ويشبّه المـــسعودي[٨] أنيابه بأنياب الفيل، أما القزويني[٩] يشبّهه بانياب الخنزير، وعليه

---

(١) **رائحة زهومة:** ريحُ لحمٍ سمينٍ مُنتنٍ.أبن منظور،لسان العرب،ج١٢،ص٢٧٧.

(٢) السيرافي،رحلة السيرافي، ص٧٦؛المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٣١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢.

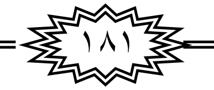
(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٦.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٣١.

(٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٤.

(٩) آثار البلاد وأخبار العباد، ص٧٩.



طول كل واحدٍ منها مقدار فِتْر (شبر أو اقل أو أكثر) [١]، ودونه على هيئة ناب الفيل، فهو الفرق بينها وبين سائر الظباء[٢].

وعليه كان للمسك التبتي أهمية كبيرة، وكانت من أهم السلع التي تصدر إلى بلاد العرب، وهناك رواية طريفة يذكرها اليعقوبي[٣] عن تجارة المسك الذي كان يحمل من الصين إلى البصرة، فيذكر إنه عندما تصل المراكب التي تنقله إلى ميناء الأبلة ترتفع رائحته فلا يستطيع التجار إخفاءه عن **العشارين**[٤] .

وكذلك يُحمل من الصين الديباج، والجواري، والخصيان، والعقاقير، وأواني الذهب والفضة، والسروج، والكاغد، فضلًا عن الحرير والثياب الحريرية الفاخرة[٥]. وقد تميزت الصين في صناعة هذه الثياب الفاخرة، وصنعة الثياب الملبوسة والمفروشة، فلهم فيها نيفة ومهارة ولا يبلغها أحدٌ من الأُمم "[٦].

ويذكر أبو زيد[٧] " ولباس خدمهم ووجوه قوادهم فاخر الحرير الذي لا يُحمل مثله إلى بلاد العرب عندهم ومبالغتهم في أكمامه ". وكانت كسوة الكعبة من الحرير الفاخر، وتذكر رواية عن " ستور الكعبة الشريفة في الحرير الأسود مكتوبٌ فيها بالأبيض، وهي تتلألأ عليها نورًا واستشراقًا، وتكسوها جميعها من الأعلى إلـــى

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٧؛ المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧.

(٣) كتاب البلدان، ص١٢٣-١٢٤.

(٤) **العشارين**: وهم العمال الذين يأخذون من التجار عشور تجارتهم، أي: عُشر أموالهم، والعُشر: يؤخذ من بضائع الكفار التي يقدمون بها من دار الحرب إلى بلاد الاسلام إذا شُرط عليهم ذلك. الشرباصي، أحمد، **المعجم الاقتصادي الاسلامي**، (دار الجيل، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٥) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٦؛ اليعقوبي، البلدان، ص٣٦٧؛ ابن الفقيه، البلدانن ص٢٥١؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص١٦٢-١٦٣.

(٦) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٤.

(٧) رحلة السيرافي، ص٥٩.

الأرض "[١]، وهذه الرواية تؤكد استخدام الحرير في جميع الصناعات، ومنها صناعة كسوة الكعبة المشرفة.

ومن بديع صناعات الصين رواية: أذ ذكر رجل من وجوه التجار ومن لا شك في خبره: أنه صار إلى خصي كان الملك أنفذه إلى مدينة خانفو لتخير ما يحتاج إليه من الامتعة الواردة من بلاد العرب، فرأى على صورة خالًا أسود يلوح من تحت القميص كأنه بارز فقدر إنه ضاعف بين ثوبين، فلما ألح في النظر، فقال له الخصي: ارك تُديم النظر إلى صدري، فلِمَ ذلك؟ فقال له الرجل: عجبتُ من خال يشف من تحت هذه الثياب، فضحك الخصي، ثم طرح كُم قميصه إلى الرجل، وقال له: أعدد ما على منها فوجدها خمسة **أقبية**[٢]، وطرح قميصًا آخر حتى نزع خمسة من القمصان، فكان الخال يلوح من تحت خمسة الأثواب، وهذا نوعٌ واحدٌ من الثياب[٣]، فضلًا عن الحرير يُحمل من الصين العود الصنفي، وذكر إن العود الصنفي أفضل من العود القماري؛ " لأنه يغرق في الماء لجودته وثقله "[٤]. كما احتل العنبر مكانة مهمة بين أنواع العطور المُحّملة من الصين إلى العراق[٥]، إذ تُحمل من جزيرة لنجبالوس الذي تعد من الجزر الهند الصينية ويبايعون التجار العنبر والنارجيل بالحديد وما يحتاجون إليه من كسوة؛ لأنه لا حر عندهم ولابرد[٦].

ويمكننا أن نذكر وبكل ثقة إن التاجر سليمان أول عربي غير صيني قد أشار إلى الشاي وأهمية[٧] هذه العُشبة في اقتصاد الصين، إذ يذكر: " إن ملك الصين

---

(١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٤٨.

(٢) **الاقبية:** ثوبٌ يلبس فوق الثياب أو القميص. ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ص٦٧.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٩؛ المروزي، أبواب الصين والترك والهند، ص٤-٥.

(٤) المسعودي، أخبار الزمان، ص٥٩.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩٧.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢١.

(٧) وأول من تكلم على الشاي من المؤلفين الغرب طُلبيوس- بضم الطاء، ثم أخذ استعماله في الانتشار شيئًا فشيئًا أولاً بهولندا وإنكلترا ...، ثم إلى باقي العالم حتى صار الأن كثير الاستعمال كمشروب غذائي، ثم استنبت في أماكن في أوربا. ينظر: الدمشقي، جمال الدين بن نور الدين=

يحتفظ لنفسه بالدخل الناتج من معادن الملك وحشيش يشربونه بالماء الحار، ويباع منه في كل مدينة بمالٍ عظيم، ويقال له (لساخ) أي (الشاي) [1]، وفي لغة الصين يسمونه بجملة أسماء، مثل: (تا، وتيا، تين) [2]. وأنواع الشاي مختلفة، فمنها الأبيض، والأخضر، والبنفسجي، والخمري، والأزرق، والأسود[3].

أما تهيئة الشاي للإستعمال والتجارة، فذكر إنه توجد محلات مخصصة في تلك البلاد لتهيئة تلك الأوراق وبها أفران في كل تنور من حديد، فأولًا تغمس الأوراق المجنية نحو نصف دقيقة في الماء المغلي، ثم تخرج وتترك حتى تجف، ثم تلف بالإصبع ورقة ورقة وتلقى في التنور المحمي حتى يحكم بأن جفافها كافٍ، ثم تؤخذ منه وتوضع على حصيرٍ وتُلف مرة أُخرى وهي حارة وتعرضها لأشعة الشمس لتجلب الأوراق التفافًا مستدامًا، فما كان من الشاي جيد الإلتفاف والجفاف كان مختاراً، ثم يوضع في صناديق أو عُلب يحفظ فيها نحو شهرين، ثم يخرج منها لإتمام تجفيفه في محل دافئ؛ لتزول منه الرطوبة، فحينئذ يكون أهلًا للإستعمال أو للإرسال في المتجر، وبعد وضعه في صناديق مبطنة بأوراق الرصاص ومحاطة بأوراق عريضة من نبات تلك البلاد بعد أن يعطر أحيانًا بأزهار وزيت مخصوصين، فالشاي في الحالة الطبيعية عديم الرائحة[4].

وعليه بعد هذا التاريخ أصبح الشاي من البضائع الرائجة التي ترد إلى بلاد العرب؛ لأن في الصين وحدها تخرج منه ثلاثة أرباع ما في العالم بأجمعه من هذا الحشيش[5] ... وهذا الحشيش (الساخ) أكثر ورقًا من **الرطبة**[6]، وأطيب قليلًا وفيه

=الحسيني الدمشقي (ت١١٤١هـ/١٦٨٧م)، **رسالة في الشاي والقهوة والدخان**، (بلامط، بلاد ،بلات)، ص٣.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٢.

(٢) الدمشقي، رسالة في الشاي والقهوة، ص٣.

(٣) الدمشقي، رسالة في الشاي والقهوة، ص٦.

(٤) الدمشقي، رسالة في الشاي والقهوة، ص٥-٦.

(٥) اتربي وعبد العزيز، نبذة عن الصين، ص١٠.

(٦) **الرطبة:** اسم خاص لقضب (البرسيم) ما دام أخضر طريًا رطبيًا. الملك الرسولي، المعتمد في الأدوية المفردة، ص١٣٧.

مرارة، فيغلى الماء ويسكب عليه، فهو ينفعهم من كل شيء، وجميع ما يدخل بيت المال الجزية والملح وهذا الحشيش[١].

كما تفوقت الصين على نظرائها من دول العالم المختلفة بحذق دقيق الصناعات الفاخرة " وأهل الصين أحذق الناس بالصنائع المهنية لا يدانيهم فيها أحد من الأُمم "[٢]. وعليه تميزت الصين بصناعة الذهب والفضة، والخزف الصيني، والورق (الكاغد)، والحبر (المداد)، والسجاد الفاخر[٣]، كان يحمل من الصين الذخائر وهي القصعة أو الصحن الكبير ذو ساق يتخذ من خزف، والذخائر تؤتى من بلاد الصين واشتهرت بجودة صناعتها وجمالها وروعتها. أما السيرافي[٤] يذكر صناعاتٍ أخرى من هذا الخزف، بقوله: " ولهم الفخار الجيد، ويعمل منه أقداح في رقة القوارير يرى ضوء الماء فيه".

كما تحمل من الصين الأعشاب الطبية والأدوية، وكانت الصين مشهورة بهذا المجال، إذ ذكر السيرافي[٥] " ولهم حجر منصوب طوله عشرة أذرع مكتوب فيه نقدًا في الحجر ذكر الأدوية والأدواء، داء كذا ودواؤه كذا، فإن كان الرجل فقيرًا أعطى ثمن الدواء من بيت المال "، وهذه الرواية تدل على إن أهل الصين هم أهل خبرة في وصف الداء وذكر أنواع الأدوية والعلاجات والأعشاب المناسبة لكل داء منها وعليه كانت تجارة الأدوية من التجارات الرائجة. وعليه كانت الصين وبالأخص خانفو من أهم المراكز التجارية في الصين وتزخر أسواقها بالحرير والمسك والعود.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٢.

(٢) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٦٤٢.

(٣) المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، ص٣.

(٤) رحلة السيرافي، ص٢٩.

(٥) رحلة السيرافي، ص٤٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٠؛ فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص١٦١

أماالمحاصيل الزراعية في بلاد الصين عديدة فمنها أشجار وفاكهة التفاح، والخوخ، والاترج، والرمان، والسفرجل، والكمثري، والموز، وقصب السكر، والبطيخ، والعنب، والخيار، والجوز، واللوز، والفُستق، والأجاص، والمشمش، والنارجيل.

وعليه إن التنوع في المحاصيل الزراعية حتمًا تؤدي إلى تنوع في مأكل ومشرب الفرد الصيني. فضلًا عن أشجار الفاكهة تكثر زراعة الحنطة والشعير والأرز، ولا يوجد في بلاد الصين العنب والتين البتة، وإنما يوجد عندهم شجر يسمى الشكي والبركي، ولا يمكن تصديق إن في جميع بلاد الصين تنعدم زراعة العنب والتين، إذ لعل زراعة هذه الفاكهة كانت قليلة، ولكن غير معدومة لأن السيرافي يذكر في مقام آخر إن العنب في الصين قليل. وعليه أن هذه الفاكهة كانت قليلة ولكن غير معدومة، كما ليس للصين نخل ولهم سائر الشجر وثمر ليس عندنا. وفي مقام آخر ذكر: وخمدان هذا البلد في كل نزهة وغيضة حسنة وأنهار ومطرة إلا النخل فإنه معدوم(١) .

وعليهِ أن التنوع في المحاصيل الزراعية يؤدي بالنهاية إلى تنوع بالمأكل والمشرب،فضلًا عن تنوع في نوع السلع والبضائع الواردة منها إلى بلاد العرب

٤- **الأنظمة والقوانين التجارية في الصين**:

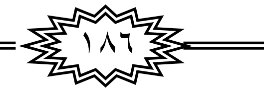
أ- تنظيم عمليات بيع وشراء السلع والبضائع الواردة إلى بلاد الصين:

مع اتساع حجم النشاط التجاري في موانئ الصين كان لابد من اجراءات كمركية وقيود تضمن سيولة تلك البضائع والسلع، وحماية السوق من تضخم أو تعرض السوق لنقص بعض السلع، وعليه التجأت حكومة الصين إلى اتخاذ عدة اجراءات من ضمنها ما جاء به أبو زيد السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر(٢)، إذ قال:

---

(١) ويذكر السيرافي "والهند لاعنب لهم ،وهو بالصين قليل "،وفي مقام أخر يذكر رغم وجود هذه الثمرة في بلاد الصين إلا أنها قليلة . رحلة السيرافي،ص٥٠-٢٣؛الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار ،ص٣٧٢.

(٢) رحلة السيرافي، ص٣٩؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١١.



وإذا دخل البحريون من البحر قبض الصينيون متعاهم وصيروه في بيوت وضمنوا المتاع إلى ستة أشهر إلى أن يدخل آخر البحريين، ثم يؤخذ من كل عشرة ثلثهُ، ويسلم الباقي إلى التجار، ومما إحتاج إليه السلطان أخذه بأغلى الثمن وعجّله، ولم يظلم فيه، ومما يأخذون: الكافور **المنا**[1] بخمسين فكوجًا، والفكوج ألف فلس. وهذا الكافور إذا لم يأخذه السلطان يساوي نصف الثمن خارجًا [2]. وعليه إذا وصل المركب إلى باب هذه المدينة خرج إليهم الأمناء والكتاب من أهل البلاد فيكتبون عدد ما في المراكب من الرجال والنساء والصبيان والعبيد، ثم يكتبون اسم صاحب المركب، واسم أبيه، ثم يكتب أسماء الذين معه من التجار وتكتب أسنانهم بأن يُسأل الرجل كم أتى عليه من السنين؟ ومن أي بلد هو؟ ومن أي قبيلة؟ ثم يكتبون ويثبتون جميع ما في المراكب من الأمتعة على أصنافه، وإذا ثبتوا ما في المركب أذنوا لهم بالنزول، فإذا سكنوا في الرحال يأتيهم **الخصي الأمين**[3] ويحملهم إلى صاحب المدينة وكل من كان ثيابه أنظف وأحسن كان أكرم عندهم[4]، ثم يسألهم الملك عن أحوالهم في أنفسهم ومسيرهم في طريقهم، ثم يبعثون إلى منزل الخصي الأمين،

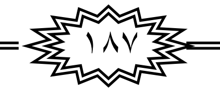
---

(١) **المنا:** مكيال وزن معروف مقدار رطلان. وجمع المنا أمناء (أمنان). الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣٩، ص٥٧٢.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩.

(٣) **الخصي الأمين:** وهم العمال المسؤولون عن ادارة أمور الدولة، وذكر إن ملوك الصين وخصيانهم، وهم ولاة الخَراج وأبواب المال فمنهم من سبي من الأطراف مخصي، ومنهم من يخصيه والده من أهل الصين ويهديه إلى الملك تقربًا إليه، فأمور الملك من خاصته وخزائنه ومن يتوجه إلى مدينة خانفو التي يقصد إليها تجار العرب هم من الخدم الخصي، كما يذكر سليمان التاجر إن من نساء الصين إذا أرادت الفجور سجلت إسمها في ديوان الزواني، فإذا ولدت المراة أنثى كانت من رسم أمها، وإذا ولدت الذكور خُصوا واستعملهم الملك في داره وأعماله، وعليه ثبت إن الإخصاء عقوبة تقليدية ووسيلة للحصول على عمل في خدمة الإمبراطور كموظفين حكوميين رفيعي المستوى والمبرر لدفعهم لهذا السبب هو بما إنهم كانوا غير قادرين على إنجاب الأطفال، فلن يميلوا إلى الاستيلاء على السلطة، ويقومون بأعمالهم بأحسن وجه. للمقارنة. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩-٥٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٢؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٤-١٣٥.

(٤) المروزي، أبواب الصين والترك والهند، ص١١.



ومنزله خارج المدينة، فإذا دخلوا عليه يوضع لهم كرسي فيجلسون عليها ويسألهم عن أحوالهم ويكرمهم ويقدم لهم الفواكه ويسقيهم، علمًا إن اسم الوكيل عندهم (فاسام)، وبعدها يخرج ما في المركب من الامتعة ويوضع في بيوت ويختم عليها الأمناء ويمنع البيع والشراء لمدة ستة أشهر إلى آخر وقت الريح، فإذا علموا إن المراكب انقطعت وجاء وقت لا يقدم فيه أحد سلموا المتاع إلى التجار وبعدها أخذ الضرائب الكمركية المفروضة عليهم وهي أخذ **المكس**(١) وهو من كل عشرة ثلثهُ(٢)، أي نسبة ٣٠% من مجمل السلعة، وهذه الرسوم توزع النصف منها لصاحب الجيش، والنصف ينفذ إلى ملك الصين(٣).

وبعدها يسمح لهم بالبيع والشراء بعد أن يشتري السلطان ما يحتاجه من تلك السلع، فيشتريها بأغلى الثمن ويعجل في الدفع " وملكهم لا يظلم فيه أحد "؛ والدليل على ذلك هو إن الملك يشتري الكافور من التجار، وإذا لم يأخذه السلطان أو يشتريه فيباع بنصف الثمن خارجًا(٤)، وهذا خير دليل على حُسن تعامل الملك مع التجار وسعيه لرواج التجارة في بلاده.

وعليه كان هذا النظام الدقيق في التعامل لها نتائج إيجابية، ويمكن إيجاد منافسة عادلة من شأنها تخفيض الأسعار ومنع الاحتكار والقضاء على أية محاولة للارتفاع أسعار البضائع(٥)، ويفسر المروزي(٦) ذلك " اتاحة فرصة متساوية للجميع ".

أمـــــا السيرافي(٧) فيبرر سبب هذه الاجراءات " وإذا غلا السعر أخرج السلطان من خزانته الطعام فباعه بارخص من سعر السوق فلا يبقى عندهم غلا ". ولابد من

---

(١) **المُكوس:** ضريبة تؤخذ من السفن الواردة في البحر، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع، والماكس هو العشار أو العاشر. الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص٤٣٦.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩.

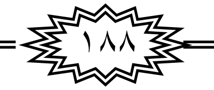
(٣) المروزي، أبواب الصين والترك والهند، ص١٠-١١.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩؛ المروزي، ابواب الصين والترك والهند، ص١٠-١١.

(٥) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢١٧.

(٦) أبواب في الصين والترك والهند، ص١١.

(٧) رحلة السيرافي، ص٤٢.



الوقوف عند هذه القوانين الكمركية، فكل سياسة في التعامل لها إيجابياتها، ومن سلبيات هذه الاجراءات، هي:

اولاً: إن خزن البضائع لمدة ستة أشهر[1]، هي مدة طويلة يقيد حركة التجارة والتجار على حدٍ سواء، ويؤخر رجوع تلك المراكب إلى أوطانها خاصة إن أولئك التجار كانوا ملزمين بالارتحال مع الرياح الموسمية.

ثانياً: فضلًا عن إن بعض هذه السلع والبضائع كانت تتعرض للتلف لطول المدة التي يقوم بخزنها في حوانيت الخزن.

ثالثاً: أما السبب الآخر الذي أشار إليه أيضًا السيرافي وهي تلك الحوادث التي تتعرض لها حوانيت خزن البضائع من أحراق؛ لأن تلك المخازن والحوانيت مبنية من الخشب، فيصف السيرافي من أسباب قلة المتاع هو أنه يأتي حريق على المتاع[2].

ومن القيود الكمركية والقانونية الأخرى على المراكب والتي كانت تفرض قبل رحلة عودة المراكب إلى أوطانها، كان على التجار تسجيل أسمائهم في مكتبه، وكان يفحص بيانات شحنهم، ويجمع منهم ضرائب التصدير ورسوم الشحن، ويحرم عليهم تصدير طائفة معينة من السلع النادرة الغالية[3].

وعليه كانت القوانين والأنظمة التجارية (الكمركية) على أعلى مستوى من التنظيم والتدقيق، وكانت الصين السباقة في وضع هكذا قوانين لتنظيم سير عجلة التجارة مع البلدان الخارجية. وعليه استنادًا إلى ما سبق يجب على الربان ان يسلم جميع ما في المركب من البضائع إلى المأمورين بإدارة المراقبة عند الوصول إلى المرفأ[4]. لذا إن هذه الإدارة التي أصبحت فيما بعد يطلق عليها اسم (إدارة الجمرك) في سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) سبب في التقدم التجاري وتطور العلاقات التجارية بالخارج،

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩؛ المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، ص١١.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٣-٢٤؛ فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص١٦١.

(٣) الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢١٨.

(٤) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٢؛ فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٦١.

وصدرت الأوامر الكمركية إلى جميع المرافئ أن تودع العطور والبضائع العظيمة القيمة القليلة الواردة في مخازن الحكومة بعد ورودها إلى الصين[1]. كما وأنشئ وظيفة جديدة يقال لها **(زى به شي)** [2] مهمتها مراقبة المراكب، ويبدو إن تلك المراقبة كانت شديدة جدًا حتى إذ كان أحد من التجار لا يتجرأ على نقل شيء من سفنهم قبل دفع الرسوم المطلوبة، وإلا فقد يعرض بضاعته للمصادرة، ونفسه للعقاب [3][4].

وذكرت لنا المصادر رواية طريقة تدل على حُسن تعامل ملك الصين مع رعيته والجاليات الأجنبية الذين هم تحت ضلال حكمه برواية مفادها أنصاف الملك لتاجر خراساني الذي ظلم على يد خصي الملك (مفتش المراكب التجارية وجابي الضرائب) مفادها: أن رجلًا من أهل خُراسان ورد العراق فابتاع متاعًا كثيرًا وخرج إلى بلاد الصين وكان فيه بخلٌ وشح شديد، فجرى بينه وبين خصي للملك كان أنفذه

---

(١) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٤-١٣٥.

(٢) **زى به شي**: وظيفة من الوظائف الصينية مهمة صاحبها مراقبة السفن التجارية البحرية وتفتيشها وتسجيل ما على تلك المراكب من حمولات وأشخاص وتدوين أسماءهم في سجلات. الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٥.

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٦٤٣؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٦.

(٤) ولو أجرينا مقارنة بين الأنظمة والقوانين الكمركية في بلاد الصين ونضرائها من الدول التي تتم بينهم العمليات التجارية ومنها بلاد العرب، فكانت الدولة العباسية منذ تأسيسها، إذ سعت لتكون عاصمتها من أهم المراكز التجارية في العالم الاسلامي، ولم تفرض إي ضرائب على التجار الوافدين إليها، لكن في العصور العباسية المتأخرة تميزت بانقسام سياسي وفوضى داخلية، وقلة الرقابة والسعي إلى أحداث ضرائب جديدة أطلق عليها المُكوس، فضلًاعن ضرائب أخرى تدعى بالمآصر، وهي عبارة عن سلسلة او حبل يشد معترضًا النهر يمنع السفن من المُضي دون أن تدفع الضريبة المفروضة عليها. وعليه استنادًا إلى ما سبق يتبين إن الدولة العباسية لم تكن تفرض الضرائب الباهضة ولا المكوس على السلع التجارية إلا في العصور العباسية المتأخرة. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١١٧؛ الدوري، عبد العزيز، **النظم الإسلامية**، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م)، ص١٥٧؛ وللمزيد راجع : اللهيبي وإيمان، محمود وعبد الجبارمحمود، **التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)**، بلا مجلد ،العدد ٥٧، (١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، ص١٩٥.

إلى خانفوا وهي المدينة التي يقصدها تجار العرب لأخذ ما يحتاج إليه مما يرد في المراكب، وكان هذا الخصي من أجلّ خدم الملك وإليه خزائنه وأمواله، ووقعت مشاجرة بين هذا التاجر الخراساني وبين خصي الملك حول أمتعة العاج وغيره؛ وذلك لامتناع التاجر عن بيعها حتى عظم الأمر بينهما، وانتزع الخصي الأمتعة منه بالقوة واستهان بأمره. وما كان من التاجر الخراساني إلا أن ذهب مستخفيًا حتى ورد مدينة الملك بخمدان، فخرج إلى **السلسلة (جرس الملك)** [1]، وسبيل من حركها على الملك الكبير وهو على بُعد مسيرة عشرة أيام على سبيل النفي، ويؤمر بحبسه هناك شهرين، ثم يخرجه ملك تلك الناحية، ويقول: إنك تعرضت لما فيه بوراك وسفك دمك إن كنت كاذبًا، وأعلم إنك متى وصلت إلى الملك فلم يكن ما تظلمت منه مما يجب في مثله الوصول إليه فليس دون دمك شيء لئلا يقدم على ما أقدمت كل من يهم بمثله، فاستقل ثقلك وأمضِ لشأنك، فإن استقال ضربه خمسين خشبة ونفي إلى البلاد التي منها قصد، وإن أقام على تظلمه وصل ففعل ذلك بالخراساني، وعليه فبُعث بالخراساني ووصل إلى الملك، فسأله الترجمان عن أمره، فأخبره بما جرى عليه من الخادم وانتزاعه من يده فكان الأمر بينهما ذاك قد شاع بخانفو وذاع فأمر الملك بحبس الخراساني، وتقدم إلى وزيره في الكتاب إلى العمال بخانفوه بالفحص عما إدعاه الخراساني وكشفه، والصدق[2] بما وقف به على صحة الدعوى من الخراساني، فتتابعت به الأخبار عند الملك من كل جهة، فأشخص الخصي، وعرف أنه المذنب،

---

(١) **سلسلة (جرس الملك):** يدعى هذا الجرس (الدّرا)، وهو جرس على رأس كل ملك من ملوك الصين مربوط بخيط مادٍ على ظهر الطريق للعامة كافة، وبين الملك وبينه نحو من فرسخ، فإذا حُرك الخيط الممدود أدى حركة تحرك الجرس، فمن كانت له ظلامة حرّك هذا الخيط فيحرك الجرس منه على رأس الملك فيؤذن له بالدخول حتى ينهي حاله بنفسه وشرح ظلامته، وجميع البلاد فيها مثل ذلك. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٢-٤٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٠.وهذهِ السلسلة يتميز بها ملوك الساسانيون لذلك جاءت سلسلة العدالة للملك كسرى أنو شروان والتي ذاع صيتها في عهد الدولة الساسانية مشابة لهذهِ في الصين. نظام الملك الطوسي، الحسن بن علي بن إسحاق الملقب بقوّام الدين (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، **سياسه نامة**، ترجمة يوسف بكار، (دار المناهل للطباعة، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٧٧

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٢-٧٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١.

فلما ورد قبض أمواله ونزع خزائنه من يده وقال له: كان حقك القتل، إذ عرضتني لرجلٍ قد سلك من خراسان، وهي على حد مملكتي، وصار إلى بلاد العرب، ومنها إلى ممالك الهند، ثم إلى بلدي طلبًا للفضل، فأردت أن يعود مجتازًا بهذه الممالك ومن فيها فيقول: إني ظُلمتُ ببلاد الصين وغُصب مالي، لكني أتجافى عن دمك؛ لقديم حُرمتك وأوليك تدبير الموتى إذا عجزت عن تدبير الأحياء، وأمر به فجعله في مقابر الملوك يحرسها ويقوم بها(١).

وعليه يتبين لنا من هذه الرواية العدالة التي كانت قد تميز بها نظام الحكم في الصين وحُسن تعاملهم مع الرعايا الأجانب وحماية حقوقهم وممتلكاتهم.

ب- الكتب المرخصة للسفر " تذاكر المرور " في بلاد الصين:

انفرد السيرافي دون غيره من المؤرخين بذكر الكتب المرخصة المدونة في السجلات الحكومية التي تسمح من خلالها للتجار بالتنقل من وإلى الصين في كتب مرخصة وهو يشبه في وقتنا الحالي بجوازات السفر إذ قال: " من اراد سفرًا من بعضها إلى بعض أخذ كتابين من الملك ومن الخصي، أما كتاب الملك فالطريق بإسم الرجل وإسم من معه وكم عمره وعمر من معه، ومن أي قبيلة هو، وجميع من ببلاد الصين من أهلها ومن العرب وغيرهم لابد لهم أن ينتموا إلى شيء يعرفون به، وأما كتاب الخصي في المال وما معه من المتاع، وذلك لأن في طريقهم **مسالح**(٢)، ينظرون في الكتابين، فإذا ورد عليهم الوارد كتبوا ورد علينا فُلان بن فُلان الفُلاني في يوم كذا، وشهر كذا ومعه كذا؛ لئلا يذهب من مال الرجل ولا من متاعه شيء

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص .

(٢) **المسالح:** وهم بمثابة شرطة التفتيش في الوقت الحاضر، وهم منتشرون على طول الطرق التجارية، وينظرون في الكتب التي ذكر فيها اسم صاحب المركب وتجارته والعبيد الذين على متن المركب وبدون معلومات المركب في اليوم، والشهر، ولسنة لورود المركب في تلك النقطة. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٣؛ياقوت الحموي،معجم البلدان ،ج٥،ص١٢٣؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٩.

ضياعًا، فمتى ما ذهب منه شيء أو مات، عُلم كيف ذهب، ورُدَّ عليه أو على ورثته من بعده "[1].

وعليه إن هذه العملية كانت تتم وفق ضوابط دقيقة ومنتظمة تسهل تنقل الأفراد، وفي ذات الوقت تؤمن لهم سلامة تنقلهم بين مدن الصين المختلفة، فضلًا عن حماية بضائعهم وممتلكاتهم، وكانت هذه الاجراءات يخضع لها التجار الأجانب من العرب وغير العرب فضلًا عن أهل الصين أنفسهم على حدًا سواء، وهي أن تقضي بأن يحصل المسافرين على ترخيص كتابي من حاكم المدينة الخاص بالسفر وبيانات حول اسم المسافر وعمره ومن يرافقه ويدون بها أسماءهم وأعمارهم وإلى أي فئة ينسبون، أما الترخيص الثاني فيكون من الخصي وهو نائب حاكم المدينة، فيكتب فيه معلومات عن الأموال والمتاع المحمول، وعليه إن كل شخص ورد إلى الصين من بلدان المشرق لابد له أن يحمل معه هذان الترخيصان للتعريف بهويته خاصة أنه تنتشر على طول الطرق " مسالح ينظرون في الكتابين، فإذا ورد عليهم الوارد كتبوا ورد علينا فلان وفلان الفلاني في يوم كذا "[2]، وهذه المسالح بمثابة شرطة التفتيش في الوقت الحاضر. وعليه أن هذه الرواية تؤكد حرص حكومة الصين على حفظ أموال التجار والجاليات الوافدة إلى الصين والمحافظة على أرواحهم وحماية أموالهم من خلال أصدار كتاب أو (جواز سفر) يؤكد وصول هذا التاجر إلى منطقة معينة وتسجيل تلك المعلومات باليوم والشهر والسنة، فضلًا عن كتابة اسمه بالكامل[3]؛ ليضمن ما له ولورثته من بعده إذا مات التاجر أو أحد الجاليات الوافدة إليهم.

ويبدو أن هذه المراقبة بقيت إلى زمن بن بطوطة ولعلها بقيت إلى وقت قدوم البرتغاليين إلى بحر الهند[4].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٣؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٥.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٣.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٣؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٥.

(٤) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٩.

وقد ذكر بن بطوطة[١] ذلك بقوله: " وعادة اهل الصين إذا أراد جنك من جنوكهم السفر، صعد إليه صاحب البحر وكاتبه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدم والبحرية، وحينئذ يباح لهم السفر ".

واستنتاجًا مما سبق يؤكد اهتمام ساسة وملوك الصين بالتجارة والتجار واهتمامهم بمن يوفد إليهم من البلدان المجاورة، ولحفظهم من الوقوع في الخطر وتأمين أموالهم وأنفسهم والتجأت إلى هذا القانون الذي يقضي بترحيل المسافرين في داخل حدود الصين وما معهم من الامتعة والأموال، وعليه كانت حكومة الصين ساهرة على حفظ أموال الأجانب وحياتهم[٢].

ت- معاملات أهل الصين بالدَّين (الديوان) أو بالآجل:

كانت التجارة في الصين تجوز بعقد الدَين، وأصحابه قلما أنكروا حق ذوي الحق عند النزاع لأن الحكومة كانت تنكل بالمنكرين بعقوبة جسمانية ومالية معًا[٣]، وطريق عقد الدين عندهم في ذلك الوقت يذكرها أبو زيد السيرافي[٤]، بقوله: " وأهل الصين ينصفون في المعاملات والديون، فإذا كان لرجلٍ دَين كتب عليه كتابًا، وكتب الذي عليه الدين أيضًا كتابًا، وعلّمه بعلامة بين أصبعيه الوسطى والسبابة، ثم جُمع الكتابان فطويا جميعًا، ثم كتب على فصلهما، ثم فُرق فأعطى الذي عليه الدين كتابه بأقراره، فمتى جحد أحدهما غريمه، قيل له أحضر كتابك، فإن زعم الذي عليه الدين أنه لا شيء له ودفع كتابه بخطة وعلامته وذهب كتاب صاحب الحق، قيل للجاحد الذي عليه الحق: أحضر كتابًا بأن هذا الحق ليس عليك، فمتى ما بين عليك صاحب الحق الذي جحدته فعليك عشرون خشبة على الظهر، وعشرون ألف فكوج فلسًا، والفكوج ألف فلس ويكون ذلك قريبًا من ألفى دينار، والعشرون خشبة فيها موته، فليس يكاد أحد ببلاد الصين يعطى هذا من نفسه مخافة تلف النفس والمال،

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص٦٤٣.

(٢) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٧.

(٣) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٨.

(٤) رحلة السيرافي، ص٤٣-٤٤.

ولم نرَ أحدًا أجاب إلى ذلك، وهم يتناصحون بينهم وليس يذهب لأحدٍ حق ولا يتعاملون بشاهد ولا يمين "(١).

" وإذا أفلس رجل بمال قوم فحبسه الغرماء بأموالهم عند السلطان أخذ إقراره، فإن لبث في السجن شهرًا أخرجه السلطان فنادى عليه: إن هذا فلان بن فلان أفلس بمال فلان بن فلان، فإن يكن له عند أحدٍ وديعة أو كان له عقار أو رقيق أو ما يحيط بدينه أخرج في كل شهر، فضرب خشبات على أسته لأنه أقام في الحبس يأكل ويشرب وله مال، فهو يُضرب أقر له أحد بمال أولم يقر له فهو يضرب على كل حالٍ، يقال: ليس لك عمل إلا أخذ حقوق الناس والذهاب بها "(٢). وهذا إن دلَّ فيدل على حزم ملك الصين على تنفيذ العقوبات بحق كل من يجحد بحقوق الرعية.

وعليه إن صح عند السلطان أنه لا شيء للرجل فأعطوا من بيت مال **البغبون**(٣)، ثم نادى: من بايع هذا فعليه القتل فليس يكاد يذهب لأحدٍ مال، وأن عُلم أن له عند أحد مالًا ولم يقر المودع بالمال قُتل بالخشب، ولم يُقل لصاحب المال شيء فيؤخذ المال ويقسم على الغرماء ولا يبايع بعد ذلك(٤).

وتعد هذه الرواية من الروايات المنفردة التي جاء به سليمان التاجر. إلا أن المروزي(٥) أشار إلى نوع من العقوبات يكون أشبه بما جاء عند سليمان التاجر بقوله: " ومن سُنة أهل الصين إن الرجل إذا أذنب يستوجب العقوبة والتأديب فلا يعاقب إلا بعد أن يعرف بذنبه ويبذل خطة بذلك ثم يُعرض على أمناء الملك ويأمر الملك بتأديبه على جنايته وكذلك إن أذنب ذنبًا استوجب به القتل، فإنه لا يُقتل حتى يبذل خطة بأنه استوجب القتل، ثم يقرأ عليه خطة بحضرة الجمهور حتى يُقر به ثم يتوقف ساعات حتى يُنظر هل ينكرون من عقله شيئًا، فإذا اتفقوا على صحة عقله

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٤؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٤.

(٣) **البغبون**: وهو الملك الأعظم، وهو لقب يلقب به ملك الصين ومعناه (ابن السماء). السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٤؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٦٩.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٤-٤٥.

(٥) أبواب في الصين والترك والهند، ص١٥.

حينئذ قتلوه ". وعليه نجد إن للصين أنظمة وقوانين حافظت على حقوق رعاياها التجار والمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم من الضياع والسرقة.

ومن مات من المسلمين عندهم ولا يكون معه وارث أُخذ ماله ووضع في بيت مال الملك مكتوبًا عليه اسم صاحبه واسم أبيه وجده وتاريخ موته، وينتظر به ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، فإن جاء وليه إلى هذه الغاية يسلم المال إليه(١).

---

(١) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٢.

الفصل الثالث: الجوانب السياسية، والدينية، والاجتماعية لبلاد الهند والصين وفقاً لما ورد في رحلة السيرافي.

- المبحث الأول: الجوانب السياسية لبلاد الهند والصين.
- المبحث الثاني: المعتقدات الدينية السائدة في بلاد الهند والصين .
- المبحث الثالث: الجوانب الاجتماعية لبلاد الهند والصين.



الفصل الثالث

الجوانب السياسية، والدينية، والاجتماعية لبلاد الهند والصين وفقاً لما ورد في رحلة السيرافي

المبحث الأول

الجوانب السياسية لبلاد الهند والصين

١- ممالك بلاد الهند:

سبق وأن أشرنا إلى إن بلاد الهند واسعة في البر والبحر، ولها جزر عديدة، ولكل جزيرة من تلك الجزر ملك يحكمها ويفرض أحكامهُ على رعيتهِ، إذ ذكر إن " بلاد الهند أوسع من بلاد الصين وهي أضعافها وعدد ملوكهم أكثر "[١]. اما عن نظام الحكم كان ملكيًا وراثيًا، اي يبقى الحكم محصوًرا في بيت الملك، فضلاً عن سائر المراتب في المملكة من الوزراء والقُضاة وغيرهم لا تتبدل[٢].

وانطلاقًا مما سبق سوف نورد بعض ممالك الهند وملوكهم كما جاء في رحلة السيرافي:

أ- مملكة الكمكم[٣]**(بلهرا):**

وهي مملكة من أشهر الممالك الهند وملكهم أعظم ملوك عصرهُ وهو ملك الهند الأكبر[٤]، واسمه بلهرا "البلهرى"، وتفسير (مل

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١١٤.

(٣) **مملكة الكمكم:** وردت هذه المملكة بصيغ عديدة في كتب المصادر والمراجع، فورد عند السيرافي بصيغة (الكلمكم)، أما عند المسعودي بصيغة (الكلمكن) وهذا اسم هندي، وهذه المملكة هي قصبة بلاد الذهب، وتقع داخل بلاد الهند، وهي بلاد واسعة شملت مساحة واسعة من السواحل الغربية والجنوبية فضلًا عن امتدادها إلى المناطق الداخلية، ومتصلة على الأرض إلى الصين وحوله ملوك كثيرة يقاتلونه. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٣.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٦؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٣.



الملـوك) [١]. وبلهرا لقب يطلق على كل من يحكم بلاد الكلمكن (الكمكم) [٢]. كما هو اسم لكل ملك منهم ككسرى ونحوه، وليس بأسم لازم[٣]، وبلهرا كافر وليس في ملك السند والهند من يعز المسلمين في ملكه إلا بلهرا[٤]، فالاسلام في ملكه مصون عزيز ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين، وتجمع فيه الجماعات[٥]. ومن صفات مملكة بلهرا أنهم " **مخرمي الآذن**"[٦][٧] اما عن موقع مملكة بلهرا فهي داخلية[٨] تقع ضمن الأرض الجبلية[٩]، لذا يكون معظ جيوش بلهرا من المشاة بسبب وعورة المنطقة ولهم الفيلة[١٠]. وهذا الملك يوزع أرزاق من بيت ماله كفعل المسلمين بأرزاق جنودهم[١١]. وتتفق المصادر على إن بلهرا هذا أشرف ملوك الهند، وهم مقرون له بالشرف، وكل ملك من ملوك الهند متفرد بملكه غير أنهم مقرونو لهذا، فإذا وردت رسله على سائر الملوك صلوا الرسالة تعظيمًا له، وهو ملك

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٩٥.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٣.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٩٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٥٢.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٣؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٠٣.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٤٤٠؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٣.

(٦) **مخرمي الآذان:** ما خرُم منه شيئًا أي ما نقص وما قطع. والأخرم الذي قطعت طرف أنفه قطعًا لا يبلغ الجذع، والأخرم أيضًا مثقوب الأُذُن.الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد، (دار المعاجم، لبنان ،بلا ت)، ص٧٣.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٣؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٤.

(٨) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٠.

(٩) الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٠٣.

(١٠) المغربي، الجغرافيا، ص١٣٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٥٢.

(١١) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٥٢.

يعطي العطاء كما تفعل العرب، وله الخيل والمال الكثير، وماله دراهم تدعى الطاطرية[١].

ومملكة بلهرا واسعة العمارات، كثيرة التجارات، جامعة الخيرات، وجباياتها وافرة[٢]. ويحتل بلهرا مكانة مرموقة بين ملوك الدنيا، فهو يحتل المرتبة الثانية بين ملوك الدنيا، ويذكر السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر[٣] ذلك بقوله: " أهل الهند والصين مجمعون على أن ملوك الدنيا المعدودين أربعة، فأول من يعدون من الأربعة: ملك العرب، وهو عندهم اجماع لا اختلاف بينهم في إنه ملك أعظم الملوك وأكثرهم مالًا وأبهاهم جمالًا، وإنه **ملك الدين الكبير**[٤] الذي ليس فوقه شيء، ثم يعد ملك الصين نفسه بعد [الملك بلهرا] ملك العرب وآخرهم ملك الروم"[٥]. وعليه استنادًا على ما سبق يتبين أن المسلمين في بلاد الكمكم (بلهرا) قد تمتعوا بمكانة خاصة وامتيازات تليق برعايا أعظم ملوك الدنيا، وكان يعاملهم معاملة حسنة، وترك حرية الدين لهم فضلاً عن ذلك سمح ببناء المساجد والجوامع في دياره، وذكر إن عمر ملكهم يطول بسبب عدلهُ مع رعيتهِ من ناحية، وإكرامهُ للمسلمين من ناحية أخرى، وتصل مدة حكمه إلى أربعين أو خمسين سنة، بل أكثر من ذلك[٦].

ولا يوجد عند الهند تقويم سنوي يعتمد عليه "بل تاريخهم بالملوك "[٧] أي يبدأ تاريخه في سنة من مملكة من كان قبله، وليس كسنة العرب من هجرة النبي ﴿ﷺ﴾.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٤.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٨٣؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٦٩.

(٣) رحلة السيرافي، ص٣٤.

(٤) **ملك الدين الكبير:** يبدو إن هذه اشارة إلى النبي محمد ﴿ﷺ﴾ والدين الاسلامي الذي وصل إلى تلك البقاع، أما عن طريق طبقة التجار، أو عن طريق الفتوحات الاسلامية، واستقر بعضهم في تلك البقاع وكونوا جاليات إسلامية مستقلة في الدول التي تاجروا معها مثل الهند والصين.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٣.

(٦) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٧٧.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤.

ومــــلوكهم[١]. أما بلهرا ملك يحمل تاجًا من ذهب على رأسه ويلبس الحُلل المنسوجة من الذهب ويركب الخيل في سائر الأيام[٢]، وعليه أن الملوك المجاورين له يصلون له، ولرسله إذا أرادوا عليهم تعظيمًا لشأنه[٣]. استنادًا إلى ما سبق يعد بلهرا أعظم ملوك الهند وأكثرهم قوة وثاني ملوك الأرض حسب ما ذكر ووصف بهِ.

ب- مملكة الصافق (الطافن):

وردت هذه المملكة في المصادر بصيغ عديدة،أذ وردت عند السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر[٤] بصيغة "الطافق"، كما ذكرت في مصادر أخرى بصيغة (الطافي)[٥]، (الطافن) [٦]، و(الطاقن) [٧] وهذه المملكة من الممالك الصغيرة " والملك قليل المملكة، كثير المال، عامر البلاد "[٨]. وهذا الملك موادع لمن حوله من الممالك لقلة جيشه. وعُرف أهل هذه المملكة بحسن معاملتهم للمسلمين " وهو يحب العرب كحب بلهرا "[٩]. أما عن موقع هذه المملكة تأتي بعد مملكة بلهرا، وهي مملكة تقع في الجبال ولا تشرف على بحر[١٠].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ٣٤.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٨٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٤؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٣.

(٤) رحلة السيرافي، ص٣٥؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٥.

(٥) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٧.

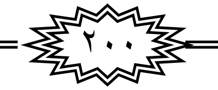
(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٦.

(٧) المروزي، ابواب في الصين والترك والهند، ص٣٤.

(٨) ابن رستة الأعلاق النفيسة، ص١٣٥.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٥.

(١٠) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٧.



ت- مملكة الجرز:

تأتي هذه المملكة بعد مملكة بلهرا ومملكة الطافن، ولهذه المملكة ملك يدعى ملك الجرز وهو كثير الجيش ليس لأحدٍ من الهند مثل خيله، وأموالهم كثيرة وإبلهم ومواشيهم كثيرة(١). أما عن عملة مملكة الجرز فيذكر أن عملتهم الدراهم الطاطرية(٢)، ويذكر السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر(٣)، إذ يذكر أنهم كانوا يتبايعون بالفضة، أما ابن رستة(٤) يذكر معاملاتهم بالذهب القطع والدراهم، يقال لها الطاطري وعليها صورة الملك ووزنها مثقال، وهنا يبدو أن العملة القديمة قد تغير في زمن بن رستة من دراهم الفضة إلى دنانير من ذهب إلا أن في زمن الإدريسي(٥) ذكر إن الدراهم الطاطرية هي التي كانت تصنع من الفضة، وعليه كان معدن سك العملة تختلف من زمنٍ لآخر. ويقال أن لهم المعادن وليس في بلاد الهند آمن من السرقة منها(٦). ويقال: إن التجار العرب يرحلون إليه في تجارتهم، فإذا بايعوهم قالوا للملك: إبعث معنا من يخرجنا من بلادك ويحفظ متاعنا، فيقول: ليس في بلادي لص، أخرجوا، فإن حدث بأموالكم حدث فخذوه مني وأنا الضامن لكم(٧). وهذا يدل على إن العدل في مملكته مستفيض لو طرح الذهب في وسط الطريق ما خافوا عليه أحد يأخذه من عدلهم(٨). وهذا الملك عدو للعرب غير إنه مقرٌ أن ملك العرب أعظم الملوك وليس لأحدٍ من الهند أعدى للإسلام منه(٩).

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤-٣٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٥.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧.

(٣) رحلة السيرافي، ص٣٥.

(٤) الأعلاق النفيسة، ص١٣٥.

(٥) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٥.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٥.

(٧) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٥؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٥.

(٨) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٥.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤-٣٥.

إلا أن العرب يرحلون إليه في تجارتهم فيبرهم ويحسن معاملتهم ويشتري منهم بضائعهم[١]. وهذا يدل على أن الملك لم يقيد المعاملات التجارية مع الدول المجاورة له؛ بسبب الإختلاف العقائدي أو الديني، وعليه كان لملك الجرز أجناد وفيلة ومراكب كثيرة، وعلى أرضهِ أشجار الموز والنارجيل والأرز[٢].

أما عن صفات هذا الملك فيذكر: " له جسم كبير وليس حوله ملك أشجع منه في الحرب، وهو كثير المكيدة ويقاتل بلهرا وملك الطافن[٣]. أما عن مملكة الخزر يزعم أهلها أنها تتصل بالبحر الزفتي من آخر الصين[٤]. كما يذكر أن بعد هذه المملكة غابة وبعده **مملكة دهمى**[٥].

ث- مملكة دهمى (درهرم):

وهي مملكة من ممالك الهند وتأتي بعد مملكة بلهرا والطافن والجرز، ولهم ملكٌ يدعى (درهرهم) [٦]. أما المروزي[٧] يذكره بصيغة (دهم). أما بن الفقيه[٨] يذكر (وملكتهم امرأة)، ويبدو أن الأخير لم يلتفت إلى أن مملكة (رهم) رهمى لها بلاد كثيرة، وفيها مدينة يقال لها أورفشين على ساحل البحر وملكتها كانت في القديم امرأة يقال لها رانية ومملكتها وبيئة وأكثر من دخلها من الهنود مات منها؛ وذلك لكثرة أوبأتها، وللتجار ربح كثير منها، وكانت لملكتها من القوة ما يعجز عن قتالها دهم مع كثرة جيشه وشدة شوكته، وكانت تحارب بنفسها وهي عظيمة الجثة لم يُرَ أحدٌ

---

(١) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٥؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٥.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٥.

(٣) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٥؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٥.

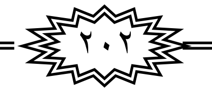
(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٥.

(٥) **مملكة دهمى**:وهي مملكة من ممالك الهند. السيرافي ،رحلة السيرافي،ص٣٥؛الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٥.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٥.

(٧) أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٥.

(٨)البلدان، ص١٥.



في عظمـــتها[١]. وهذه الرواية خير دليل على إن حكم مملكة رهمى هو ملك وليس ملكة كما ورد عند بن الفقيه. أما الملكة التي أشار إليها الأخير هي ملكة أورفشين إحدى مدن بلاد الرهمى[٢]. والملك رهمى له من القوة ما يؤهله لمقاتلة كل من ملك الجرز ومملكة بلهرا[٣]، إلا أنه يعجز عن مقاتلة الملكة رانية ملكة مدينة أورفشين[٤]. ورهمى هذا أكثر جيشًا من ملك بلهرا ومن الطافق أيضًا[٥]، ويقال: إنه إذا خرج إلى القتال يخرج في نحو من خمسين ألف فيل[٦]. وذكر آخر: " وله جيش عظيم جرار تزيد عدتهم على ثلثمائة ألف"[٧]. وللمسعودي[٨] رأي في ذلك بقوله: والمكثر من الناس يغلو من القول في كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القاصرين(أي لم يبلغ سن الرشد)**والغسالين**[٩]،في عسكره من عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألفًا. وهذه الرواية تؤكد أن المسعودي يقف موقف الرافض في المبالغة بذكر عدد جيوش الرهمى.

ومن هذا المنطلق لا يخرج للقتال مع الجيش إلا في الشتاء لأن الفيلة لا تصبر على العطش فضلًا عن قلة لبثها (أي انتظارها)، لذا لا يسعه إلا الخروج في الشتاء[١٠].

ويقال أن بين مملكة رهمى وبين مملكة بلهرا والطافن والجرز مسيرة سنة[١١]، وهنا لابد من وقفة: هل يعقل أن مسافة الطريق بين مملكة رهمى وبين بلهرا والطافن

(١) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٧.

(٢) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٧.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٤) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٧.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٩٥.

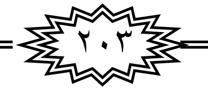
(٧) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٥.

(٨) مروج الذهب، ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٩)**الغسالين**:وهم العمال الذين يغسلون الملابس.القرشي،محمد بن محمد بن أحمد (ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م)،تح:محمد محمود شعبان ،(الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٦م)،ص٢٤٢.

(١٠) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(١١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧.



والجرز مسيرة سنة! هذا الأمر منافي للعقل؟ علمًا أن هذه الممالك متصلة مع بعضها البعض والمسافة من الهند إلى الصين عبر البحر لا يتجاوز أربعة أشهر قمري على حسب ما ذكر السيرافي[١]. ويمكننا أن نستنتج أن بن خرداذبة اعتمد على روايات سماعية بذكر هذه المسافة بين تلك الممالك من روايات قد سمعها من رواتها ولم يحقق فيها.

ج- مملكة المابد:

وردت هذه المملكة بصيغة (المابد) [٢]، وفي المصادر الأخرى وردت بصيغة (المايد) [٣]، وهذه المملكة مجاورة لبلاد الصين، وملوك المابد مدائنهم كثيرة، وهم إلى حين الموجة[٤]، وأكثر من الموجة طولًا وأوسع عرضًا وأخصب أرضًا، غير إن المابد أشبه بالصين منهم، ولهم خدم وخصيان مثل الصين عمال عليهم، وهم مصالحون لصاحب الصين وهم يراسلون ملك الصين ويهادونه، وللمابد البأس العظيم والبطش الشديد والقوة، وإذا دخلت رُسل المابد بلاد الصين حفظوا (أي لم يتركوهم ينتشرون في بلادهم) [٥] مخافة العبث في بلادهم لكثرتهم[٦]. لكبرة المابد

---

(١) رحلة السيرافي، ص١٥-٣٠.

(٢) رحلة السيرافي، ص٣٧.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٢٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٤.

(٤) **الموجة:** جزيرة من جزر الهند وأهلها قوم بيض يشبهون الصين في اللباس، ولهم مسك كثير، وفي بلادهم جبال بيض ليس شيء أطول منها وهم يقاتلون ملوكًا كثيرة حولهم، والمسك الذي يكون في بلادهم جيد بالغ، وسميت هذه الجزيرة السحاب ربما طلع من ناحيتها سحاب أبيض يضل المراكب فيخرج منها لسان طويل مع ريح عاصفة. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٧؛ المغربي، الجغرافيا، ص٧٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٨٩-٩٠.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٤.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥١٩.

في نفوسهم، وبهذه الجزيرة تجتمع مراكب الصينيين الخارجة من جزر الصين وإليها تقلع وتحط، ومنها تخرج إلى سائر النواحي(١).

أما عن موقع هذه الجزيرة، فهي في الشرق إلى جزيرة صنجي ومسيرة ثلاثة أيام من جزيرة خفاق(٢). وليس ما بين المابد وبين الصين إلا جبال وعقاب(٣). فضلًاعن ملوك المابد هناك ملك الكاشبين وهم قوم بيض مخرموا الآذان، ولهم جمال، وهم أصحاب بدو وجبال. وملك الكاشبين هذا ليس له بحر، على عكس ملك القيرنج الذي يقع على البحر ولكنه ملك فقير يقع إليه العنبر الكثير، وله أنياب فيلة وعنده فلفل يؤكل رطبًا لقلتهِ(٤)، علمًا إن ملك الكاشبين والقيرنج لم أجد لهما ترجمة في المصادر الأخرى، وتعد من الروايات المنفردة التي جاد بها السيرافي عن تلك الممالك.

ح- **مملكة قمّار**:

وهي إحدى ممالك الهند ويجلب منها العود القماري، وهذه المملكة ليست بجزيرة بل هي على ما يلي أرض العرب وليس في شيء من الممالك أكثر عددًا من أهل قمار، وهم رحالة، وهذه المملكة مجاورة لمملكة المهراج والجزيرة المعروفة بالزابج، وبينهما مسافة عشرة أيام إلى عشرين يومًا عرضًا في البحر إذا كانت الريح متوسطة(٥). أما المسافة من قمار إلى الصنف على الساحل مسيرة ثلاثة أيام(٦).

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٧-٣٨؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨٩؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥١٩.

(٢) **جزيرة الخفاق:** جزيرة عامرة فيها خصب ومياه عذبة وأهلها ألوانهم بين البياض والسمرة يحملون في آذانهم أقراط النحاس، للرجال قرط واحد وللمرأة قرطان، وأكلهم الأرز، وفي بلادهم معدن الذهب. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٠.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٩٠.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٧.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٨؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٦٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٦.

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨.

ومملكة قمار ليس بكبيرة كسائر ممالك الهند إلا أن ملكها عظيم القدر مظفر، والفيلة عندهُ كثيرة وعطيتهُ للعرب أنياب الفيل(١). أما عن مواكب ملوك الهند، إذ أن مواكبهم تحمل على عنق رجل منهم (هنا يقصد به المحمل الذي يحمل عليه الملك)، وعليه فوطة قد استتر بها وفي يده شيء يعرف بالجترة (المظلة) وهي مظلة من ريش الطواويس يأخذها بيده، فيتقي بها الشمس وأصحابه محدقون به(٢).

أما ملوكهم، فيخصص لموكبه ستة عشر فيلًا، ويركب السلطان فيلًا فيها، وبين يديه خدمه ومماليكه، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر، ويرتدي مماليكه فاخر الثياب، ويمشون بين يديه. كما يركب قاضي القضاء وسائر القُضاة وكبار الأعزة من الخراسانيين والعراقيين ... كل واحدٍ منهم على فيل، والمؤذنون يركبون الفيلة، ويخرج السلطان من باب القصر، والعساكر تنتظره، ثم يركب والأعلام والطُبُول خلفه وأهله وإخوته كلٌ بمراتبه وعساكره وكل من يركب في هذا اليوم يكون مدرعًا هو وفرسه(٣).

خ- دار مدينة الزايج (المهراج):

مدينة أقصى بلاد الهند وراء نهر هركند، وهي مدينة تحاذي بلاد الصين وبينهما مسيرة شهر في البحر وأقل من ذلك(٤). والزايج دار مملكة المهراج وهو ملك الجزر(٥). وملك الزايج يسمى فيهم (الفنجب) وهو اسم متوارث(٦)، علماً أن في

(١) المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، ص٣٥.

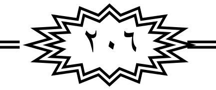
(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٣؛ ابن حوقل، صورة الرض، ص٢٧٧.

(٣) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ص٤٥٧؛ الفقي، **بلاد الهند في العصر الاسلامي منذ الاسلام وحتى الغزو التيموري**، ص٢٣٣.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٤.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٦.

(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٦٥.



المصادر الأخرى ذكر أن (المهراج) سمة لكل ملك من ملوكها[1].

وهذا الملك مملك على جزر كثيرة يكون قدر ملكه ألف فرسخ وأكثر، ومن تلك الجزر جزيرة تُعرف بالسريرة (سومطرة)، وأخرى تدعى بالرامي، ثم جزيرة كلة، وغيرها من الممالك ما يتسع ويطول شرحه. والواقع أن أمر المهراج نافذ في هذه الجزر، وجزيرته التي هو بها في غاية الخصب، وعمارتها منتظمة، وذكر من يوثق بقوله: أن الديكة إذا غردت في الأسحار تجاوبت إلى مائة فرسخ وما فوقها يجاوب بعضها بعضًا لاتصال القرى وانتظامها، علمًا أن ملكه لا مفاوز فيها ولا خراب، وإن المتنقل في بلادهم إذا سافر وركب الظهر سار إذا شاء، فإذا مل الطريق وكل الظهر، ونزل إذ شاء[2]. وقيل أن ملكه يوازي ملك الصين[3].

ومن الهند وجزر الزايج تحمل المراكب التجارية بالمتعة والجهاز الواردة من البصرة وسيراف وعُمان وصولًا إلى مدينة خانفوا [4].

وذكر السيرافي أن قصر المهراج على **ثلاج**[5]، أما الحميري[6] يذكر رواية على خلاف ذلك، بقوله: أن دار ملك الزايج في ملجمان، وهي مدينة من مدائن الهند ويتبين من ذلك أن ملك الزايج قد نقل مركز حكمه في زمن الحميري إلى مدينة أخرى.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٦؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٧٩.

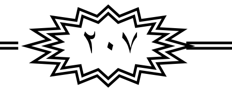
(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٦-٦٧.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٨. وللمزيد راجع: إبراهيم، سفيان ياسين، **بلاد المهراج في العصر العباسي جزيرة جاوة أُنموذجًا**، بحث منشور في مجلة علوم الانسان والمجتمع، المجلد ١٠، العدد ٢، لسنة ٢٠٢١م، ص٣٢٧-٣٣٨.

(٥) **الثلاج:** نهر كدجلة في مدينة السلام. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٧.

(٦) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٦٤.



وملك المهراج يشتغل بحرب الزنج الذين هم في حدود الواق واق، لأن بلاد الزابج متصلة ببادية الزنوج الواقواقية وعرض الباديتين خمسة أشهر[١] وبلاد الزنج واسعة وكل ما ينبت فيها من الذرة هو أقواتهم وقصب السكر وسائر الشعير.

ومن عادات ملوك الهند أن يغزو بعضهم بعضًا، كما لهم ملوك يعرفون بالمخرمين قد خُرِّمت أُنوفهم ووضع فيها حلق، ورُكّب في الحلق سلاسل، فإذا كانت الحرب تقدموا، وقد أخذ بطرف كل سلسلة رجل يجذبها ويصده عن التقدم حتى تسفر السفراء بينهم؛ فإذا وقع الصلح وإلا شدت تلك السلاسل في أعناقهم وتركوا الحرب فلم تقم لهم قائمة[٢].

ومن قاعدة المهراج في خزن الذهب إنه في كل يوم دخل قهرمان الملك ومعه لبنة قد سبكها من ذهب فيها أمنا " جمع من مال "، قد خفي عني مبلغها فيطرحها بين يدي الملك في غدير يغلب عليه ماء البحر بالمد وينضب عنه الماء العذب بالجزر، فلا يزال يطرح في كل يوم في ذلك الغدير لبنة من ذهب ما عاش ذلك الملك من الزمان لا يمس شيء منه، فإذا مات الملك أخرجها القائم من بعده كلها فلم يدع منها شيئًا، وأُحصيت ثم إذيبت وفرقت على أهل بيت المملكة[٣].

وعليه انطلاقًا مما سبق أن مدينة الزابج وملكهم المهراج كان له من القوة ما يجعله يغزو المدن والجزر المجاورة له " ولا نعرف ملكًا أكثر خيرًا منه ولا أقوى عدَّة وجيشًا "[٤]. وعليه يذكر لنا أبو زيد السيرافي[٥] رواية عن غزو ملك المهراج لجزيرة القمار وملخص الرواية، بقوله: " روي أن الملك جلس يومًا في قصره وهو مشرف على وادٍ يجري بالماء العذب كـ (دجلة) العراق وبين قصره والبحر مسيرة يوم، ووزيره بين يديه، وقد جرى ذكر مملكة المهراج وجلالتها وكثرة عمارتها ما تحت يده من

---

(١) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٦٤.
(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٧.
(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٧-٦٨.
(٤) المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، ص٣٨.
(٥) رحلة السيرافي، ص٦٩.

الجزر، وقال ملك القمار لوزيره في نفسي شهوة كنتُ أُحب بلوغها، فقال له الوزير وكان له ناصحًا: ما هي أيها الملك؟ قال: كنتُ أُحب أن ارى رأس المهراج ملك الزايج في طست بين يديّ، فعلم الوزير أن الحسد أثار هذا الفكر في نفسه، فقال الوزير للملك: أيها الملك ما كنتُ أحبُ أن يحدث الملك نفسه بمثل هذا، إذ لم يجرِ بيننا وبين هؤلاء القوم لا في فعل حديثٍ تره (أي أقاويل باطلة)، ولا رأينا منهم شرًا، وهم في جزيرة نائية غير مجاورة لنا في أرضنا، ولا طامعين في مُلكنا، وليس ينبغي أن يقف على هذا الكلام أحدٌ ولا يُعيد الملك فيه قولًا، فغضب الملك ولم يسمع من الناصح[١].

وأذاع الملك ذلك لقواده ومن كان يحضره من وجوه أصحابه، فتناقلته الألسن حتى شاع واتصل بالمهراج كان محنكًا، وقد بلغ في السن مبلغًا متوسطًا، فدعى ملك المهراج وزيره وأخبرهُ بها، لذا أعد المهراج له ألف مركب من أواسط المراكب بآلاتها مع جملة من الرجال الشجعان المسلمين، وأظهر إنه يريد التنزه في الجزر التي في مملكته، وكتب إلى الملوك الذين في هذه الجزر وهم في طاعته، أنه عزم من زيارتهم والتنزه بجزرهم حتى شاع ذلك، واستتب أمرهُ وانتظم من دخل في المراكب، وعبر بها الجيش إلى مملكة القمار، فلم يشعر به الأخير حتى هجم جيش المهراج على دار ملك القمار، ثم أمر ملك المهراج بالنداء بالأمان، وقعدوا على السرير الذي يجلس عليه ملك القمار، وقد أخذه أسيرًا وأحضروا وزيره، فقال لملك القمار: ما حملك على تمني ما ليس في وسعك ولا لك فيه حظ، فلم يُحر جوابًا، ثم قال له المهراج: أما إنك لو تمنيت مما تمنيته من النظر إلى رأسي في طستٍ بين يديك إباحة أرضي وملكها أو الفساد في شيء منها لاستعملت ذلك كله فيك، فأنا فاعله بك وراجع إلى بلدي من غير أن أمد يدًا إلى شيء من بلادك، ثم ضرب عنقه.

ثم أقبل على وزيره، فقاله له: جزيت خيرًا من وزير، لما أشرت على صاحبك بالرأي لو قبل منك[٢]، فانظر من يصلح للمُلك من بعد هذا الجاهل، فأقامه مقامه

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٩؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧١.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧١.

وانصرف في ساعته راجعًا إلى بلاده، وقعد على سريره وأشرف على غديره ووضع الطست بين يديه وفيها رأس ملك القمار، وحدث وجوه مملكته بقصة ملك القمار والذي حمله على ما أقدم عليه، ثم أمر بالرأس فغُسل وطُيّب ورده إلى الملك الذي قام بالأمر ببلاد القمار من بعد المقتول.

وكتب إليه: إن الذي حملني على ما فعلناه بصاحبك بغيه علينا وتأديبنا لأمثاله، وقد بلغنا منه ما أراده بنا، ورأينا رد الرأس إليك لأدرك لنا في حبسه ولا فخر بما ظفرنا به منه.

واتصل الخبر بملوك الهند والصين فعظم المهراج في أعينهم وصارت ملوك القمار من بعد ذلك كلما أصبحت حولت وجوهها نحو بلاد الزايج فسجدت وكفرت للمهراج تعظيمًا "[١].

وذكر السيرافي نقلاً عن سليمان التاجر[٢]: إذا غلب ملك على مملكةٍ في الهند ولى عليها رجلًا من أهل بيت الملك المغلوب، ويكون من تحت يده لا يرضى أهل تلك المملكة إلا بذلك، ونجد هذا القانون لم يبقَ سائرًا في تلك الأقوام حتى زمن أبو زيد السيرافي إذ ذكر إن الملك المهراج نصب وزير ملك القمار ملكًا على المملكة بعد مقتل ملكهم[٣]؛ وذلك لأن ذلك الوزير كان ذو رأي صائب وصاحب مشورة.

٢- مُدن بلاد الصين:

ذكر في العديد من المصادر أن بلاد الهند أوسع من بلاد الصين أضعافًا، إلا أن بلاد الصين أعمر[٤] وأنزه وأحسن، ومدنهم عظيمة مشرقة محطة ومسورة، وبلادهم

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧١.

(٢) رحلة السيرافي، ص٤٨.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧١.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥١ح ابن الفقيه، الأعلاق النفيسة، ص١٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٩٧.

أصح وأقل أمراضًا لا تكاد ترى لها أعور ولا أعمى ولا ذا عاهة(١).

وحريًا بنا التطرق لموضوع ألا وهو أن المصادر الإسلامية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وصفت بلاد الصين وأحوال مدنها من جميع الجوانب السياسية، والدينية، والإجتماعية، والملاحظ أن المدن الساحلية الجنوبية كانت من الأماكن التي تَرددَ عليهًا كثيًرا من تجار العرب والفرس على حدٍ سواء.

ويذكر بن خرداذبة(٢) : " وللصين ثلثمائة مدينة عامرة كلها منها تسعون مشهورة "، ويلاحظ إنه لا يذكر إلا أربعة منها، وهي: لوقين، وخانفوا، وخانجوا، وقانصو، وهي في مُجملها ساحلية جنوبية كما يشير إن لكل مرفئ نهر عظيم تدخله السفن ويتعرض للمد والجزر (٣).

وعليه إن للصين في كل موضع لهم مدينة محصنة عظيمة(٤)، وينقادون لملك واحد وليس لهم ولاّة عهود من بعدهم(٥). أي نظام الحكم لم يكن وراثًيا كما في الهند.

ويقع تحت يد ملك الصين أكثر من مائتي مدينة من أُمهات المدن، ولكن تتميز المدن الكبرى فيها على غيرها باحتواء كل باب من أبوابها على " جادم "، وهو مثل البوق طوله ثلاثة أو اربعة أذرع ينفخ فيه في أوقات محدودة من الليل أو النهار ليعرف بها الوقت ويسمع صوت الجادم على بُعد ميل من المدينة(٦). فضلًا عن الجادم يوضع عند كل باب من أبواب المدينة عشرة طبول تضرب معه، وإنما يفعل ذلك لتعلم طاعتهم للملك ولكي يعرفون أوقات الليل والنهار، ولهم علاماتٍ ووزن للساعات(٧).

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥١؛ ابن الفقيه، العلاق النفيسة، ص١٥؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٥.

(٢) المسالك والممالك، ص٦٩.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٩-٧٠.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥١؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٨.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٨؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٣.

ورغم أن مملكة الصين واسعة الرقعة كثيرة المدن والأمصار[١]، إلا أنها يحكمها الملك الأكبر وتحت يده ملوك يحكمون المدن الأخرى، وربما جار الملك الذي من تحت يد الملك الأكبر فيذبحوه ويأكلونه وكل من قتل بالسيف أكل الصينيون لحمه[٢]. وهذه من الروايات الغريبة التي جاء بها السيرافي في هذا المعنى.

ومن هذه المدن الكبرى التي أشار إليها السيرافي هي مدينة خانفوا وهي مرسى السفن وتحتها عشرون مدينة وانما تسمى مدينة إذا كان لها جادم[٣]. ويحكم هذه المدينة حاكم يعين من قبل الملك ويساعده خصي، وهو الموظف القائم بشؤون الإدارة[٤].

ومن سُنتهم أن مدنهم منظمة ومقسمة إلى قسمين وتشقها أنهار كبيرة أكبر من تلك الموجودة في البلاد الاسلامية كدجلة والفرات[٥]، فيكون الملك وأهل بيته وعماله وحشمه في قسم واحد والعامة والرعية وأسواقهم في النصف الآخر لا يدخل أحد منهم إلى ناحية الملك[٦]، ويذكر إن كل أرض الصين منسوبة إلى صاحب الصين المقيم بخمدان[٧].

ويذكر أبو زيد السيرافي[٨]: ومدينة خمدان مقر الملك مقسوم على قسمين يفصل بينهما شارع طويل وعريض، فالملك ووزراءه وجنوده وقاضي القُضاة وخصيان الملك وجميع أسبابهُ في الشق الأيمن منه وما يلي المشرق لا يخالطهم أحدٌ من العامة ولا فيه شيء من الأسواق بأنهار في سككهم مطردة، وأشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة، وفي الشق الأيسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة والأسواق[٩].

---

(١) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٨.

(٣) السيرافي، رحلة السرافي، ص٣٨.

(٤) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٥.

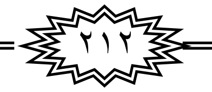
(٥) المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٥.

(٦) الأصطخري، المسالك والممالك، ص٩.

(٧) رحلة السيرافي، ص٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص١١٣.

(٨) رحلة السيرافي، ص٦٤.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣.



وحوالي خمدان التي هي مدينة الملك الملقب **بفغفور**(١) مائة وعشرون قرية، في كل قرية زُهاء ألف رجل، وللمدينة أربعة أبواب، وإذا ركب الملك ركب معه ثلاثون ألف فارس، ويقال أن لملك الصين ثلثمائة وستون مدينة يُحمل إليه كل يوم من كل مدينة خراجها للباسه، ولكل جارية من جواريه(٢).

وفي قصر الملك بخمدان ثلاثمائة وثمانون كوسًا منكسة، فإذا كان قبيل المغرب مع غروب الشمس قُرع بها قرعة واحدة، فيتبادر الناس للانصراف إلى منازلهم، فلا يبقى أحد خارجًا عن داره حتى يخترق عسكر الملك السكك والطرق بسيوف منتضلة، فمن وجدوه خارجًا عن داره ضرب عنقه كائنًا من كان واحتز رأسه وألقى في موضع قد أعد لذلك وكتب على ظهر المقتول: من رأى هذا فلا يتعدى أمر الملك.

وسكك هذه المدينة مظللة بخشب الساج، وتكنس في كل يوم ثلاث مرات، ودورهم واسعة مبخرة المجالس كثيرة التمائيل(٣). وعليه إن لكل موضع من الصين مدينة محصنة عظيمة(٤)، والصين كلها عمارة(٥).

وذكرت المصادر إحدى تلك المدن المحصنة، بقوله: و**مدينة سندابل**(٦) بها ستون شارعًا منها إلى دار الملك، ثم سرنا إلى باب من أبوابها فوجدنا ارتفاع سورها تسعون ذراعًا وعرضه تسعين ذراعًا وعلى رأس السور النهر العظيم يتفرق إلى ستين جزًء كل جزء منها ينزل على باب من الأبواب تتلقاه رحى تصبه إلى ما دونها، ثم

---

(١) **الملك فغفور:** تفسير بغبور (فغفور) ابن السماء، أي انما أنزل من السماء فولينا، والعرب تسميه المغبون، مكان تسميه أولئك ببغور، وربما تقارب اللفظان، أي المغبون في دينه. البكري، المسالك والممالك، ص١٩٥.

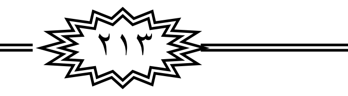
(٢) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٤.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ص١٩٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥١؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥١.

(٦) **مدينة سندابل:** وهي قصبة الصين وبها دار المملكة وهي مدينة عظيمة، وبها بيوت عبادة عظيم، يقال أنه أكبر من مسجد بيت المقدس وفيه تماثيل وصور وأصنام البد. أبو دلف، الرسالة الأولى، ص٥٥؛ الكيلاني، جمال الدين فالح، **الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي "دراسة في مصادر التاريخ الاسلامي الوسيط"**، (دار الزنبقة للطباعة، القاهرة،٢٠١٤م)، ص٨٥.



إلى غيرها ثم يصير إلى الأرض ثم يخرج نصفه تحت السور فيسقي البساتين، ويرجع نصفه إلى المدينة فيسقي أهل ذلك الشارع إلى دار الملك، ثم يخرج في الشارع الآخر إلى ذلك البلد[١].

وللملك في الصين له حصن منفرد، وصاحب شرطته خادم، وصاحب خراجه خادم، وصاحب حرسه خادم، وصاحب أخباره خادم، وأكثر أعوانه الخدم[٢]. وأضاف السيرافي معلومات هامة حول الخصى (الخادم)، وذكر إنهم مجموعة من الموظفين المسؤلين عن جمع الخراج، أما أصولهم فمنهم من سُبي في الحروب ومنهم من دفع بهم أولياء أمورهم من أهل الصين[٣] لخدمة الملك وتقربًا منه، ويعرفون بين الصينيين بمراكبهم الخاصة التي يتقدمونها.

ولا مجال للشك إن هؤلاء الموظفين (الخصي، الخادم) يتميزون بمنزلة مرموقة في الدولة تؤهلهم في سنن ركوب هؤلاء الخدم وملوك سائر المدن، إذ تتشابه مواكبهم إذا ركبوا: أن يتقدمهم رجال بخشب تشبه النواقيس يضربون بها، فيسمع من بُعد فلا يقف أحد من الرعية في شيء من ذلك الطريق الذي يريد الخادم أو الملك أن يمر فيه، ومن كان على باب دارٍ دخلها وأغلق الباب دونه حتى يكون اجتياز الخادم أو الملك المملك على تلك المدينة، وليس في طريقه أحد من العامة ترهيبًا وتجبيرًا ولئلا يكثر نظر العامة أليهم، ولا يمتد لسان أحدهم إلى الكلام معهم[٤].

ومن سننهم أنه إذا أراد خادم من خدام الملك شيئًا ضرب جرس كبير يدخل الناس دورهم، ويخلون له الطرقات لئلا يرونه[٥]. ومن سننهم أيضًا أن أحدهم إذا تظلّم إلى الملك من بعض عماله كشف عن أمره، فإن كان صادقًا أنصفه وكاتب

---

(١) الرسالة الأولى، ص٥٤-٥٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٤.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٢٧؛ المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٥.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٩.

(٥) المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥.

ظالمه وإن كان كاذًبا ضرب بالخشبة ضربًا شديُدا لأجترائه على عمال الملك بالكذب[١].

وإن عطاء ملوك الصين كعطاء العرب[٢]، والأرزاق لكل ملك من بيت مال مدينته[٣]. وعدد ملوك الصين مقارنة بملوك الهند فهم أقل " وبلاد الهند أوسع من بلاد الصين وعدد ملوكهم أكثر "[٤]. وللصين رسوم إذا مات ملكهم[٥]، إذ يقوم الملك الأكبر بتعيين ملك جديد على المدينة لأن نظام الحكم لم يكن وراثيًا في الصين[٦].

وتجدر الاشارة إلى أن أسماء ملوكهم على قدر الجاه وكبر المدائن، فمن كان من مدينة صغيرة يسمى ملكها طوسنج ومعنى طوسنج أقام المدينة (حاكم المدينة)، أما الخصى يدعى (طوقام) [٧].

وملك خانفوا تحت يد ملك الصين وإليه أمر الجيش والقتال ورسمهم أن يأخذوا من التجار الذين يردون هذه المدينة من جميع ما معهم من كل عشرة ثلثهُ ويكون النصف منه لصاحب الجيش، والنصف ينفذ إلى ملك الصين[٨].

والملوك الصغار إذا قعد أحدهم يقعد في مدينته على كرسي في بهو عظيم[٩]. وأما الملك الأكبر فيذكر بن بطوطة إن القان عندهم سمة لكل من يلي ملك الأقطار، وليس للكفار على وجه الأرض مملكة أعظم من مملكته، وقصره في وسط

(١) المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥١.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤١.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٥) أبو دلف، الرسالة الأولى، ص٦٧.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤١.

(٨) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٠-١١؛ وللمزيد راجع : علاوي، قاسم عمر، **مدينة خانفوا في العصور الوسطى**، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، العدد ٨٠، لسنة ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

(٩) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤١.

المدينة المختصة بسكناه، وأكثر عمارته بالخشب المنقوش، وله ترتيب عجيب وعليه سبعة أبواب، فالباب الأول منها يجلس به الكاتوال، وهو أمير البوابين، وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره وهم حفاظ باب القصر وعددهم خمسمائة رجل، والثاني يجلس عليه الرماة وعددهم خمسمائة رجل، والثالث يجلس عليه أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة، والرابع يجلس عليه أصحاب السيوف والترسة، والخامس منه الوزارة، وبه سقائف كثيرة، فالسقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة عالية ويسمون ذلك الموضع بالمسند، والسادس يجلس عليه أميرهم الأعظم، والسابع يجلس عليه الفتيان(١).

أما عن مكاتبات ملوك الصين لأمصارهم وخصيانهم فيكون على بغال البريد مجهزة الأذناب على سبيل بغال البريد عندنا على سكك معروفة(٢).

ويذكر أن هناك جماعة قد سافروا إلى الصين حتى وصلوا (مقام الباب)، وهو بلد في الرمل تكون فيه حجية الملك، وهو ملك الصين ومنه يستأذن لمن يريد دخول بلد الصين من القبائل الترك وغيرها، فسرنا فيه ثلاثة أيام في ضيافة الملك ويغير لنا عند كل فرسخ مركوب، ثم انتهينا إلى وادي المقام فاستوذن لنا منه وتقدمنا الرسل، فإن لنا إلى الوادي العام المقام وهو أنزه بلاد الله وأحسنها(٣). كما ذكر بن وهب القريشي بعد أن قابل ملك الصين وإكرامه فأمر له بجائزة، وحمله على بغال البريد إلى مدينة خانفوا(٤). وعليه أن مكاتبات الصين ويريدهم كان على بغال كما في سكك البريد عند العرب. وارزاق كل ملك من ملوك الصين من بيت مال المدينة، وأما الملك الأكبر فلا يرى إلا في كل عشرة أشهر، وتبريره لهذا العمل، يقول: إذا رآني

(١) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٦٥٦.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٧.

(٣) ابو دلف، الرسالة الأولى، ص٥٣-٥٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي ص٦٠-٦١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١-١٢؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٤-١٩٥؛ أبي دلف، الرسالة الأولى، ص٥٦.

الناس استخفوا، وإن الرئاسات لا تقوم إلا بالتجبر؛ وذلك إن العامة لا تعرف العدل فينبغي أن يستعمل معهم التجبر للتعظيم عندهم[1].

٣- حكم القضاء عند ملوك الصين:

يذكر أن ملوك الصين سياسة شرعية وفرائض عقلية وجعلوها رباطًا،إذ أن بعض أحكامهم استحلت المناكح[2]. وقد يجلس الملك بنفسه للقضاء، وأحيانًا يترك الأمر لقاضي القضاة " ويقال له لقشى ما مكون (صامكون شي) ونحو هذا من الأسماء مما لا نضبطه "[3].

والملوك الصغار إذا قعد أحدهم يقعد في مدينة على كرسي في بهو عظيم، وبين يديه كرسي وترتفع إليه الكتب التي فيها أحكام الناس ومن وراء الملك رجل قائم يدعى لينجون إذا زل الملك في شيء مما يأمر به وأخطأ رده، وليس يعبئون بالكلام مما يرفع إليهم دون أن يكتبه في كتابات وقبل أن يدخل صاحب القصة على الملك ينظر في كتابه رجل قائم بباب الدار ينظر في كتاب الناس، فإن كان فيها خطأ رده فليس يكتب إلى الملك إلا كاتب يعرف الحكم ويكتب الكتاب في الكتاب: كتبه فلان بن فُلان، فإن كان فيه خطأ رجع إلى الكاتب اللوم فيضرب بالخشب، وليس يعقد الملك للحكم حتى يأكل ويشرب لئلا يغلط[4]. وهذه الرواية دليل على اهتمام ملوك الصين بالقراءة والكتابة والحث عليها.

وفي كل مدينة شيء يدعى (الدارا) وهو جرس على رأس ملك تلك المدينة مربوط بخيط مادٍ على ظهر الطريق للعامة كافة، وبين الملك وبينه نحو من فرسخ، فإذا حُرك الخيط الممدود أدنى حركة تحرك الجرس، فمن كانت له ظلامة حرك هذا

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤١.

(٢) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤١.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤١.

الخيط فيتحرك الجرس منه على رأس الملك فيؤذن له بالدخول حتى ينهي حاله بنفسه، ويشرح ظلامته، وجميع البلاد فيها مثل ذلك(١).

ويبدو أن هذه العادة المتبعة لملوك الصين في العدالة ووصول مظالم الناس إليهم هي شبيهة بعادات ملوك الفرس، وخاصة الملك **كسرى أنوشروان**(٢) وسلسلة العدالة وحكايته مع الحمار الهرم الذي تركه صاحبه بعد كبره في السن، واقتصاص كسرى من صاحبه، وأمره أن يوفر له المأوى والعلف حفاظًا على حياته(٣).

ويقال أن الملك يجلس في صحن قصره مجلسًا قد اتقن بنيانه وأحكم سمكه وأبدعت محاسنه، وله فيه كرسي ذهب يجلس فيه وزراءه حوله في كل جمعة مرتين، وعلى أعلى رأسه ذلك الجرس المعلق تمتد منه سلسلة ذهب إلى خارج القصر مهندمة الوضع ويتصل طرف السلسلة إلى أسفل القصر، فإذا جاء المظلوم بكتاب مظلمته جاء إلى طرف السلسلة فاجتذبها فيتحرك الجرس(٤)، فيخرج وزير الملك يده من الطاق وذلك علامة يفهم بها أنه يقول له اصعد عليها فيصعد المظلوم هناك إلى المجلس على درج مختص بصعود المظلومين عليه حتى يقف بين يدي الملك، فيسجد المظلوم ثم يقف فيمد الملك يده إلى المظلوم يأخذ الكتاب منه وينظر فيه ثم يدفعه إلى وزرائه ويحكم له بما يجب الحكم فيه بما يقتضيه مذهبه وشرعه من غير

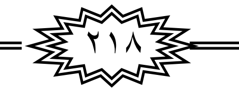
---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٢-٤٣؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٤.

(٢) **كسرى أنوشروان:** وهو بن قُباذ بن فيروز بن بهرام، ولد في أردستان وهي إحدى كور نيسابور، فاستقبل الملك بجد وسياسة وحزم، ونظر في سيرة أردشير، كما بحث في سياسات الأمم فاختار مارضيه، وقد تبنى العديد من الجسور والسدود وازدهرت في عهده الفنون والعلوم في بلاد فارس. ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص١٠٨؛ العابد، مفيد رائف محمود، **معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الأكاسرة ٢٢٦-٦٥١م)**، (دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٦٢.

(٣) نظام الملك الطوسي، **سياسته نامة**، ص٧٧.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٢-٤٣؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١؛ وللمزيد راجع : عواودة، مروة وسلمى بن حمدي، **صورة الصين والهند والسند في المدونات الجغرافية الاسلامية (٣-٩هـ/٩-١٥م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجمهورية الجزائرية، جامعة قالمة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، ٢٠١٩-٢٠٢٠م .



تسويف ولا تطويل ولا وساطة وزير ولا صاحب، ومع ذلك فإنه مجتهد في دينه مقيم لشريعته دينه محافظ كثير الصدقة على الضعفاء[١].

وفي نفس الصدد جاء لنا السيرافي على نص خبر التاجر الخراساني مع خصي الملك، فخرج إلى السلسلة (أي الجرس) وسبيل من حركها على الملك الكبير[٢].

ومن سنتهم إذا تظلم أحدهم إلى الملك من بعض عماله كشف عن أمره، فإن كان صادقًا أنصفه وكاتب ظالمه، وإن كان كاذبًا ضرب بالخشبة ضربًا شديدًا لاجترائه على عمال الملك بالكذب[٣].

أما قاضي القضاة الملقب عندهم (لقشي مامكون) [٤]، " ومن عجيب تدابيرهم في قديم الأيام دون هذا الوقت أمر الأحكام وجلالها في صدورهم، واختيارهم لها من لا يخالج قلوبهم الشك في علمة بشرائعهم وصدق لهجته وقيامه بالحق في كل أحواله وتجنبه الأغماض عمن جل مقداره حتى يقع الحق موقعه، ويكون عفيفًا عن أموال أهل الضعف ومن يجري على يده، فإذا عزموا على تقليد قاضي القضاة أنفذوه قبل تقليده إلى جميع البلدان التي هي أعمدة بلادهم، حتى يقيم في كل بلدٍ شهرًا أو شهرين فيبحث عن أمر أهله وأخبارهم ورسومهم ويعلم من يجب قبول قوله منهم معرفة يستغني بها عن المسألة، فإذا سُلك به هذه الأمصار، ولم يبقَ في المملكة بلد جليل إلا وطيهُ، رحل إلى دار المملكة وولى قضاء القضاة وجعل إليه اختيارهم فيليهم، وعمله بجميع المملكة ومن يجب أن يقلد في كل بلد من أهله أو غيرهم علم من سيستغني بعمله عن الرجوع إلى من لعله أن يميل فيه أو يقول بغير حق فيما يسأل عنه، ولا يتهيأ لأحدٍ من قضاته أن يكاتبه بشيء قد علم خلافه أو يزيله عن جهته "[٥].

---

(١) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١.

(٢) جاء نص هذه الرواية بشكل مفصل في الفصل الثاني. ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٢.

(٣) المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥.

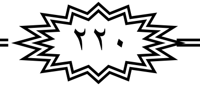
(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤١.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٤.

ويلاحظ أن لقاضي القضاة منادٍ في كل يوم ينادي على بابه، فيقول: هل من متظلمٍ على الملك المستور عن عيون رعيته، ام من أحدٍ من أسبابه وقاده وسائر رعيته فإني أتوب في ذلك عنه لما بسط يدي وقلدني، يقول ذلك ثلاثًا، لأن الملك في عقدهم أن الملك لا يزول عن موضعه حتى تنفذ الكتب دواوين الملوك بالجور، المصرح، وأن يهمل أمر الحكم والحكام، وأنه متى تحفظ من هذين الأمرين، فلم تنفذ الكتب من الدواوين إلا بالعدل، ولم يلِ الحكم إلا من يقوم بالحق فالملك منتظم[١].

وانطلاقًا مما سلف يؤكد لنا أن ملوك الصين قد جلسوا مجلس الحق لتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع الصيني فضلًاعن جميع الطوائف الموجودة تحت ظلال حكمهم وتحقيق العدالة لهم إن كان الظالم من رجال الدولة والمقربين من الملك.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٤-٧٥.



المبحث الثاني

المعتقدات الدينية السائدة في بلاد الهند والصين

١- المعتقدات الدينية السائدة في بلاد الهند:

تنوعت المذاهب والطوائف الدينية في بلاد الهند، وقد أشار أبو زيد السيرافي إلى عدد منها، وهي كالتالي:

أ- الديانة البراهمية:

الديانة البراهمية أو (البراهمن)، وهم الفئة المتعبدة في بلاد الهند، وهم أهل العلم والدراية فيها[١]. وتحتل طائفة البراهمة أول طبقات المجتمع في بلاد الهند، ومن بعدها طائفة المقاتلة (الأكشترية)، وطائفة الويشية (التجار)، وطائفة الشـــــوَّدرا (الـــزُّراع) [٢].

وعليه إن فئة البراهمة تأتي في أعلى قمة الهرم المجتمعي وهم العلماء الذين يمثلون السلطة الدينية. أما ملكهم الأعظم هو برهمن وهو امام الهنود، ومؤسس لمملكة قوية تعتد بالعلم والحكمة والقوة العسكرية، ويذكر إن فترة حكمه امتدت إلى ثلاثمائة سنة وستة وستين، وتوارث أبناءه حكم الهند من بعده وعرفوا بالبراهمة إلى وقتنا هذا والهند تعظمهم[٣].

وقد صاغ البراهمة قوانين وتقاليد خاصة بهم، ويدخلون على تلك التقاليد ما شاءوا من تعديل، ويستمدون نفوذهم من احتكارهم للعلم ولهذه القوانين، كما إنهم يتولون تربية النشئ، وعليه أصبحت البرهمة مذهبًا خاصًا بفئة معينة تحيط نفسها بسياج لا تأذن لأحدٍ من غير أفرادها أن يسهم في العلم به[٤]. ويلاحظ من هذه الأسرة ينحدر كل ملوك الهند المعروفون (بلهر) والذين تسجد لهم كل الفئات الهندية

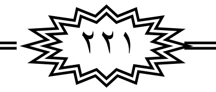
---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٣؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧١،

(٢) غوستاف لوبون، حضارات الهند، ص١٠٠؛ الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، ص٣٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٢؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٨٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٣؛ ول ديورانت، قصة الحضارة،مج١، ج٣، ص١٦٦.



تعظيمًا واجلالًا، بينما لا يسجدون لباقي الفئات، وهم لا يشربون الخمر[١]. وهم سلالة عريقة أثارت جدلًا بين الهنود منهم من ينسبهم إلى جدهم الأكبر (البرهمن) الذي يعتقدون أنه آدم ﴿عليه السلام﴾، ومنهم من يقول أنه مجرد ملك وهذا أشهر حسب رأي المسعودي، ومنهم من وجد سلالة البراهمة هو (براهم) نبي أوحي إليه من السماء ثم عبده الهـــــنود[٢].

ويعتقد إن البراهمة خلقوا من فم براهما[٣] ,وهم بالتالي أول الناس وأفضلهم، ومنهم الكهنة ورجال الدين، وحُماة المعابد يمارسون الطقوس والشعائر عند الولادة والزواج والوفاة، والواحد منهم مقدس ولا يجوز مسه، وكل ما في العالم ملكهم، ولهم الحق في كل شيء، ولهم في مال الطبقات الدُنيا نصيب[٤].

وعليه إرتقى البراهمة فمنهم الشعراء ومنهم المنجمون وفلاسفة وكُهّان[٥]. وإن كلمة البرهمن أو البراهما لها مدلولاتٍ عديدة، إذ أطلقت كلمة (برهمن) على العبادة والصلاة في بداية الأمر، ومن ثم على كهنوت معين، وأخيرًا على سيد الألهة[٦].

ويتميز كهان وعبدة البراهما بأمتيازات لا يرتقي إليها الملك نفسه. وفسر أبو زيد السيرافي ذلك، بقوله: والبراهمة يغشون الملوك وبها السحرة وقوم يظهرون التخايل ويبدعون فيها[٧].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦١.

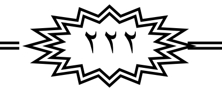
(٣) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٥٦.

(٤) الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، ص٣٨.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٣.

(٦) الندوي، الهند القديمة دياناتها وحضارتها، ص٨٩؛ السقاف، **الدين في الهند والصين وإيران**، ص٣٩.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٣؛ الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، ص٣٢-٣٣.



ويذكر بن بطوطة[١] بعض سحرة الهنود من البراهمة أنهم يُركبون حبوبًا يأكلون الحبة منها لأيام معلومة أو شهر، فلا يحتاج في تلك المدة إلى طعام ولا شراب ويخبرون بأمور مغيبة، والسلطان يعظمهم ويجالسهم.

ويطلق على هؤلاء السحرة الجوكية، وهؤلاء الطائفة تظهر منهم العجائب، منها أن أحدهم يقيم الأشهر لا يأكل ولا يشرب. وعليه إن البراهما عالم النعيم الفكري واللذة الوجدانية والطهر النفسي[٢].

ويذكر السيرافي نوع آخر من السحرة الكهان ويطلق عليهم تسمية (البيكرجين) ، أما بن بطوطة يطلق عليهم (بوكيه)، وهؤلاء الطائفة الذين يذكرهم الأخير لهم طقوس تشبه قوم البيكرجين الوارد ذكرهم عند السيرافي[٣]، بقوله: " وبالهند قوم يعرفون بالبيكرجين، عُراة قد غطت شعورهم ابدانهم وفروجهم، وأظافرهم مستطيلة كالحراب إذ كانت لا تقص إلا ما ينكسر منها، وهم على سبيل السياحة، وفي عنق كل رجل منهم خيط فيه جمجمة من جماجم الإنس، فإذا اشتد به الجوع وقف بباب[٤] بعض الهنود فأسرعوا إليه بالأرز المطبوخ مستبشرين به، فيأكل في تلك الجمجمة، فإذا شبع انصرف فلا يعود لطلب الطعام ألا في وقت حاجته "[٥]. ويأخذ ما بقى بركة له ولأهله[٦].

وفيما يخص البراهمة المقدس، فقد اتفقت أغلب المصادر[٧] إن الصنم المقدس عند البراهمة في مدينة المُلتان، أذ تعد هذه المدينة من آخر مدن الهند مما يلي

---

(١) رحلة بن بطوطة، ص٥٥٤؛ إبراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، ج٢، ص٣٧.

(٢) أبكار السقاف، الدين في الهند والصين وإيران، ص٧٧.

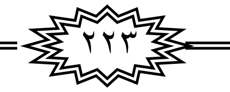
(٣) رحلة السيرافي، ص٨٤؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٤١٥.

(٤) أي باب البد معبد التماثيل المقدسة، ثم يحرك الجرس تحريكًا مخصوصًا فيتبادر إليه من سبق سامعيه يغرف له. إبراهيم، عالم القرون الوسطة في أعين المسلمين، ج٢، ص٣٩-٤٠.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٤؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٤١٥.

(٦) إبراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، ج٢، ص٤٠.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٥؛ أبو دلف، الرسالة الأولى، ص٧٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١ن ص١٢٩؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٠٤؛المروزي، أبواب في=



الصين وأولها مما يلينا أرض السند وهي مدينة عظيمة جليلة القدر عند أهل الهند والصين(١)، لأنها بيت حجهم ودار عبادتهم مثل مكة عند المسلمين وبيت المقدس عند اليهود والنصارى(٢).

وينفرد القزويني(٣) بتحديد البلدة المشهورة التي بنيت فيها بيت هذا الصنم إلا وهي بلدة بسو مناة، وهي بلدة مشهورة في بلاد الهند على ساحل البحر إذ تغلبه أمواجه. وفي هذه البلدة تحديدًا تقع القبة العظمى لبيت حجهم ودار عبادتهم والصنم الأكبر، الذي أطلق عليه صنم (سو مناة) على اسم البلدة(٤).

وارتفاع هذا الصنم في السماء ثلاثمائة ذراع، وطول الصنم في جوفها مائة ذراع، وبين رأس القبة مائة ذراع، وبين رجليه وبين الأرض مائة ذراع معلق في جوفها لأبقائه من أسفله ولا بعلاقة من اعلاه تمسكه(٥). ومن رآه واقفًا في الهواء تعجب مسلمًا كان أو كافرًا(٦).

وأنكر بعض المؤرخين في حجم الصنم المذكور عند البعض، وقال بعضهم هذا هو الكذب الصراح؛ لأن هذا الصنم ذكره **المدائني**(٧) في فتوح الهند والسند، وذكر إن

=الصين والترك والهند، ص٣٦؛ ابن حوقل، صورة الرض، ص٢٧٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٧٧؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٢١.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٥؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٠٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٨٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٧.

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٥.

(٤) المباركفوري، **رجال السند والهند إلى القرن السابع** ، ص٣٢.

(٥) أبو دلف، الرسالة الأولى، ص٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٧.

(٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٥.

(٧) **المدائني:** وهو علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني مولى شمس بن عبد منافن وقيل ولد سنة ١٣٥ هجرية، أما وفاتهُ أذاختلفت الروايات أن وفاتهُ بين سنة(سنة ٢١٥أو ٢٢٥هجرية)، وهو صاحب كتاب فتوح خراسان. ابن النديم، محمد بن إسحاق المعتزلي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م، **الفهرست**، (دار المعرفة، بيروت– لبنان، بلا ت)، ص١٤٧.

طوله عشرون ذراعًـــا[١]. أما ابن النديم[٢] (ت ٤٨٤هـ/٩٩٤م)، يذكر إن طول الصنم سبعة أذرع.

ومن طقوسهم لهذا الصنم أنهم يحملون إليه العود الهندي القامروني من بلاد القمار، وهذا البلد الذي يكون فيه فاخر العود، وياتي به إلى هذا الصنم فيدفعه إلى السدنة لبخور الصنم وقيمة البخور مائتي دينار[٣].

كما أشار أبو زيد نقلًا عن سليمان التاجر[٤]، عن طقوس عبادتهم، لقوله: " وببلاد الهند من ينسب إلى السياحة في الغياض والجبال وقل ما يعاشر الناس ويأكل أحيانًا الحشيش وثمر الغياض، ويجعل في إحليله حلقة حديد لئلا يأتي النساء، ومنهم العريان، ومنهم من ينصب نفسه للشمس مستقبلها عريانًا، إلا أن عليه شيئًا من جلود النمور، فقد رأيت رجلًا منهم كما وصفت ثم انصرفت وعدت بعد ست عشرة سنة، فرأيته على تلك الحال، فتعجبت كيف لم تسل عينه من حر الشمس ".

أما عقيدة البراهما هي الركون إلى مبدأ التناسخ في الرواح[٥]. وإن فكرة تنساخ الأرواح اعتبرها الهنود شعارًا وعلامة من علامات الإيمان[٦]. وإن مفهوم التناسخ عندهم هو انتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسد شخص آخر، فالروح في اعتقادهم لا تموت[٧].

وإن تغلغل الإنسان في الوجود الحي الحقيقي جسدًا وروحًا وفق نظرية وحدة الوجود هو الهدف المنشود؛ ولكن هذا الأمر ليس بميسور بل يحتاج إلى جهد

---

(١) أبي دلف، الرسالة الأولى، ص٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٧.

(٢) الفهرست، ص٤٨٥.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٥؛ الطائي، سعاد هادي حسن، **المعتقدات الدينية في الهند والصين في كتاب الفهرست لأبن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م دراسة مقارنة**، بحث منشور في جامعة بغداد، كلية التربية– ابن رشد،(بلا مجلد، بلاعدد ،بلات).

(٤) رحلة السيرافي، ص٤٧؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٧؛ الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، ص٣٨.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٦) المسعودي، أخبار الزمان، ص٨٤.

(٧) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٤٨.

ومـــــحاولات عديدة، وينبغي للانسان قبل الوصول إلى هذه الغاية أن يقطع مراحل عديدة وينتقل من طور إلى طور، ومن جسد إلى جسد وهذا ما يسمى بالتناسخ عندهم(١).

وكانت عقيدة تناسخ الأرواح هي محرك كل السلوكيات الهندية، وقد ذكر أبو زيد السيرافي(٢) : " أن سائر ملوك الهند والصين يقولون بالتناسخ ويدينون به، وإن ملك قمار (كمبوديا) قد أصيب بمرض جدر (أصابه الجدري) فلما خرج من الجدري نظر في المرآة فاستقبح وجهه، فأبصر ابنًا لأخيه، فقال له: ليس مثلي أقام في هذا الجسد على تغيره، وانما هو ظرف للروح متى زال عنه عاد في غيره، فقم بالملك فأتي مزيل بين جسمي وروحي إلى أن أنحدر في جسم غيرهُ ثم دعا بخنجر له مشحوذ قاطع فأمر به فحز رأسه ثم أُحرق "(٣).

وهذه الرواية دلالة على إيمان أهل الهند بمبدأ تناسخ الأرواح وعودتها إلى الحياة في جسد آخر. وإن عقيدة أهل الهند بمبدأ تناسخ الأرواح جعلهم يقتلون، أو يحرقون، وفي بعض الأحيان يغرقون أنفسهم لإيمانهم بمبدأ تناسخ الأرواح عندهم، فذكر: " وفي مملكة بلهرا وغيره من ملوك الهند من يحرق نفسه بالنار وذلك لقولهم بالتناسخ وتمكنه في قلوبهم وزوال الشك فيه عندهم "(٤).

وقد حضر بن بطوطة(٥) أحد الجنائز الهندية، وقال: رأيت الناس يهرعون من عسكرنا، معهم بعض أصحابنا، فسألتهم ما الخبر؟ فأخبروني أن كافرًا من الهنود مات وأُججت النار لحرقه وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه.

---

(١) الندوي، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، ص١٠٤.

(٢) رحلة السيرافي، ص٧١-٧٢.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧١-٧٢.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٨.

(٥) رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٤٢٣



وإن حرق الهنود لم يكن لموتاهم فقط لإيمانهم بمبدأ التناسخ ورجوع الروح إلى الحياة الدنيا وخلودها، بل يذكر أبو زيد السيرافي[١]، أن هناك من الرجال والنساء الأحياء على حدٍ سواء من تضعف حواسهم وأجسادهم يطلبون من أهاليهم طرحهم في النار أو اغراقهم في الماء ثقَة منهم بالرجعة وأكثرهم من يختار الإحراق.

ويذكر بعض المؤرخون[٢]:أنهُ " إذا عزم الرجل على إحراق نفسه صار إلى باب الملك فاستأذن، ثم دار في الأسواق وقد أُججت له النار في حطب جزل كثير عليها رجال يقومون بإيقادها حتى تصير كالعقيق حرارَة والتهابًا، ثم بعدوا، وبين يديه **الصنوج**[٣] دائرًا في الأسواق[٤]، وقد احتوشه أهله وقرابته، وبعضهم يضع على رأسه اكليلًا من الريحان يملؤه جمرًا، ويصب عليه **السندروس**[٥]، وهو مع النار كالنفط، ويمشي وهامته تحترق وروائح لحم رأسه تفوح، وهو لا يفتر في مشيته ولا يظهر منه جزع، حتى يأتي النار فيثب فيها فيصير رمادًا ".

وعليه إن تعذيب أهل الهند لنفسهم من دون الأمم، ما هي إلا عقيدة منهم بما ينال الروح من نعيم في المستقبل مؤجلاً لا يكون بغير ما أسلفه من تعذيب أنفسها في هذه الدار معجلًا[٦].

" فذكر بعض من حضر رجلًا منهم يريد دخول النار، أنه لما أشرف عليها أخذ الخنجر فوضعه على رأس فؤاده فشقه بيده إلى عاتقه، ثم أدخل يده اليسرى فقبض

---

(١) رحلة السيرافي، ص٨٠.

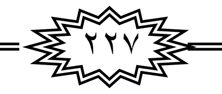
(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٨-٧٩؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٦١.

(٣) **الصنوج:** مفردها صنجن والصنج: العَبدُ الأسود الأُمَّي. الصاحب، المحيط في اللغة، ج٣، ص٢٦٨.

(٤) وعلى بدنه أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه. ينظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص١٦٠.

(٥) **السندروس:** وهو صمغ أصفر شبيه الكهربا، إلا أنه أضر منه، وفيه شيء من المرارة، حار يابس في الدرجة الأولى، يقطع فضول البلغم من المعدة والأمعاء، ويقتل الدود وحب القرع. الرسولي، المعتمد في الأدوية المنفردة، ص١٧٧.

(٦) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٦٠.



علـــــى كبده، فجذب منها ما تهيأ له، وهو يتكلم ثم قطع بالخنجر منها قطعة فدفعها إلى أخيه استهانة بالموت وصبرًا على الألم، ثم زج بنفسه في النار إلى لعنة الله "[١].

وتجدر الإشارة إلى وجود نص هذه الرواية كاملًا عند المسعودي، إذ يذكر الأخير أنه في سنة أربع وثلاثمائة حضرت ببلاد صيمور من بلاد الهند من مملكة بلهرا[٢] ... ثم يذكر نص رواية السيرافي !، وهنا يمكننا أن نطرح تساؤل كيف يمكن للمسعودي أن يذكر قصة قد رواها أبو زيد السيرافي ودونها في الجزء الثاني من كتاب أخبار الصين والهند؟

وعلى ما يبدو أن المستشرق دوربينيت محقق كتاب رحلات إلى بلاد الصين والهند ذكر وبالتأكيد فيما يتعلق بتدفق المعلومات، ويبدو إنه من أبي زيد إلى المسعودي؛ لأن لغة الأخير هي الأكثر مصقولة، وتنظيمه للمواد مخططًا بشكل أفضل، والعقبة الوحيدة هي أنه في حالة خبر واحد، القصة المروعة لرجل هندي قطع كبده قبل أن يحرق نفسه حتى الموت، ويقول المسعودي أنه هو نفسه شهد المشهد في الهند سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م، إذ أخذنا حسن نية المسعودي كما هو مقرًا وإذا قبلنا أن تفاصيل القصة غريبة ودقيقة لدرجة أنه من غير المحتمل أن يكون شاهد آخر قد قدم القصة بشكل مستقل لأبي زيد، فعندئذ يبدو ذلك ممكنًا أن المسعودي نفسه هو أحد المخبرين المجهولين لرحلات إلى بلاد الصين والهند[٣].

خلاصة القول برهنت المصادر الاسلامية إيمان أهل الهند بعملية تناسخ الرواح وجعلهم لا يهتمون بالجسد على قدر اهتمامهم بالروح ومصيرها، من أجل ذلك تلقى الجسد أسوء العقوبات مثل الإحراق أو الإغراق لنيل السعادة والجنة.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٩.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٦٠.

(٣) DOR BENITE, ACCOUNT OF CHINA AND INDIA, P 25-26.

ب- الديانة البوذية (صنم البد):

ذكر السيرافي للهند ضروب من الشرائع يتقربون بها فيما يزعمون إلى خالقهم الله عز وجل عما يقول الظالمون علوًا كثيرًا، وتبع ذلك ذكر إحدى تلك الضروب من العبادات ومنها صنم البد(١).

والبُدُّ بيتٌ فيه أصنام وتصاوير، والبُدُّ: الصنم، فارسي معرب(٢)، وهو أيضًا كنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس(٣). والديانة البوذية هي إحدى الديانات القديمة المعروفة التي ظهرت في بلاد الهند والسند، قبل أكثر من خمسمائة سنة قبل الميلاد، ثم انتقلت إلى البلاد المجاورة حتى وصلت إلى الصين(٤).

وقيل إن أهل العباد في الهند من قمار، ويقال ان فيها مائة ألف عابد وهم أصحاب تسبيح لا تفارقهم، وهم عبدة الأصنام والدود ويحرقون موتاهم بالنار. وذكر أحدهم وجلست إلى واحدٍ منهم فتنحى عني قليلًا لأنهم لا يقربون من المسلمين ويقولون: إنكم أدناس لأنكم تأكلون لحوم البقر(٥).

ويبدو أن ملوك الهند قد اهتموا ببناء بيوت البوذا، إذ ذكر السيرافي أن الرجل يبتنى في طرقهم الخان للسابلة ويقيم فيه بقالًا يبتاع المجتازون منه حاجاتهم(٦)، وهذا دليل على إن تلك البيوت أصبحت مزارًا يرتاد إليها الناس للعبادة والتبرك بها على طول أيام السنة، مما حمل الناس بأقامة أسواقًا لبيع البقال لكي يتزود الزائرين ما يحتاجونه من سلع.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٤؛ مجيب، محمد، تاريخ حضارة الهند، ص٢٠١.

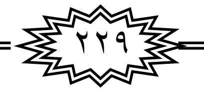
(٢) الجواهري، الصحاح في اللغة، ص٨٠؛ أدّى شير، اللفاظ الفارسية المعربة، ص١٧.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٦٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨١-٨٢.

(٤) الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب، ص٣٧؛ الداغر، نزار عبد المحسن، **الأحوال الدينية في بلاد ما وراء النهر حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، (دار الفيحاء، العراق، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص٢٣؛ مظهر، سليمان، **قصة الديانات**، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص٩٩-١٠٣.

(٥) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧١؛ شلبي، أحمد، **أديان الهند الكبرى**، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٨٤م)، ص١٠٥.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٤.



وذكـــــرت المصادر أن الهنود يزعمون أن البددة تكلمهم وإنما يكلمهم عبادهم(١)، (أي الكهنة).

ومن عاداتهم أن يوقفوا الجواري للزنا لخدمة صنم البد ويكون ذلك عند سفلتهم لا عند أهل التميز(٢). وعبر السيرافي(٣) عن ذلك، بقوله: " ويقيم في الخان فاجرة من نساء الهند يجري عليها لينال منها المجتازون، وذاك عندهم ما يثابون عليه. وبالهند قحاب يعرفون بقحاب البد، والسبب فيه أن المرأة إذا نذرت نذرًا ولد لها جارية جميلة أتت بها البد وهو الصنم الذي يعيدونهُ فجعلتها له ثم اتخذت لها في السوق بيتًا وعلقت عليه سترًا وأقعدتها على كرسي يجتاز بها اهل الهند وغيرهم من سائر الملل ممن يتجاوز فيه دينه، فتمكنهُ من نفسها بأجرة معلومة، وكلما اجتمع لها شيء من ذلك دفعته إلى سدنة الصنم ليُصرف في عمارة الهيكل ".

وقد أبى بعض المؤرخين العرب ربط مثل هذا العمل بصفة العبادة وإقامة الشعائر الدينية ويبرزون في ذلك أفضلية دين الاسلام على سائر الأديان، بقولهم: " والله عز وجل، نحمده على ما اختار لنا وطهرنا من ذنوب الكفرة به "(٤).

أما الإدريسي(٥) يكمل بما جاء في نص السيرافي ويذكر أن تلك الجواري يخيرن أما للرقص والتخلع أو التفرغ للتعليم، بقوله: إذا شبت هذه الجارية وترعرعت، كستها البد من ثياب أبلغ ما تقدر عليه وتأخذ أمها بيدها وحولها أهلها نساءًا ورجالًا وتصير إلى البد التي تصدقت بها أُمها عليه وتدفعه إلى خدامه وتنصرف، فإذا صارت الطفلة بيد خدام البد دفعوها إلى نساء عارفات بالزمن والتخلع وجمل اللعب بما يحتاج إليه، فإذا قبلت التعليم لبست أفضل الثياب وحُليت بارفع الحُلي ولزمت البد

---

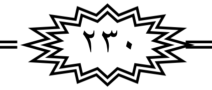
(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠؛ خطاب، محمود شيت، **الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه،** (المجمع العلمي العراقي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٢٣.

(٢) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٦.

(٣) رحلة السيرافي، ص٨٤-٨٥؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٩-٤٠.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٥؛ المروزي، أبوب في الصين والترك والهند، ص٣٩-٤٠.

(٥) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨١-٨٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٥٥.



ولم يكن لها خروج منه، ولا يزال عنه، وكذلك سنة أهل الهند بين الذين يعبدون البدود(١).

كما يلعبن الجواري الحسناوات بأنواع من الخف والتخلع، ولكل ذلك يكون بين أيدي المصلين والمجتمعين في البد ولكل بد من تلك الجواري عدة يأكلن ويلبسن من مال البد(٢).

أما صلاتهم في الكنائس انما تكون غناءًا وتلحيًنا وتصفيقًا لطيفًا بالكف واجتماع الجواري الحسان(٣). ومما لاشك فيه أن تلك الجواري الراقصات يطلق عليهنَّ (ديڤـاد داسِّى)، أي راقصات الإله بالمعابد الهندوسية، ونذورهن من الطقوس الدينية المعروفة إلى يومنا هذا في معابد الهند والهند الصينية(٤).

ويشير أبو زيد السيرافي(٥) أن رجال الدين ومشايخ في بلاد الهند وفي جزيرة سرنديب تحديًدا بان لهم مسؤوليات عديدة ومنها أن لهم مجالس كمجالس محدثينا ويجتمع إليهم الهنود فيكتبون عنهم سير أنبيائهم وسنن شرائعهم.

ويبدو أن ابو زيد قد حضر تلك المجالس، إذ أنه شبه تلك المجالس بمجالس المحدثين المسلمين وطلبة العلم في المدن والمراكز الاسلامية الكبرى.

٣- الديانة الثنوية:

يذكر السيرافي فضلًاعن هذه الديانات كانت في بلاد الهند وتحديًدا في بلاد سرنديب بها جمع من اليهود الُكثر، ومن سائر الملل، وبها أيضًا ثنوية، وهم من الفرق الوثنية الضالة يقولون باثنية الأله، أي إله الخير وإله الشر، والملك يبيح لكل فريق منهم ما يشرع به(٦).

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨١-٨٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٥٥.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨١-٨٢.

(٣) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣٩-٤٠.

(٤) فوزي، حديث السندباد القديم، ص١١١.

(٥) رحلة السيرافي، ص٨١.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨١.



وقيل ان الثنوية: هم المجوس ويقولون بأثنين هما النور والظلمة، والنور لا يكون منه إلا الخير، والظلمة لا يكون منها إلا الشر[١]. وذكر أديان الثنوية وهم أصناف ... والكثير من البراهمة والمجوس ولكل من قال بإثنين أو اكثر او بشي قديم مع البدئ[٢].

٢- المعتقدات الدينية السائدة في بلاد الصين:

يمكننا أن نذكر وبكل ثقه أن سليمان التاجر كان أول من تكلم من العرب في ديانة الصين وذكر أن: " أهل الصين يعبدون الأصنام، ويصلون لها ويتضرعون "[٣]، ثم، قال: أصل ديانة الصين من الهند، والحق ان ديانتهم لم تكن منحصرة في البوذية، وهي ديانة دخيلة ليست لها علاقة بمعتقدات الصين الأصلية.

وكان كثير من الهنود والصينيين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن لله عز وجل، والملائكة أجسام لها أقدار، وإن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصنامًا على صورة الباري عز وجل يعبدونها، وقربوا القرابين ونذروا لها النذور لشبهها بالباري وقربها منه، وأقاموا على ذلك برهة من الزمن ثم عبدوا الكواكب واتخذوا لها أصنامًا[٤]. رغم ذلك لم تذكر لنا كتب المصادر أن أهل الصين يدينون للرسل والأنبياء[٥]، ولكن هذا لا يمنع أنهم كانوا على علم بسفراء الله إلى عباده، وحملة وحيهُ، وما كان منهم إلا داعين ومنذرين الناس لعبادة الخالق وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

---

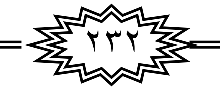
(١) المقدسي، المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م)، **البدء والتاريخ**، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلات)، ج١، ص٩١

(٢) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص٧-١٠.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٩٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٨٣؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٩٤.

(٥) سعفان، كامل، **معتقدات آسيوية (العراق- فارس- الصين- اليابان)**، (دار الندى، مدينة النصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص٢٥١.



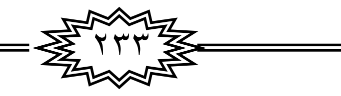
ويؤكد لنا أبو زيد السيرافي هذا الأمر في قصة بن وهب القريشي وما وقع له مع ملك الصين بعد أن نزعت به همته وقصد ملكها الكبير، وبعد تأكد الأخير من صحة ما يدعيه ابن وهب من قرابتهُ من نبي العرب (ﷺ) وأنزله في بعض المساكن وإزاحة علته فيما يحتاج إليه[1].

والذي يهمنا من هذا الأمر، هو بعد أن التقى ابن وهب بالملك دار بينهم حوار، إذ قال الملك للترجمان: " قُل له اتعرف صاحبك إن رأيته يعني رسول الله (ﷺ)، فقلت، وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل، فقال: لم أُرد هذا عما أردت صورته، فقال: أجل، فأمر بسفط، فأخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجًا، وقال للترجمان: اره صاحبه، فرأيت في الدرج صور الأنبياء، فحركت شفتي بالصلاة عليهم، ولم يكن عنده إني أعرفهم، فقال للترجمان سله عن تحريك شفته، فسألني، فقلت: أصلي على الأنبياء، فقال: من أين عرفتهم، فقلت: مهما صُوّر أمرهم، هذا نوح في السفينة ينجو بمن معه لما أمر الله جلَّ ذكره الماء فغمر الأرض كله ممن فيها وسلمه ومن معه، فضحك، وقال: أما نوح فقد صدقت، في تسميته، وأما غرق الأرض، فلا نعرفه وإنما أخذ الطوفان قطعة من الآرض ولم يصل إلى أرضنا ولا أرض الهند[2]، قـــــال ابن وهب: فتهيبت المرد علـــــــــيه وإقامة الحجة لعلمي بدفعـــــه ذلك" [3]. ثم قلت: هذا موسى وعصاه وبنو إسرائيل، فقال: نعم

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١-١١٢؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٦.

(٢) من الواضح أن لأهل الهند والصين من العظمة بأن يخيل لهم أن تكون الرياسة فيهم وقيادة الجنس البشري، فقال بعض كبرؤهم: نحن كلنا أهل البدء إشارة إلى هبوط آدم (عليه السلام) على جبل راهون في جزيرة سرنديب، فإنه لما تجليت الأجيال، وتحزبت الأحزاب، حاولت الهند أن تضم المملكة، وبما أن بلاد الهند الموطن الأصلي للديانة المنتشرة في الصين؛ لا يتفق كل من أهل الهند والصين في كل أصول معتقداتهم، ولكن يختلفون في الفروع، وقصة ابن وهب القريشي خير دليل على ذلك، لذا فهم ينكرون وصول الطوفان إلى أرضهم وأن الله عزَّ وجل قد حمى بلادهم من ذلك الطوفان. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦١-٦٦.

(٣) لعلمي بدفعه ذلك: ويقصد ابن وهب أنه كان بأمكانه أن يقيم الحُجّة عليه ويؤكد رفض ما جاء به ملك الصين إلا أنه لم يحاول الدخول في نقاش معه إيماناً منه بعدم قبول الطرف الآخر رأيه او حتى الوصول إلى نقطة لإقناع الطرف الآخر بعدم صـــــحة ما جاء به. الســـيرافي، رحلة =



على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه، فقلت: وهذا عيسى على حمار والحواريون معه، فقال: لقد كان قصير المدة، إنما كان أمره يزيد على ثلاثين شهرًا شيئًا يسيرًا وعدد من أمر سائر الأنبياء ما اقتصرنا على ذكر بعضه، وزعم أنه رأى فوق كل صورة لنبي كتابة طويلة قدّر إن فيها ذكر أسماءهم ومواقع بلدانهم وأسباب نبؤاتهم(١) "(٢). " ثم قال: رأيت صورة النبي محمد (ﷺ) على جملٍ وأصحابه محدقون به على إبلهم في أرجلهم نعال عربية وفي أوساطهم مساويك مشدودة، فبكيت، فقال للترجمان: سله عن بكائه، فقلت: هذا نبينا وسيدنا وابن عمي عليه السلام، فقال: صدقت، لقد ملك هو وقومه أجلَّ الممالك، إلا أنه لم يعاين ما ملك، وإنما عاينه من بعده، ورأيت صور الأنبياء ذوى عددٍ كثير، منهم من قد أشار بيدهُ اليمنى وجمع بين الإبهام والسبابة كأنه يومئ في إشارتهِ إلى الحق، ومنهم قائم على رجله مشير بأصبعه إلى السماء وغير ذلك، زعم الترجمان أنهم من أنبيائهم وأنبياء الهند، ثم سألني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع ووجوهها على قدر ما أعلم منها، ثم قال: كم عمر الدُنيا عندكم؟ فقلت: قد اختلف فيه، فبعض يقول: ستة آلاف سنةٍ، وبعض يقول دونها، وبعض يقول أكثر منها إلا بيسير، فضحك ضحكًا كثيرًا ووزيره أيضًا واقفٌ على إنكاره ذلك، وقال: ما أحسب نبيكم قال هذا، فزللت وقلت: بلى، هو قال ذلك: فرأيت إنكار في وجهه، ثم قال للترجمان: قُل له ميّز كلامك، فإن

=السيرافي، ص٦١-٦٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١-١١٢؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٦.

(١) يفسر لنا أبو زيد السيرافي أن ابن وهب قد ذكر أنه ورد ذكر سائر الأنبياء وذكر أسمائهم، ومواقع بلدانهم، وأسباب نبؤاتهم؛ ولكن اقتصر لنا أبو زيد في ذكر بعض منهم، وهذا يؤكد علم بلاد الصين بسائر الرُسل والأنبياء الذين بُعثوا لهداية البشرية؛ إلا أنهم تمسكوا بدين الكفر وعبادة السلف من ملوكهم والأجداد، ويقول المستشرق ول ديورانت: " لم يشهد التاريخ شعبًا من الشعوب أشد من الشعب الصيني تمسكًا بالخرافات، أو أكثر منه تشكيكًا وانصياعًا لحكم العقل، أو أقوى منه دنيوية ". قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص٢٥٦-٢٦١؛ سعفان، معتقدات أسيوية، ص٢٥٠.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١١-١١٢؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٩٦.

الملوك لا تكلم إلا عن تحصيل[١]، أما ما زعمت إنكم تختلفون في ذلك فإنكم إنما اختلفتم في قول نبيكم، وما قاله الأنبياء لا يجب أن يُختَلف فيه، بل هو مُسلّم، فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه، وذكر أشياء كثيرة قد ذهبت عني؛ لطول العهد "[٢].

وعليه أن نص رواية بن وهب القريشي التي جاء لنا بقلم أبو زيد السيرافي تؤكد على معرفة أهل الصين بجميع الكتب السماوية ومعرفتهم بالجنة والنار، والحياة الدنيا والآخرة، إلا أن أكبر ما يهتم به الصيني أن يعيش بخير في الحياة الدنيا، وإذا صلى فإنه لا يطلب في صلاته أن ينال نعيم الجنة، بل يطلب الخير لنفسه في هذا العالم الأرضي، وإذا لم يستجيب إلهه لدعائه فقد يطلق فيه لسانه بالسباب، ثم يقذفه آخر الأمر في النهر[٣].

٣-ديانات بلاد الصين:

أشار السيرافي أن بلاد الهند هي الموطن الأصلي للديانة المنتشرة في الصين " وليس لأهل الصين علم وإنما أصل ديانتهم من الهند "[٤]. وعليه إن كل شرائعهم ومعتقداتهم من عبادة البددة، ومعتقداتهم الأخرى كالتناسخ كلها من الــــــــهند

(١) إن هذه الرواية تؤكد انكار ملك الصين على زلة لسان ابن وهب وعدم تميز كلامه وتحديدًاعندما ذكر كلام الأنبياء والرسل، وقد أشار الملك إلى اختلاف مواقف زلات اللسان عند الانسان وعواقبها، إذ قال: " ميز كلامك فإن الملوك لا تكلم إلا عن تحصيل "، وهذه اشارة إلى أن كلام الرسل والأنبياء لا اختلاف عليه إقرارًا بأنه كلام الله المنزّل. وعليه بما أن أهل الصين لا يدينون للرسل والأنبياء، بل يكتفون بالمربين والحكماء، وهذا لا يفسر معتقدًا بقدر ما يفسر عمق (الخوف) الذي يحفر في قلوبهم، ويقدر ما يفسر مدى الحيرة التي عششت في أفقهم، ذلك أن ملوك الصين الأوائل أخذوا على الشعب كل طريق كانوا ملوكًا وكهنة في آنٍ واحد، وتعتمد سيادة الملك على إن السماء هي التي قلدته مهام منصبه، وعليه إن كلام الملك مطاع ولا نقاش فيه، والملوك لا يتحدثون إلا عن تحصيل. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٣؛ سعفان، معتقدات آسيوية، ص٢٥١-٢٥٦.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٢-٦٣.

(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص٢٦٣؛ سعفان، معتقدات آسيوية، ص٢٥٠.

(٤) رحلة السيرافي، ص٥٠.

لقولـــــه: " وكلا البلدين يرجعون إلى التناسخ ويختلفون في فروع دينهم "(١)، ولقوله: " وسائر ملوك الهند والصين يقولون بالتناسخ ويدينون به "(٢).

وكانت عبادة أهل الصين للسماء، والأرض، والأسلاف، والأجداد، والأباطرة، والمعلمين الأكثر بروزًا بصفة عامة والسماء والأرض هما أساس الحياة، والأجداد الأولون هم أصل الأُمة، والأباطرة والمعلمون هم أساس حكم البلاد(٣).

وبما أن معتقداتهم تشير إلى أن سيادة الملك مستمدة من السماء هو الذي قلده مهام منصبه(٤). لذا كانت عبادة الملوك عندهم من سنن أهل الصين ومن مات من ملوكهم يجعلون جسدهم في هياكلهم وبعد ذلك عبدوا ملوكهم وسجدوا لهم اقتداءًا بالهند(٥). وذكر الموقع الذي فيه الصنم الأعظم، وهو صورة البغبور بموضع في أرض خانفوا (كانتون) ومعنى بغبور بلغة الصين ابن السماء، أي نزل من السماء، وذلك ما قال لي (لي جيكى) الصيني في سنة ٣٥٦هـ(٦).

ويذكر بن النديم(٧) (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، أنه سال الراهب النجراني الوارد من بلد الصين سنة ٣٧٧هـ، بعد أن مكث بها سبع سنين وأنفذ معه خمسة أناس من النصارى من يقوم بأمر الدين ...، وقال: إن أكثر دين أهل الصين ثنوية(٨)، وقال عامتهم يعبدون الملك ويعظمون صورته، ولهم بيت عظيم مبني بأنواع الصخور والآجر والذهب والفضة، وقبل الوصول إليها يشاهد القاصد إليها أنواعًا من

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٨٣؛ نيدهام، موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ص٢٤٦؛ عبد العزيز، لمحة عن ثقافة الصين، ص١٧١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٨٣؛ نيدهام، موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ص٤٢٦؛ عبد العزيز، لمحة عن ثقافة الصين، ص١٧١؛ سعفان، معتقدات آسيوية، ص٢٥٥.

(٥) المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٤؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٩٥.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص٤٩١.

(٧) الفهرست، ص٤٩١.

(٨) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣.



الأصنام، والتماثيل، والصور، والتخيلات التي تبهر عقل من لا يعرف كيف هي وأي شيء موضوعها، وقال لي: والله يا أبا فرج لو أن عظم أحدنا من النصارى واليهود والمسلمين الله جلّ إسمه لتعظيم هؤلاء القوم لصور ملوكهم لا نزل الله له القطر، فإنهم إذا شاهدوها وقع عليهم الرعدة والجزع حتى فقد الواحد عقله أيامًا، قلت ذلك لإستحواذ الشيطان على بلدهم وعلى جملتهم ويستغويهم ليضلهم عن السبيل[١].

وهذا إن دلَّ فيدلُ على إن بلاد الصين بلاد الكفرة " يعبدون الأصنام ويصلون لها ويتضرعون إليها ولهم كتب دين تتعلق بها "[٢] .

والصينيون يزعمون أن البددة تكلمهم وإنما يكلمهم عبادهم[٣]، ولابد من الاشارة إن الديانة البوذية من الديانات الدخيلة على بلاد الصين[٤]، أذ كانت الدعاية البوذية في القرنين الثالث والرابع الهجريين عظيمة في الصين، ثم لقيت اضطهادات، وما لبثت وأن نشطت من جديد، وأخذت تبرز وتنتشر، ولم تجد البوذية صعوبة في التسلل إلى الصين واحتلال مواقع مهمة ذات أهمية؛ وذلك لأن الرُسل والجنود الصينيون قد خدموا في البلاد البوذية في آسيا الوسطى وغرب الصين[٥].

وعندما دخلت البوذية إلى الصين اعتبرها الناس نوعًا من الآلهة وعبدوها مثلما أضفوا الإلوهية على الإمبراطور وقدموا لهم القرابين في بلاد الإمبراطوري وفي بيوت بعض الملوك والحكام[٦]. والحق إن ديانتهم لم تكن منحصرة بالبوذية، بل كانت ديانة دخيلة كما أسلفنا وليست لها علاقة بمعتقدات الصين الأصلية؛ لأنهم يعتقدون بالسماء والقوات السماوية، كما إنهم يعتقدون بأرواح الآباء والأجداد[٧]، وقد بدأ ذلك

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٤٩١.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٤) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٩٤-٩٥.

(٥) سعفان، معتقدات آسيوية، ص٣١١.

(٦) عبد العزيز، لمحة عن الثقافة في الصين، ص١٩٠.

(٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٨٣؛ الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٩٤-٩٥.

في زمن ملكهم **رعون**[١]، فلما توفي والده جعل جسده في تابوت من ذهب ويطوفون به ويصورون صورهم في هياكلهم[٢].

فضلًا عن ذلك يشبه سليمان التاجر[٣] دين بلاد الصين بالمجوس، لقوله: " يأكلون الميتة وما أشبهها ما يصنعه المجوس، فإن دينهم يشبه دين المجوس ".

وجاء الزهري[٤] ليثبت لنا ما جاء عند السيرافي، بقوله: واعلم أن أهل الصين قومٌ مُنجمون لهم معرفة وفطنة وعندهم علم بالرقى، وهم متمسكون بدين المجوسية، وأما الذين هُم في جزر البحر فيعبدون الشمس ولا يأكلون لحمًا، وإنما يشربون اللبن ويأكلون الأرز. أما الذين هم في بر الصين فإنهم قومٌ فيهم ورع ودقة نفوس وحُسن صورة وعدل، وهم يعبدون النار، ومن عندهم اتخذ أهل فارس هذا الدين، ومنهم من يأكل اللحم ومنهم من لا يأكله.

وعليه إن الصينيون يقتلون ما يريدون أكله ولا يذبحونه، فيضربون هامته حتى يموت[٥]، ومن ذبح حيوانًا أنكروا عليه[٦]، ومن قتل شيئًا من الحيوان قُتل[٧]. وينبغي الإشارة إلى أن بلاد الصين يقولون بالتناسخ ويعملون بالنجوم ولهم كتب يشتغلون بها[٨]. ويقول السيرافي[٩]: "وسائر ملوك الهند والصين يقولون بالتناسخ ويدينون به "، كما يذكر أيضًا: " وكلا البلدين يرجعون إلى التناسخ ويختلفون في فروع دينهم "[١٠].

---

(١) **رعون:** أو (رعو)، هو أحد أولاد نوح (عليه السلام)، وكان عمره إلى أن قبضه الله مائتي سنة. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٣٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٨٣.

(٣) رحلة السيرافي، ص٣٣.

(٤) كتاب الجغرافية، ص١٨.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

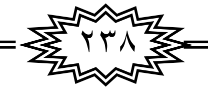
(٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٦.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٤.

(٨) ابن الفقيه، البلدان، ص١٤.

(٩) رحلة السيرافي، ص٧١.

(١٠) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣.



استخلاصًا مما سبق إن أهل الصين عبدة أوثان ويقولون بالتناسخ ويشير المروزي[1]، إن وضع التماثيل لم تقتصر في المعابد فقط وإنما دور العامة كانت واسعة مزوقة المجالس بالتماثيل والأصنام وتُعبد؛ لتقربهم من الألَه.

أما بيوت العبادة عندهم او الصنم المقدس **(الهيكل المدور)** [2]، فقد اشارت إليه العديد من المصادر إلا أن صاحب كتاب رحلة السيرافي لم يورد أي معلومات عن هذا الصنم المقدس وعلى الهيكل المدور كما جاء في بعض المصادر.

---

(١) أبواب في الصين والهند والترك، ص١٣.

(٢) **الصنم المقدس (الهيكل المدور): وهذا الصنم** يقع في مدينة جيدقة والصنم المعروف على اسم المدينة، وهذا الصنم يعبد من دون الله وأهل الصين يقصدون إليه من جميع بلادهم، وهو مبني من رخام ملون وارتفاعه في الهواء مائة وعشرون ذراعًا. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٩٥؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٧-١٨ح ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٤٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣-٥٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٢.



المبحث الثالث
الجوانب الاجتماعية لبلاد الهند والصين

استنادًا إلى كل ما سبق ذكره في صفحات البحث أيقنا بأن بلاد الهند والصين واسعة ومتنوعة التضاريس، لذا من الصعب الوقوف على جميع العادات والتقاليد الخاصة لكل جزيرة أو مدينة من مدائنها، بالنتيجة وقفنا على الجوانب التي أشار إليها السيرافي، في حين إن هنالك حقائق لايمكننا إنكارها ألا وهي أن الرحالة والجغرافيون المسلمون ابدعوا بوصف المجتمعات الغير الإسلامية، وتميزت مدوناتهم بالتنوع والثراء ونقلوا صورًا عدة عن اسلوب حياة تلك المجتمعات وما تميزوا به من عادات وتقاليد أجتماعية ووصفهم أيضًا للجنس البشري وطريقة مأكلهم وملبسهم، ليس هذا فحسب بل تعدى الأمر إلى وصف الفنون والعمران؛ والأكثر أهمية من ذلك فقد انفرد البعض في ذكر أوجه التشابه والاختلاف بين المجتمعات التي سبق وأن زارها الرحالة والجغرافيون. وعليه هناك العديد من الفروقات بين الحضارتين الهندية والصينية من الجانب الاجتماعي وقد أورد لنا أبو زيد السيرافي بعضًا منها[١]، وهي كالتالي:

١- الجوانب الاجتماعية لبلاد الهند:

أ- اللغة وصفات الجنس الهندي:

تعد اللغة من أوائل طرق التواصل بين المجتمعات، وعليه فقد تنوعت اللغات في بلاد الهند على حسب تنوع أهلها وطوائفها، وقد أورد السيرافي نقلاً عن سليمان التاجر[٢] نصًا عن لغات تلك الأقوام، لقوله: " ... ثم تخطف المراكب إلى بحر هركند، وصرنا إلى موضع لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من اللغات، وإنما يتبايعون بالاشارة يدًا بيد، إذ كانوا لا يفهمون اللغة ".

---

(١) وللمزيد ينظر إلى الملحق،رقم(٢٠).

(٢) رحلة السيرافي، ص٢٦-٢٧؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٥.

وانفرد بعض الرحالة بوصف لغتهم بأنها: " نوع من الصفير وهم عُراة لا يسترون شيء "[١]. وذكر آخر في جزيرة الرامي قوم لا يفهم كلامهم وهم يستوحشون من الناس[٢]. وذكر المستشرق ول ديورانت[٣] بلغت عدد لغات الهند نحو مائتان وأربعون لغة، وانتشرت لاحقاً اللغة العربية والفارسية بعد الفتح الاسلامي لتلك البلاد. " ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية السندية "[٤].

أما اللغة السنسكريتية كانت لغة الأمة الهندية الأوربية والتي سميت بالأمة الآرية بعد نزوحها واستقرارها في الهند. فكلمة (الآري) تطلق على الشرفاء، هذا يدل على إنهم اعتبروا أنفسهم منذ قدومهم إلى هذه البلاد هم شرفاء القوم، والسكان الأصليون فيها بأراذل، وبهذا يكون الآريون قد اعتبروا أنفسهم سادة والآخرين خدمًا وعبيد[٥].

أما عن صفات الجنس الهندي ذكر السيرافي[٦] صفات الجنس الهندي وما يتميز به، بقوله: " هم سود مفلفلو الشعر، مناكير الوجوه والأعين، طوال الأرجل ". أما جزيرة الموجة فأهلها بيض وحسن وجمال غير مخرمي الآذان، وهذه الأمة تشبه بأهل الصين في لباسهم ولون بشرتهم[٧]. ومنهم أيضًا قوم صفر بغير لحى في زي النساء، ولهم شعور[٨].

ووصف بعض الجغرافيون نساء الهند، بقولهم: " ونساءهم من أجمل النساء، ولهم شعورًا طويلة وهن لا يتوارينَّ ولا يستترنَّ بشيء، يمشين مكشوفات الرؤوس، ويكللن بعصائب فيها أنواع الودع الملون والأصداف المجزعة[٩]. اما جزيرة الرامي

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ٨٠.
(٢) الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٧٧
(٣) قصة الحضارة، مج١، ج٣، ص٢٨٣-٢٨٤.
(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ج١، ص٧٦.
(٥) الندوي، الهند القديمة حضارتها وديانتها، ص٦٣.
(٦) رحلة السيرافي، ص٢١.
(٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٣.
(٨) المسعودي، أخبار الزمان، ص٥١.
(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٧٠.

وبها ناس عُراة لا يفهم كلامهم يستوحشون من الناس،وهم أقزام أذ يبلغ طول الواحد منهم أربعة أشبار، وشعورهم **زغب**[1] أحمر ويتعلقون على الأشجار بأيديهم من غير أرجلهم لسرعة جريهم[2].

أما مملكة الطافن فقد اشتهرت بجمال نسائها وبياضهنَّ ويعتبرنَّ من أجمل نساء الهند[3]. أما بن رستة (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) يذكر أن أهل مملكة الطافن سُمر كما فيهم بياض وجمال مستفيض، وفي رقيق بلادهم جمال ليس يشركه في ذلك أحدٌ من ممالك ممن يليه[4]. ويبدو إن نسائهم كُنَّ من أهم السلع الواردة من هذه البلاد في اطار تجارة الرقيق[5]؛ لأنه ليس في نساء الهند أحسن من نسائهم، وعلى أكثر منهم جمالًا وبياضًا، وأهل البحر يتنافسون في شرائهنَّ[6].

ب- المظاهر الاجتماعية للمجتمع الهندي:

تعددت المظاهر الاجتماعية في الهند بشكل كبير من مأكل ومشرب وذلك لكثرة خيراتها الناتج عن خصوبة أرضها من تنوع للمحاصيل الزراعية بأنواعها وأصنافها المختلفة والذي أدى بدوره إلى تنوع المأكل والمشرب، إلا أن بعض المحاصيل والفواكه غير موجودعندهم والذي هم بأمس الحاجة إليه، إذ لا يوجد في الهند النخيل ولهم سائر الشجر[7]، وعليه كانت تحمل إليهم هذه الثمرة من البلدان العربية، وكان للعرب في قلوبهم هيبة عظيمة، فإذا عاينوا رجلًا منهم سجدوا له، وقالوا هذا

---

(١) **الزغب:** صغار الشعر والريش. ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ص٤٣٥.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٧٦.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٧.

(٤) ابن رسته، العلاق النفيسة، ص١٣٥؛ المروزي، أبواب في الصين والتُرك والهند، ص٣٤.

(٥) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٥.

(٦) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

من مملكة ينبت بها شجر التمر لجلالة التمر عندهم، وفي قلوبهم[١]. ويجلب إليهم الكثير من التمر والزبيب من بلاد العراق[٢]. كماإن طعام أهل الهند الأرز[٣].

ولابد من الإشارة إن كفار هذه المدينة لا يذبحون الحيوان ولا يأكلون اللحم ولا السمك ولا البيض[٤]. أما جزيرة ملجان قوم يأكلون لحوم البشر نيئًا، وكذلك السمك والموز والنارجيل وقصب السكر[٥]. وقال من أرادوا أكله يضربون هامته حتى يموت[٦].

ويحدد الزهري[٧] طعام الهنود على حسب معتقداتهم الدينية، لقوله: أما الذين في الجزر يعبدون النار فلا يأكلون اللحم ولا يذبحون حيوانًا ويتناكحون في الأقارب. اما الذين يعبدون الشمس فيأكلون اللحم ولا يتناكحون في الأقارب ... وأكثر طعامهم القمح وربما بلغ عندهم قليل من زيت الزيتون أحيانًا من بلاد اليمن، وأكثر زيتهم السِّمسِمِ، وعندهم من الفاكهة الكمثرى وقليل من التفاح.

أما بن الفقيه[٨] جاء على عكس ما جاء به الزهري، لقوله: " الهند لا يأكلون الحنطة وانما يأكلون الأرز ويمنعون في ملازمة الطعام والشراب سبعة أيام ".

أما عن شرابهم، وتجار الهند وسائرهم لا يشربون الشراب قليله ولا كثيره، ويعافون الخل من الأشربة فخلهم من ماء الأرز المطبوخ يحمضونه حتى يصير بمنزلة الخل.

وأذا رأوا من أهل الإسلام يشرب الشراب فهو عندهم خسيس[٩].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٦.

(٢) الزهري، كتاب الجغرافية، ص٣٣.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩.

(٤) أبو دلف، الرسالة الأولى، ص٦٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٧.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠- ٣١.

(٦) السيرافي، ص٢١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٤.

(٧) كتاب الجغرافية، ص٣٣.

(٨) البلدان، ص١٤.

(٩) ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٣.

وذكر أبو عبد الله محمد بن إسحاق، أنه زار مملكة قمار وأقام بها سنتين، وذكر إنه لم يرىَ أغير ولا أشد في الأشربة منهم، فإنه يعاقب على شارب الخمر بالقتل[١]. وذكرت بعض المصادر عن عقوبة شارب الخمر في مملكة قمار، أنه يحمي حلقة من الحديد بالنار ثم توضع على يد الفاعل[٢]، ولا تترك إلى أن تبرد، فربما يقضي إلى التلف! [٣]. وقد ينفرد ملك سرنديب من دون ممالك الهند بشرب الخمر، إذ يُحمل إليه الخمر من العراق[٤].

واتفقت أغلب المصادر إلى أن الهنود يمنعون من شرب الخمر والمسكرة ويعيبون شاربها لا تدينًا، بل أنفة منهم وسياسة[٥]، " ويقولون: أي ملك شرب الشراب فليس بملك، وذلك أن حولهم ملوكًا يقاتلونهم، فيقولون: كيف يدبر أمر ملكه من هو سكران، وربما اقتتلوا على الملك وذلك قليل "[٦].

ومن سننهم أنهم لا يأكل اثنان في غضارة(صحن) واحدة ولا على مائدة واحدة، ويجدون ذلك عيبًا فاحشًا، فإذا وردوا سيراف فدعاهم وجه من وجوه التجار كانوا مائة نفس أو دونها أو فوقها احتاج أن يضع بين يدي كل رجل منهم طبق فيه ما يأكله ولا يشاركه فيه سواه[٧].

وأما ملوكهم في بلادهم ووجوههم فإنه يتخذ لهم في كل يوم موائد، يُسفُ خوص النارجيل سفًا ويعمل منه كهيئة الغضار والصحاف، فإذا أحضر الغذاء أكلوا الطعام

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦؛الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧١.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٦-٦٧؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧٢.

(٣) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠٥.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٢؛ ابن سباهي، محمد بن علي (ت٩٩٧هـ/١٥٨٩م)، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تح: المهدي عبد الرواضية، (دار الغرب الإسلامي، بلا مك، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٥٣٠.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧-٤٨؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٧-٦٨؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٣٢؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر القطار، ص٤٧١.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧-٤٨.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٣.

في ذلك الخوص المسقوف، فإذا فرغوا من غذائهم رمى بتلك المائدة والغضار المقوف من الخوص مهما بقى من الطعام إلى الماء، واستأنفوا من عندهم مثله[١]. ويذكر بن بطوطة أن ترتيب الطعام عندهم خاص وعام، فطعام الخاص هو طعام السلطان الذي يأكل منه، وعادته أن يأكل في مجلسه مع الحاضرين من الأمراء والحجاب وغيرهم من شاء السلطان تشريفه أو تكريمه من الأعزة وكبار الأمراء، وربما أراد تشريف أحد الحاضرين، فأخذ إحدى الصحاف بيده، وجعل عليها خبزة ويعطيه إياها فيأخذها المعطى، ويجعلها على كفه اليسرى ويخدم بيده اليمنى على الأرض، وربما بعث من ذلك الطعام إلى من هو غائب عن المجلس فيخدم كما يصنع الحاضرين، ويقول بن بطوطة: وقد حضرت مرات الطعام الخاص، فرأيت جملة الذين يحضرون له نحو عشرين رجلًا[٢] أو العامة، ومنهم صنف لا يأكل اثنان منهم في غضارة واحدة، ولا على مائدة واحدة يجدون ذلك عيبًا فاحشًا، فإذا وردوا سيراف فدعاهم وجيه من وجوه التجار كانوا مائة نفس أو دونها أو فوقها احتاج أن يضع بين يدي كل رجل منهم طبقًا فيه ما يأكله لا يشاركه فيه سواه[٣]. وذكر من حضر ترتيب الطعام عندهم، أن كل واحد منهم يقعد في موضع معين له، فلا يكون بينهم تزاحم البتة، فإذا جلسوا أتى الشربدارية وهم السقاة بأيديهم أواني الذهب والفضة والنحاس والزجاج، فيشربون ذلك قبل الطعام، فإذا شربوا ثم يقدم لهم الطعام وكل واحد يأكل منه وحده، ولا يأكل أحدٌ من طبقٍ واحد[٤].

وعليه يتبين مما سبق أن ملوك الهند والعامة يأكلون مجتمعين لكن لكل واحدٍ منهم طبقه الخاص ولا يسمح لغيره أن يشاركه في صحنه.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٣.

(٢) رحلة بن بطوطة، ج١، ص٤٦١.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٣.

(٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٤٦٢.

ومن عاداتهم يغتسلون كل يوم قبل الغذاء ثم ياكلون[١]، ويستحيل أن تقدم الفُتات و البقايا لوجبة أخرى، ولا تستعمل أوعيه الطعام لأكثر من أكلة واحدة، اعتقادًا منهم أنه مما يتنافى وقواعد النظافة أن يأكل مرتين في طبقٍ واحد[٢].

كما من سُننهم يستاكون ولا يأكل أحدهم حتى يستاك ويغتسل[٣]، وقيل أنهم يغسلون أسنانهم سبع مرات، ويغسل يديه وقدميه[٤]، كما يأكل بأصابعه من الطعام الذي يقدم على ورقة من أوراق الشجر[٥].

وعليه كان لبلاد الهند سنن خاصة بهم في المأكل والمشرب تختلف عن غيرهم من البلدان. وأشار السيرافي[٦] إلى ذلك، بقوله: " مملكة قمار هو وأصحابه أهل سواكٍ دائم، يفعل الرجل منهم ذلك في اليوم مراتٍ، وسواك كل واحدٍ منهم معه لا يفارقه أو مع غلامه ".

وكان للمستشرق رينوا[٧] وقفة على هذه الرواية التي وردت من أبو زيد السيرافي، بقوله: " من الغريب أن أبو زيد السيرافي كان يدعي على عادة استخدام السواك لأقوام الهند وقد ذكر أنه من العادات التي كانت موجودة لفترة طويلة في الهند؛ ولكن الحقيقة كانت هي استخدام **التنبول**[٨] المختلطة مع بعض.

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٩٣.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٣، ص١٨٦.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٥) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١، ج٣، ص١٨٧.

(٦) رحلة السيرافي، ص٧٠.

(٧) AL.SERAFI, RELATION DESVOYAGES. P 36-37.

(٨) **التنبول:** شجر يغرس كما يغرس دوالي العنب، ويغرس في مجاورة النارجيل، فيصعد فيها كما تصعد الدوالي، وكما يصعد الفلفل، ولا ثمر للتنبول، وإنما المقصود منه ورقه، وأطيبه الأصفر، وتجنى أوراقه كل يوم، وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيمًا شديدًا، وإذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقاتٍ منه، فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها، لاسيما إن كان أميرًا أو كبيرًا، وإعطاؤه عندهم أعظم شأنًا وأدل كرامة من اعطاء الفضة والذهب، وكيفية استعماله أن يؤخذ قبلهُ الفُلفُل، وهو أشبه بجوز الطيب، فيكسر حتى يصير أطرافًا صغارًا، ويجعله الانسان في فمه ويعلكه، ثم=

ويذكر المسعودي أن الهنود لديهم عادة مضغ ورقة التنبول المختلطة مرطبة بالليمون مع جوز الهند، وهذه العادات أدخلت إلى مكة وباقي بلاد الحجاز واليمن، وهو موجود عند أهل العقاقير، ويستخدم في الأورام وما إلى ذلك، وهذا التكوين يقوي اللثة، ويشدد الاسنان، وينقي، ويزكي التنفس، ... وإلقاء بصمات على الأسنان بلون الرمان، وإلهام البهجة. والهنود كبيرهم وصغيرهم يكره الأسنان البيضاء، والشخص الذي لا يستخدم التنبول[١]. وعليه يبدو أن ابو زيد قد خلط بين السواك وبين التنبول الذي ورد عند المسعودي.

أما ما تميز به ملبس أهل الهند، فقد ذكر السيرافي[٢] من عادات ملوك الهند في لبس الحُلي والمجوهرات ومواكبهم، وملوكهم تلبس الأقراط من الجواهر النفيسة في آذانهم، وتضع في أعناقها القلائد النفيسة المتمثلة على فاخر الجواهر الأحمر، والأخضر، واللؤلؤ وما يعظم قيمته ويجلُّ مقداره، وهو اليوم كنوزهم وذخائرهم، وتلبسه قوادهم ووجوههم[٣]. كما يلبسون **الوشاحين**[٤]، وذكر إن ملوك المابد يلبسون الحُلي والمجوهرات والوشائح مثل النساء، كما إن رجال العامة يلبسون الشال ويغطون به جسمهم ويربطونه حول الأكتاف[٥].

كمـــــــــا وصف لبس أهل الهند بأنهم أشبه بالعرب باللباس والدواب، وهم في هيبتهم في مواكبهم شبيه بالعرب، ويلبسون **الأقبية**[٦]، ويتحلون بأسورة الذهب

=يؤخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئًا من النورة ويمضغها مع الفُلفُل. بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢٧٠.

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعاد الجوهر، ج١، ص : AL.SIRAFI, RELATION DESVOYAGES, P 36-37.

(٢) رحلة السيرافي، ص٩٣.

(٣) المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، ص٣٧.

(٤) **الوشاحين:** مفرها وشاح نسيج عريض يرصع بالجوهر تشده المأة بين عاتقها، أو هو نسيج عريض ملون يشده القاضي أو النائب. البكري، المسالك والممالك، ص١٨٧؛ إبراهيم، رجب عبد الجواد، **المعجم العربي لأسماء الملابس**، (دار المعارف العربية، القاهرة،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٥٢٣.

(٥) الندوي، الهند القديمة حضارتها وديانتها، ص٣٧.

(٦) **الأقبية:** معاطف بدون أكمام. الفراهيدي، العين، ج١، ص١٨١.

الرجال منهم والنساء[١].ومن جانبٍ آخر ذكر في جزيرة ملجان " قوم من السودان عراة "[٢]، كما أشارت بعض المصادر " ومنهم من يكتفي بوضع خرقة بحجم إصبعين على عورته بواسطة خيطين "[٣]. كما من جزيرة سرنديب إلى جزيرة لنكيالوس أقوام بيض من الرجال والنساء عُراة، وربما استتر النساء بورق الشجر يدخلون عليهم في المراكب الصغار وأكثر أهلها يشترون الثياب فيلبسونها في أوقات الحر والبرد[٤].

ويبدو أن البعض يعطي مبرِّرا لعدم ارتدائهم للملابس لقلة الحر والبرد عندهم لقولهم: " والحر والبرد في هذه الجزر قليل لقربهم من خط الاستواء "[٥]، أما المستشرق ول ديورانت له رأي آخر فضلا عن عامل المناخ، فإن الجانب الديني كان له أثرًا أيضًا مما جعل الهندي لا يستتر بالملابس لقوله: " وفي مناخ حار كمناخ تلك البلاد، تكون الثياب نافلة، فكنت ترى السائلين والأولياء الصالحين عُراة الأجسام، وبذلك العرى أكملوا درجات السُّلم الاجتماعي "[٦]. وهنا يشير إلى عباد البراهمة ويمكننا أن نحقق صدق بما جاء عند المستشرق بما ذكره السيرافي عن عبّاد وكهنة البراهما[٧].

أما عامة الناس فيلبسون السراويل وبعضهم يلبس سراويل محشوة بالقطن بشكلٍ كثيف جداً، وهي محكمة الإغلاق ولا يبرز منها سوى القدمان، ويلفون صدورهم بسروال آخر، كما يلبسون الخفاف في أقدامهم[٨].

إلا أن معظم الناس يمشون حُفاة الأقدام، وأن لبس الهندي الأصيل حذاء اتخذه

(١) رحلة السيرافي، ص٥١؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٠٣.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٠-٣١.

(٣) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص١٢٩.

(٤) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص١٢٩.

(٥) المسعودي، أخبار الزمان، ص٥١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٧٧.

(٦) قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص١٨٧-١٨٨.

(٧) للمقارنة، ينظر: السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧.

(٨) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص١٢٩.

مـــن القماش، لأنه لا يجوز تحت أي ظرف أن ينتعل بحذاء من الجلد[١]. وقد وجدا تفسير ذلك عند الإدريسي[٢]، لقوله: " ويحكى أن في جزيرة القمر إحدى جزر الهند ملكة تلبس حُلة الذهب المنسوج وتحمل على رأسها تاج الذهب المكلل بأنواع اليواقيت والأحجار النفيسة، وتجعل في رجلها نعل الذهب وليس يمشي أحدٌ في هذه الجزر بنعل إلا الملكة وحدها ومتى عثر على أحد أنه لبس النعال قطعت رجلاه ".

ت- العادات والتقاليد الاجتماعية في بلاد الهند:

أشار سليمان التاجر[٣] إلى إن الرجل في الهند قد تقيد بشروط خاصة، وإذا تمكن أن يجتازها يمكنه بعد ذلك أن يتزوج ما شاء من النساء، إذ ذكر "وإذا اراد أحد منهم لأن يتزوج لم يتزوج إلا بقحف رأس رجلٍ من أعدائهم، فإذا قتل اثنين زوّج اثنين، وكذلك إن قتل خمسين زوّج خمسين امرأة بخمسين قحفاً، وسبب ذلك إن أعدائهم كثير، فمن أقدم على القتل أكثر كان رغبتهم فيه أوفر ".

ومن شأن الهنود التزويج فيهم على صغر السن ولذلك يعقده **الإيوان**[٤] لأبناءهم وتظهر آلات الأفراح، ولا يسمى بينهما مهر، ولا يفرق بين الزوجين إلا الموت، ولا طلاق لهم، وللرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، وأربع وما فوق الأربع، وأما المرأة إذا مات زوجها فليس لها أن تتزوج وهي بين أحد الأمرين، أما تبقى أرملة طول حياتها وإما ان تحرق نفسها وهو أفضل لها لأنها في عذاب مدة عمرها[٥]. ومن أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفًا بذلك، ونسبوا إلى الوفاء، ومن لم تحرق نفسها، لبست خشن الثياب وأقامت عند أهلها يائسة ممتهنة لعدم وفائها[٦].

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٣، ص١٨٨.

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٦٩.

(٣) رحلة السيرافي، ص٢٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاتق في اختراق الآفاق، ج١، ص٧٨-٨٧.

(٤) **الإيوان:** هو قاعة أو مساحة من الأرض ومحاطة بسور، ويراد به قاعة الدار ومشارفها. العنبسي، طوبيا، **كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفة**، تح: يوسف توما البتاني، ط٢، (مكتبة العرب، مصر،١٩٣٢م)، ص٥.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩؛ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٤٢٨.

(٦) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٤٢٣.

أما النكاح عندهم فهم لا يستترون منه، بل يأتونه جهرًا ولا يرون بذلك بأسًا، وربما فعل الرجل ذلك ببنته أو أخته، ليس يرى بذلك عارًا ولا قبيحًا(١).

وأهل الهند إذا ارادوا التزويج تهانئوا بينهم، ثم تهادوا، ثم يشهرون التزويج **بالصندج**(٢) والطبول، وهديتهم من المال على قدر الإمكان(٣).

والهنود لا يأتون النساء في المحيض ويخرجونهم عن منازلهم تقززًا منهنَّ(٤)، إذ يعتبر الهنود المرأة الحائض نجسة أيضًا، وعدد أيام الحيض عندهم أربعة ولا يحل إتيان المرأة فيها ولا حتى الاقتراب منها، وبعد نهاية اليوم الرابع عليها الاغتسال لتتطهر، وحينئذ يحل مجامعتها حتى لو لم ينقطع الدم عنها(٥).

ومن الغريب إن الهنود يغتسلون قبل الجماع ولا يغتسلون بعده (٦)، على نقيض ذلك فإنهم يغتسلون كل يوم قبل الغذاء ثم يأكلون(٧).

ختامًا إن لبلاد الهند عاداتٍ وتقاليد في الزواج والحيض والنكاح ما يميزهم عن غيرهم من الأجناس العرقية الأخرى.

أما عن البغي(٨) في بلاد الهند سبق وأن أشرنا بأن للهند جزر عديدة، ولكل جزيرة من تلك الجزر ملك يحكمها ويفرض أحكامه على افراد رعيته، ونتيجة لذلك اختلفت

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٧٨.

(٢) **الصندج:** وهو صنفان الأبيض والأحمر، ويدخل في صناعة الطيب، وأجوده المقاصيري ويتبين برائحته ولونه. الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٠.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص ٤٨.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٥) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٤٢٩.

(٦) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٤٢٩.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٨) **البغي:** او البغاء، المعروف بالفساد، ويقال: بَغت المرأةُ، إذا فجرت، وامراة بغي، أي فاسدة. وخرجت المرأة تُباغي، أي تُزاني. الجواهري، الصحاح تاج اللغة، ص١٠٤؛ ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)، **جمهرة اللغة**، تح: رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ١٩٨٧م)، ص٢٥٥؛ ابن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، ص١٢٦.

العادات والتقاليد لكل جزيرة أو مدينة من مدنها، فضلًا عن القوانين التي وضعت للحد من تنفيذ العقوبات على الجُناة. ومن تلك العادات والتقاليد التي أشارت إليها أغلب مصادر الجغرافيون والرحالة على حدٍ سواء ألا وهو البغي في بلاد الهند، إذ نجدها متفاوتة من جزيرة لأخرى، فقد ذكر لنا أبو زيد السيرافي[١] إن في جزيرة سرنديب من يراود المرأة عن نفسها بعلم أهلها، ويذكر: " والفساد في هذا الموقع فاشٍ في النساء والرجال غير محظور حتى أن تجار الحرير بما دعى الواحد منهم إبنة ملكهم فتأتيه إلى غياضهم بعلم أبيها، وكان مشايخ أهل سيراف يمنعون من الجهاز إلى هذه الناحية وخاصة الأحداث "[٢]، ولو سلطنا الضوء على هذه الرواية لأيقنا مدى الفساد في تلك الجزيرة، بما يدعو الواحد منهم ابنة الملك فتأتيه بعلم أبيها، وفي المقابل نرى ورع المسلمين وحرصهم للحفاظ على شبابهم الأحداث من الرحيل إلى تلك الجزيرة خوفًا عليهم من الوقوع بالفاحشة.

أما عادات مملكة القمار على عكس جزيرة سرنديب: " كلهم يحرمون الزنا والأنبذة كلها، فلا يكون في بلادهم ومملكتهم شيء منه "[٣].

ومن القوانين التي وضعت للحد من عقوبة الزاني " وإذا أحضر الرجل منهم امرأة فبغت، فعليها وعلى الباغي بها القتل في جميع بلاد الهند، وإن زنى رجل بأمرأة على رضى منها فقتلا جميعًا "[٤]. ويبدو أن هذه القوانين كانت تنفذ في مملكة قمار، إذ ذكر الحميري[٥] قولاً مفادهُ:" وملك قمار أشدهم غيرة "، فإنه يعاقب في السُكر والزنا بالقتل، والزنا عند سائر ملوك الهند مباح إلا في المحصنين.

---

(١) رحلة السيرافي، ص٨٣؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١-٦٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٧٤.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٣؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦١-٦٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٧٤.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٨؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠٥.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٨.

(٥) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧١.

وحتمًا وبدون شك إن مثل هذه القوانين لا تصدر إلا في مجتمع سعى إلى تحقيق العدالة وفرض النظام، وبالنتيجة كان لملك قمار ثمانون قاضيًا ولو ورد عليهم ولد الملك لأنصفوا منه وأقعدوه مقعد الخصم ووجهوا عليه صريح الحكم(١).

ومن سنن بلاد الهند هو احراق ميتهم ودواب ميتهم وآلاته والحلي، وإذا مات الرجل أحرقت معه امرأته، فهي في الحياة، وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل، والنساء يرغبن في تحريق أنفسهنَّ لدخولهنَّ عند أنفسهنَّ الجنة، وذا فعل من أفعال الهند(٢).

" وإذا مات الملك ببلاد سرنديب صُير على عجلة قريبًا من الأرض في مؤخرها مستلقيًا على قفاه يجر شعر رأسه التراب عن الأرض، وامرأة بيدها مكنسة تحثوا التراب على رأسه، وتنادي: أيها الناس هذا ملككم، بالأمس قد ملككم وكان أمره نافذًا فيكم، وقد صار إلى ما ترون من ترك الدنيا، وأخذ روحه ملك الموت، فلا تغتروا بالحياة بعده، وكلام نحو هذا ثلاثة أيام، ثم يُهيأ له الصندل، والكافور، والزعفران فيحرق به، ثم يرمى برماده في الريح. والهند كلهم يحرقون موتاهم بالنار "(٣).

ونجد نص هذه الرواية عند المسعودي، ويذكر فيها أنه كان موجودًا في هذا اليوم، وهذه الطقوس قد وقعت أمام عينه، بقوله: " ورأيت في بلاد سرنديب وهي جزيرة من جزر البحر، إن الملك من ملوكهم إذا مات صُير على عجلة ... فيحرقون بالنـــــار "(٤)، وعليه إن هذه الرواية تؤكد إن تلك الطقوس بقيت قائمة إلى ما بعد سنة ثلاثمائة هجرية، وهو عام زيارة المسعودي للهند(٥).

---

(١) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧٢.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٨؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٤٢٢.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٩٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٧؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص١٧٨.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٠.

وفي نفس الصدد إن من سنن بلاد الهند احراق موتاهم، وربما أُحرق الملك فتدخل نساؤه النار فيحترقنَّ معه وإن شئنَّ لم يفعلنَّ "[١]. إلا أن البيروني لهُ رآيٌ آخر إلا وهو أن زوجة الملك تُحرق مع الملك شاءت أم أبت، وعلل سبب ذلك، بقوله: " احتراسًا من زلة تندر منهن "، أما الزوجة العجوز فإنها تترك ولا تحرق، أما ذوات الأولاد فيشترط على الإبن الأكبر أن يتكفل بصيانتها وحفظها[٢].

والجدير بالذكر إن في جزيرة سرنديب ثلاثة ملوك في آنٍ واحد إذا مات الملك الأكبر قطع أربع قطع، وجعلت كل قطعة في صندوق من خشب الصندل والعود وحرق بالنار والرجال يتهافتون خلفه في النار حتى يحرقون أنفسهم، ثم يتبعه رجاله وبقية الملوك وامرأته غالبًا ما تحرق نفسها معه[٣].

وأهل الهند إذا مات لأحدهم ميت حلق رأسه ولحيته ولابد للأرملة أن تظل بغير زواج، وأن تحلق شعرها وتحيا حياتها معتنية بأطفالها ومشتغلة بأعمال البر والاحسان، كما ولها حق بأملاك زوجها غير إن هذه القواعد لم تجد قبولًا إلا عند النساء المحافظات على التقاليد من نساء الطبقتين العليا والوسطى، وهولاء نسبتهم ثلاثون في المئة من مجموع السكان[٤].

ومن سُنن بلاد الهند مراسيمهم لدفن الموتى، فقد كانت بدائية تمامًا، إذ كانوا يحفرون حفرة طويلة وعريضة ويدفنون فيها الجثة مع أدواتها اللازمة في الحياة، مثل الأواني والأدوات الشخصية وما يتعلق بالزينة والحمام، ولم يفسر لنا أحدٌ حتى الآن سبب هذه الظاهرة، ومن الجائز جدًا أنهم آمنوا بحياة أخرى بعد الموت، وظنّوا إن هذه الأدوات سوف تساعد الموتى في الحياة الثانية[٥].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧.

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٤٢٩.

(٣) ابن الفقيه، البلدان، ص١٠.

(٤) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٣، ص١٨٣.

(٥) الندوي، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، ص٤٦-٤٧.

أما الهنود فيرون من حق الميت على ورثته أن تغسل جثته وتعطر وتكفن ثم تحرق بما أمكن من صندل أو حطب، وتُحمل بعض عظامه المحترقة وترمى في النهر[١].

وعليه فإن هذه العادات والتقاليد المتبعة في بلاد الهند تختلف عن البلدان الأخرى وهي عادة منبوذة ولكنها من شعائرهم وعقائدهم التي توارثوها.

أما وسائل اللهو والأنس في بلاد الهند، أشار أبو زيد السيرافي[٢] إلى أن من وسائل التسلية واللهو عند المجتمع الهندي في حقيقته هي اللعب **بالنَرد**[٣].

دائمًا[٤] وهي على خطر واسع، حتى إن أهل الضعف منهم ومن لا مال له ممن يذهب إلى طلب الباطل والفتوة[٥]، ربما لاعب في أنامله وإلى جنبه شيء قد جُعل فيه من دهن الجوز أو دهن السمسم، إذا كان الزيت معدومًا عندهم وتحته نار تحميه وبينهما فأس صغير مشحوذ، فإذا غلب أحدهما صاحبه وضع يده في الدهن وهو

---

(١) ول ديوارنت، قصة الحضارة، مج١، ج٣، ص١٨٣.

(٢) رحلة السيرافي، ص٨٢.

(٣) **النرد:** صنع النرد في زمن الباهبودين البرهمن، وأحداث اللعب بها وجعل ذلك مثالًا للمكاسب، وجعل بيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور، وإن كلابها ثلاثون كلبًا بعدد أيام الشهر، وإن الفُصّينِ مثال للقدر وتَلّعبه بأهل هذا العالم، واستمر الهنود باللعب بهذه اللعبة إلى أن حل الشطرنج محل هذه اللعبة، وكان هذا في زمن الملك بلهيت، ولعب الأخير من حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الحيوان، وجعلهم درجات ومراتب، ولعل من المفيد أن نشير إلى أن السيرافي لم يتناول ذكر لعبة الشطرنج، بل انفرد بذكر لعبة النرد ولعبة القمار بالديكة. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٤؛ ج٤، ص١٨١؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٣، ص١٩١.

(٤) يشير المؤرخ إلى إن الهنود اعتقدوا أن لعبهم بالنرد يحقق لهم السعادة، وإن الأرزاق والخطوط لا ياتي للإنسان في هذه الدنيا إلا بالحدود. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص٦٤.

(٥) يشير أبو زيد السيرافي أن لعب النرد لم يكن خاصًا بالطبقة المالكة أو الطبقة الوسطى فقط كانت مباحة على طبقة الفقراء ومنهم من يقامر على أصابعه، إذ يقطع الغالب إصبع المغلوب، وقد لا يغادر المغامرون مجلسهما إلا وقد قطعت أصابعهما جميعًا، وهذه دلالة على إنه المغلوب. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٨١.

في نهاية الحرارة فيكويها ولا يقطعه ذاك عن المعاودة في اللعب، فربما افترقا وقد بطلت أناملهما جميعًا.

ومنهم من يأخذ الفتيلة فينقعها في الدهن، ثم يضعها على عضو من أعضائه ويشعل النار فيها، فهي تحترق ورائحة اللحم تفوح وهو يلعب بالنرد ولا يظهر منه جزع "(١).

ومن لعبهم أيضًا القمار بالديكة ، ويستعملون لها الخناجر الصغار المرهفة ما يشد على **صياصيها**(٢)، ثم ترسل وقمارهم في الذهب والفضة والنبات وغير ذلك، فيبلغ الديك الغالب جملة من الذهب(٣). وذكر إن لملك الزايج في مملكته من قمار الديوك في اليوم نحو من خمسين مًنا من الذهب، وذلك إن له فخذ الديك الغالب فيفتديه صاحبه(٤). ولابد من الاشارة إلى أن الديكة عندهم عظيمة الأجسام وافرة الصياصي(٥) (٦).

كما يذكر أن الهنود يعيبون الملاهي ولا يتخذونها(٧)، إلا أن المسعودي يذكر إن في مملكة المهراج أنواعًا من الملاهي المطربة المستلذة، ويسمع إيقاع الرقص والتصفيق، ومن يسمع ذلك يميز بين كل نوع من أصوات الملاهي وغيره(٨). ولهم

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٢.

(٢) **صياصيها**: صيصة الديك: الشوكة التي في مؤخرة رِجله. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣١١.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٢.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٦٨.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٨٢.

(٦) **ويبدوا أن الديوك في الهند وتحديدًا في كولم ملي هي ديوك صينية : إذ** ذكر بن بطوطة ان دجاج الصين وديوكها ضخمة جدًا أضخم من الأوز عندنا، وبيض الدجاج عندهم أضخم من بيض الأوز عندنا، وأما الأوز عندهم فلا ضخامة لها، ويكون الديك بها على قدر النعامة، وربما انتف ريشها فيبقى بضعة حمراء، وأول ما رأيت الديك الصيني بمدينة كولم، فظننته نعامة وعجبت به، فقال له صاحبه: إن ببلاد الصين ما هو أعظم منه، فلما وصلت إلى الصين رأيت مصداق ما أخبروني به من ذلك. رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٦٤٠.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧.

(٨) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٠.

من الآلات الكنكنة، وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود[١]. وعليه إن لبلاد الهند أنواعًا من الألعاب ويشترك في لعبه جميع طبقات المجتمع الهندي.

ث- السرقة وقانون العقوبات الهندي:

يبدو أن الأمان الذي نعم به الفرد الهندي؛ بسبب قوة القانون الذي فرضته سلطة الملك وأعوانه وعزمهم في تنفيذ العقوبات على الجُناة، إذ يذكر أن ملك الجرز وهو كثير الجيش ليس في الأمم في الهند مثل خيله، وليس في بلاد الهند آمن من السرقة فيها[٢]. ومن سُنن بلاد الهند انهم يقتلون السارق ويؤدون الأمانة وينصفون من أنفسهم من غير احتياج إلى حاكم أو مصلح[٣]. وعليه إن السرقة كانت من السمات المنبوذة في المجتمع الهندي. وعقوبة السارق إذا سرق فلسًا فما فوقه أخذت خشبة طويلة فيحدد طرفها، ثم يقعد عليها أستهُ حتى تخرج من حلقه[٤].

ليس هذا فحسب، فهم يعلقون السارق ويقتلونه إذا سرق الجوزة الواحدة، فإذا سقط شيء من الثمار لم يلتقطه أحد، حتى يأخذه صاحبه، وأخبرت أن بعض الهنود مروا على الطريق فالتقط أحدهم جوزة، وبلغ خبره إلى الحاكم فأمر بعود، فركز في الأرض ويرى طرفه الأعلى وأدخل في لوح خشب حتى أبرز منه، ومد الرجل على اللوح وركز في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للناظرين[٥].

وعليه فإنَّ قانون العقوبات في الهند كان صارماً ولا يميز بين طبقات المجتمع فيروا أن لملك قمار ثمانون قاضياً ولو ورد عليهم ولد الملك لأنصفوا منه وأقعدوه مقعد الخصم ووجهوا عليه صريح الحكم[٦].

---

(١) المسعودي، أخبار الزمان، ص١٧٧.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٤-٣٥.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٤؛ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٤٧٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٨؛ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٤٧٥.

(٥) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٥٦٩.

(٦) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧٢.

أما عن البناء والعمران وطرازه في الهند أو جزرها، فلم يذكر السيرافي سوى المواد المستخدمة في البناء والتي هي الحجارة، والجص، والآجر، والطين[١].

٢- الجوانب الاجتماعية لبلاد الصين:

أ- صفات الجنس الصيني:

وصف أهل الصين بأنهم أهل جمال وطول وبياض نقي مشربًا بالحُمرة، وهم أشد الناس سواد شعور، ونساؤهم يجزُّونَّ شعورهنَّ، ولها قرية يقال لها تايوا في الجبال فهم قُصّر، وكل قصير ببلاد الصين ينسب إليها[٢].

كما يغلب عليهم الشكل المستدير للوجه، وفطوسة الأنف وهم بيض الوجوه كلهم ليس فيهم أسود ولا أسمر وهم أشد بياضًا من الروم وأنصع ألوانًا وأرق بشرة[٣]. وأهل الصين على عكس أهل الهند لا لحى لهم[٤].

ويبين المروزي[٥] العلاقة بين البيئة الانسان وكيفية تأثير الأول على الثاني أو كما يقال الانسان نتاج بيئته، ولقوله: " لما كانت بلادهم موضوعة في مشارق الشمس كانت أهويتها صافية ومياهها باردة عذبة، وتربتها طيبة وإذا كانت البلاد بهذه الصفة كانت سكانها وعمارتها كذلك "، لذا " فأهل الصين معتدلوا المزاج، حسنوا الشكل والصورة، سلسوا الأخلاق، وهم أجناس مختلفة البلاد والمساكن ".

كما وصفهم رحالة آخر بأن أهل الصين بيض إلى صفرة، فُطس الأُنوف[٦]، ويغلب على أهلها استدارة الوجوه[٧].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص١٧٤.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٥.

(٣) المروزي، أبواب الصين والترك والهند، ص١٠-١٣.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩.

(٥) أبواب في الصين والهند والترك، ص٢.

(٦) المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥.

(٧) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٢.

والسبب في تركهم الشعور على رؤوسهم أعني الرجال؛ امتناعهم من تدوير رأس المولود وتقوية كما يستعمل العرب وقولهم في ذلك مما يزيل الدماغ عن الحالة التي خلق فيها، وإنه يُفسد الحاسة المعروفة، فرؤوسهم مدورة يسترها الشعر ويعفى عليها، أما عن البشرة، فيتصف الجنس الصيني بياض البشرة واستدارة الوجه وقُصر القامة على الأغلب(١).

وهذه الرواية تؤكد أن بلاد الصين يتركون شعور رؤوسهم من غير رباط أو العمل على تصفيفهُ، بل يتركونهُ، لقولهم أن ربط الشعور يؤدي إلى تدوير رأس المولود وهذا ما يزيل الدماغ عن حاله الطبيعي الذي خلق فيها، وعليه إن غايتهم في عدم ربط وتصفيف الشعر هو حفاظًا على الدماغ،وعلى هذا الأساس كانت صفات الجنس البشري الصيني لدى جميع الرحالة هي تقريبًا متشابهة.

ب-المظاهر الإجتماعية للمجتمع الصيني:

من المظاهر الإجتماعية المهمة في المجتمع الصيني هي مسألة المأكل والمشرب، لذلك نجد تنوعًا ملحوظًا في المجتمع الصيني في بعض الأكلات والمشارب التي لا توجد في المجتمعات الأخرى، فطعامهم الحنطة والأرز(٢).

كما يأكلون لحوم البشر، " فربما جار الملك الذي من تحت يد الملك الأكبر فيذبحونه وياكلونه، وكل من قُتل بالسيف أكل الصينيون لحمه "(٣)، كما يأكلون الميتة وما شابهها(٤). وكفّار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في أسواقهم(٥).

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٧؛المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٢

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٨.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٣.

(٥) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٦٤١.

ويذكر السيرافي[١] طريقة طبخ الأرز في الصين، لقوله: " وطعامهم الأرز، وربما طبخوا معه الكوشان وهو عصير العنب فصبوه على الأرز فأكلوه، فأما الملوك منهم فيأكلون خبز الحنطة واللحم من سائر الحيوان ومن الخنازير وغيرها "[٢]. ومن سننتهم لا يستاكون لا قبل الأكل ولا بعد[٣].

أما شرابهم فهو من النبيذ المعمول من الأرز، وليس في بلادهم خمر، ولا تُحمل إليهم ولا يعرفونها ولا يشربونها ويُعمل من الأرز الخل والنبيذ[٤]. وليس ذلك أفة، ويقولون أي ملك شرب الشراب فليس بملك، ويقولون كيف يدير أهل ملكه وهو سكران[٥].

أما عن لباس أهل الصين، فهو الحرير، إذ يشير سليمان التاجر[٦] إلى لباس أهل الصين، بقوله: " ولباس أهل الصين الصغار والكبار الحرير، في الشتاء والصيف، فأما الملوك فالجيد من الحرير، ومن دونهم فعلى قدرهم[٧]، وإذا كان الشتاء لبس الرجل السروالين والثلاثة والأربعة والخمسة[٨]، وأكثر من ذلك على قدر

(١) رحلة السيرافي، ص٣٢-٣٣؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٨-١٩.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٢-٣٣؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٨-١٩.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٢-٣٣.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧-٤٨.

(٦) رحلة السيرافي، ص٣٢؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٢.

(٧) يشير التاجر إلى نوع القماش المفضل لدى الصينيون هو الحرير، ويكون لباس الملوك وعامة الناس، إلا أنه يشير إلى أمر مهم ألا وهو إن نوع الحرير، فالملوك يلبسون الجيد من الحرير، أما الفقراء من دونهم على قدرة الفرد الواحد من الثراء. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٢.

(٨) الدليل على ما جاء به سليمان التاجر رواية جاء بها أبو زيد السيرافي عندما تناول موضوع حذق أهل الصين في صناعة الحرير، بقوله: إن رجلًا من وجوه التجار ورد إلى بلاد الصين، وصار إلى خصي الملك، لَمَحَ على صدره خالًا يشف من تحت ثياب حرير، فقدر التاجر أنه قد ضاعف بين ثوبين، فلما ألح في النظر، قال له الخصي: أراك تديم النظر إلى صدري، فقال له الرجل: عجبت من خال يشف من تحت هذه الثياب، فضحك الخصي، ثم طرح كُمَّ قميصه إلى الرجل، وقال له: أعدد ما على منها، فوجدها خمسة أقبية بعضها فوق بعض، والخال يشف مـــــن تحتها. وهذه =

ما يمكنهم، وإنما قصدهم أن يدفعوا أسافلهم لكثرة الندى وخوفهم منه، فأما الصيف فيلبسون القميص الواحد من الحرير ونحو ذلك لا يلبسون العمائم "(١).

وهناك أنواع أخرى من الثياب الحرير منسوجة من الذهب(٢). ومن أوجه المقارنة التي أوردها سليمان التاجر(٣) بين هيئة لبس أهل الصين والهند إذ ذكر أن لباس أهل الصين أجمل من أهل الهند، وهم أشبه بالعرب في اللباس، وشكل الثياب فهم يرتدون الأقبية، كما إن مواكبهم ودوابهم تشبه ما هو موجود في البلاد الإسلامية. إضافة لذلك يرتدي أهل الصين **الجباب**(٤) والعمائم ولا يلبسون **القلانس**(٥).

إضافة لذلك كان لباس أهل الصين **الديباج**(٦) وعامتهم يوسعون أكمامهم ويطولون

ذيولهم تنجر في الأرض(٧).أما عن زي نساء الصين وحليهم، فهُنَّ يكشفنَّ رؤوسهنَّ ويجعلنَّ فيها الأمشاط، فربما كان في رأس المرأة عشرون مشطًا من العاج وغير

=الرواية تدل على إن أهل الصين يلبسون من السراويل والأقبية ما يزيد على أربعة أو خمسة. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٩؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٥.

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٢؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٢.

(٢) المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥.

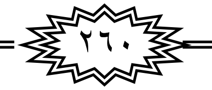
(٣) رحلة السيرافي، ص٣٣؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣.

(٤) **الجباب:** مفردها الجُبّة، ثوب للرجال مفتوح الأمام يُلبس عادةً فوق القفطان. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٦٢؛ إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص١٠٥.

(٥) **القلانس:** غطاء للرأس مختلف الاشكال واللوان. ينظر: إبراهيم المعجم العربي لأسماء الملابس، ص٤٠٢.

(٦) **الديباج:** ثوب من الحرير، الديباج ثوب سداة ولحمته إبريسمن أي الحرير. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ/١٣٨م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تح: عبد العظيم الشناوي، (دار المعارف، القاهرة ، بلات)، ص١٨٨.

(٧) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص٣.



ذلك، والرجال يغطون رؤوسهم بشيء يشبه القلانس[١]. وأشرف حُليهم من قرون الكركدن[٢].

ويلاحظ أن أهل الصين من أحذق خلق الله بالنقش وصنعه، وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم، والرجل منهم من يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجر عنه، وسبق ،وأن أشرنا إلى إن رجلًا صور سنبلة سقط عليها عُصفور في ثوب حرير، لا يشك الناظر إليها أنها سنبلة سقط عليها عصفور، وجاء أحدب فعاب العمل، فأدخل على الملك، فسأل الأخير الأحدب عن العيب، فقال الأحدب: كيف المصور السنبلة فنصبها قائمة لا ميل فيها، وأثبت العصفور فوقها منتصبًا، إذ صدق الأحدب وأخطأ الرسام[٣].

ت .العادات والتقاليد الاجتماعية في بلاد الصين:

إتفقت بعض المصادر مع السيرافي على إن بلاد الصين شعوب وقبائل كشعوب بني إسرائيل وبطونها، يتعارفون ذاك بينهم ولا يزوج أحدٌ منهم قريبًا ولا ذا نسب، فلا تتزوج القبيلة من قبيلتها، مثال ذلك أن بني تميم لا تتزوج في تميم، وربيعة لا تتزوج في ربيعة، وإنما تتزوج ربيعة في مُضر، ومضر في ربيعة، ويدّعون إن ذلك أنجب للولد "[٤].

إلا أن المسعودي[٥] جاء على عكس من ذلك، فقد ذكر أن كل قبيلة من القبائل في الصين لا يتزوج إلا من قبيلته، ومثال ذلك أن تميم لا تتزوج إلا من قبيلة تميم وهكذا، ويزعمون أن في ذلك صحة النسل، وقوام البُنية، أو أصح للبقاء وأتم

---

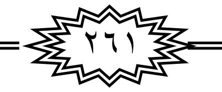
(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٣-٤٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٤.

(٢) المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٦٠؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٣؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٢.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٧-٧٨؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١.

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٧.



للعمر. والصحيح هو ما قال أبو زيد في هذه المسألة، ولا يزال الصينيون محافظين على هذا النظام الاجتماعي(١). وهذا لا يعني أن الزواج بين الأقارب كان معدومًا إلا أن ثمة قيود تفرض على الزواج بين الأقارب، ومنها: إن الزوج يجب أن يكون من أُسرة معروفة من زمن بعيد للأب الذي يبحث عن زوج لأبنه ابنته ولكنها بعيدة النسب عنه بُعدًا يجعلها خارج دائرة عشيرته، وهذا القول يصدق على الزوجة(٢).

وقد ذكر بن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) عيوب زواج الأقارب، إذ كان يفضل زواج الغرائب، أي المرأة البعيدة أو زواج الأباعد، فالخير في الزواج بالمرأة الأجنبية التي لا تربطها أي صلة قرابة بعيدة أو قريبة من العائلة، ولهذا كره نكاح الأقارب(٣).

وعليه إن " مشاعية زواج قرابة الدم اللذان ينتميان إلى السلم العائلي المتشابه يمكن أن يتزواجا ما دام الفتى والفتاة من جيلٍ واحد، ... وأدركت البشرية بصورة تدريجية الأضرار الناجمة عن زواج قرابة الدم، والبحث عن الزواج خارج نطاق تجمعات العشيرة التي تتأى عن قرابة الدم وترتب على ذلك نشوء ما عُرف بـ " ثنائية الزواج بين العشائر "(٤).

ومن سُنن بلاد الصين عندما يريدوا التزويج، تهانئوا بينهم بدايًة ثم تهادوا، ثم يشهرون التزويج بالصندج والطبول، وهديتهم من المال على قدر الإمكان(٥). كما

لهم أن يتزوجوا ما شاءوا من النساء، فللرجل منهم ثلاثون امرأة فما دون ذلك أو فوقه(٦).

---

(١) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٩١-٩٢.

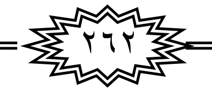
(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص٢٦٩.

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد، **صيد الخاطر**، تح: عبد القادر أحمد عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٢٧-٣٢.

(٤) عبد العزيز، لمحة عن ثقافة الصين، ص٦٢١-٦٢٢.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٨.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٦٢٨.



ويبدو أن هذا القانون محددًا لذوي الطبقة المالكة والوسطى؛ لأن المستشرق ول ديورانت[١] ذكر " إن الفقراء يكتفون بزوجة واحدة ". ومن سُننهم يأتون نسائهم في الحيض ولا يخرجونهنَّ[٢]، ولا يغتسلون من جنابة[٣].

وفي الحقيقة نجد العديد من السنن المتناقضة في الحياة الإجتماعية لبلاد الصين، ومنها أنهم يأتون النساء في الحيض ولا يغتسلون من جنابة، وفي نفس الصدد فهم يتباهون بنظافة الثياب ويكرمون كل من يردهم من التجار من هو أنظف وأحسن ثيابًا منهم[٤].

ومن سُنن أهل الصين أنهم يبولون قيام، وكذلك سائر رعيتهم من أهل بلادهم، فأما الملوك والقوّاد والوجوه فلهم أنابيب من خشب مدهونة طول كل خشبة منها ذراع، وفي الطرفين ثقبتان تسع العليا للحشفة فيقف على رجله إذا أراد البول، ويباعدها عن نفسه ويبول فيها، ويزعم أن ذلك أصح لأجسامهم، وإن سائر ما يعتري من وجع المثانة والبول من الإستحجار فيها، إنما هو من الجلوس للبول، وإن المثانة لا تصفوا بما فيها إلا مع القيام لذلك[٥].

أما عن الختان في بلاد الصين يذكر أنهم لا يختتنون[٦]. ومن العادات السيئة عند أهل الصين هو انتشار اللواط بينهم؛ وذلك من خلال غلمان أقيموا لذلك، وهم

بمـــــنزلة زوانـــــي البددة[٧].كما إنهم يبيحون الزنا ولا ينكرون شيئًا منه، والمرأة إذا لم تكن محصنة وأرادت الفجور رفعت إلى الملك بذكر حالها وما ذهبت إليه، فيبعث إليها حلقًا من نحاس فتجعله في عنقها ولبست المصبغات وعملت ما شاءت علانية،

---

(١) قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص٢٧٠.

(٢) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٠.

(٤) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٢.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٧؛ إبراهيم، عام القرون الوسطى في أعين المسلمين، ص١٦.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩.

فإذا ولدت الذكور خُصوا واستعملهم الملك في داره وأعماله، وإن كان الذي ولدت أُنثى كانت على رسم أُمها(١). وذكر من زار بلادهم أن الجواري عندهم رخيصات الأثمان، إلا أن أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم، وليس ذلك عيبًا عندهم(٢)، ويبيعوهم في الأسواق ويُعرفن بالزنا فالسلطان عليهم ضريبة وهُنَّ من سفلتهم وسُّقاطِهم(٣).

وسبيل تلك النساء الزواني أن تحضر مجلس صاحب الشرطة فتذكر زهدها في الإحصان ورغبتها في الدخول في جملة الزواني، وتسأل حملها على الرسم في مثلها، ومن رسمهم فيمن أراد ذلك من النساء ان تكتب نسبها وحليتها وموضع منزلها وتثبت ذلك في ديوان الزواني(٤).

ومن العقوبات التي فرضت على الرجل الزاني أن يُصلب حتى يموت، أو يؤتى بصاحبه أو عبده فيصلب عوضًا عنه، ويسرح هو(٥). ويذكر من زار الصين في بلادهم من العاهرات ما لا يحصى عددهُنَّ وما لا يتصور العقل جمالهنَّ، وهؤلاء البغايا مرخص لهنَّ بمزاولة مهنتهنَّ، وتنظم الدولة أمورهنَّ وتراقبهنَّ من الجهة الطبية(٦).

وعليه ختامًا إن البغي في بلاد الصين لم تكن إلا بموافقة المرأة وتسجل الأخيرة إسمها في سجل بديوان الزواني، والرجل منهم إذا زنا يصلب حتى الموت.

أما عن طريقة دفن الموتى، أشار السيرافي نقلًا عن سليمان التاجر(٧) عن عادات الموت في بلاد الصين، وذكر فيه: " وإذا مات الرجل من أهل الصين لم

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩، المسعودي، أخبار الزمان، ص٩٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٠-٣٧٢.

(٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٦٤٤.

(٣) المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، ص١٣.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٧.

(٥) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٦٢٨.

(٦) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٧) رحلة السيرافي، ص٣٩-٤٠.

يدفن إلا في اليوم الذي مات في مثله من قابل، ويجعلونه في تابوت[١]، ويضعونه في منازلهم[٢]، ويجعلون عليه النورة، فتمص ماءهُ ولا ينقص .أما الملوك يُجعلون في الصبر والكافور ".

ومن عادات أهل الصين أنهم يحرقون موتاهم كما تفعل الهنود من عبدة البراهمة[٣]. أما عزائهم على ميتهم " فهم يبكون على موتاهم ثلاث سنين "، ومن لم يبكِ ضُرب بالخشب، كذلك الرجال والنساء، ويقولون إنه لم يحزنك ميتك، ويدفنون في ضريح كضريح العرب، ولا يقطعون عنه الطعام ويزعمون أنه ياكل ويشرب، ولذلك يضعون عنده الطعام بالليل فيصبحون ولا يجدون منه شيئًا، فيقولون أكل ولا يزالون في البكاء والإطعام ما بقى الميت في منزلهم فيفترقون على موتاهم، فلا يبقَ لهم نقد ولا ضيعة إلا أنفقوه عليه، وقد كانوا قبل هذا يدفنون الملك وما مَلَك من آلة بيته من ثياب ومناطق، ومناطقهم تبلغ مالًا كثيرًا، وقد تركوا ذلك الآن؛ وذلك أنه نبش بعض موتاهم وأخذ ما كان معه "[٤]، ولابد من الاشارة إلى أن أبو زيد الســـيرافي[٥]، وقف بالضد فيما جاء عند سليمان التاجر، فجعل ما جاء به الأخير من الخرافات، لقوله: " ووجدتُ جميع ما حكى في الكتاب على سبيل حق وصدق، إلا ما ذكر فيه من الطعام الذي يقدمه أهل الصين للموتى منهم، وأنه إذا وضع بالليل عند الميت أصبحوا فلم يوجد وادعوا أنه يأكله، فقد كان بلغنا هذا حتى ورد

---

(١) يذكر المروزي أنه نقيرٍ من خشب كهيئة التابوت أي يشبه التابوت وهذا النقير الذي يوضع فيه الميت يمكث في ارضهم ألف سنة وأكثر، لا تكاد تتعفن فيه الجثة. أبواب في الصين والترك والهند، ص١٢.

(٢) ويطرح عليه أدوية تحفظ جثته عن النتن والتحلل، وهنا يشير كل من السيرافي والمروزي إلى نوع المواد المستخدمة لحفظ الجثة، فهي تختلف من طبقة اجتماعية لأخرى، فالملوك يجعلون في الصبر والكافور، أما الطبقة العامة يغطى بالنورة وبعض المواد التي تسحق حتى تصير كالذُرُور فيُنّشف رطوباته ولا ينتن. السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٠؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٢.

(٣) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٦٤١.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩-٤٠.

(٥) رحلة السيرافي، ص٥٣.

علينا من ناحيتهم من وثقنا بخبره فسألناه عن ذلك فأنكره، وقال: هي دعوى لا أصل لها كدعوى أهل الأوثان أنها تكلمهم "[١].

إلا أن المستشرق رينو كان له رأي آخر، لقوله: " من المرجح أن التاجر سليمان قد أحدث بعض الإلتباس مع العُرف الصيني الذي ينص على إنه المراسيم التي أُقيمت تكريمًا للموتى[٢]، وتجد صحة ما ورد عند المستشرق رينو لدى المروزي؛ لأنه أشار لمراسيم دفن الميت عندهم، إذ ذكر: وإذا جاء وقت دفنه وأرادوا حمله إلى قبره إن كان موسرًا وضعوا على الطريق من منزله إلى موقع القبر أنواع من الأطعمة وربما حُمل معه دوابهُ وثيابهُ وتمزق على قبره[٣].

أما وسائل التسلية واللعب في بلاد الصين، فلا يخلو أي مجتمع من المجتمعات من مظاهر اللعب والتسلية والطرب، وعُدّت الصين من إحدى تلك المجتمعات التي عُرفت باللهو والطرب، وذكر بأن " أهل الصين أهل ملذات[٤]، وفي جزيرة يسمع منها على دوام الأوقات أصوات الطبول والعيدان وسائر أنواع الملاهي المطربة المستلذة، ويسمع إيقاع الرقص والتصفيق، ومن يسمع ذلك يميز بين كل نوع من أصوات الملاهي وغيره[٥].

ث.السرقة وقانون العقوبات الصيني:

ولأهل الصين قُضاة يحكمون بينهم دون العمال[٦]، ومن سننهم في اللصوص أن يُقتل اللص إذا أُصيب[٧]، ويؤدون الأمانة وينصفون أنفسهم من غير احتياجهم إلى

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٣.

(٢) AL-SIRAFI,REATION DANS L,IMDEET ALACHINE.REINAUD, P 26.

(٣) المروزي، ابواب في الصين والترك والهند، ص١٢.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٧.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٢٠.

(٦) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩.

(٧) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٣؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٤.



حـــــاكم أو مصلح[١]، وليس للجاني إلا القتل إلا جناية القذف، فإنه من قذف إنسانًا ضُرب بالخشبة ضربًا مبرحًا وخُلي سبيله[٢].

ومن حكمهم من سرق زيادة على مائة فلسٍ وهو عشرة دراهم يُقتل ولا يُترك البتة[٣]. ولو أجرينا مقارنة بقانون العقوبات الخاصة بين سُراق الهند والصين، فنجد ان في كلا الدولتين تتطابق بينهما نفس العقوبة وهي (عقوبة الموت)، ولكن بطرق مختلفة، ففي بلاد الهند أخذت خشبة طويلة ويقعد عليها أُسته حتى تخرج من حلقه[٤].

ومن سُنتهم أن الرجل إذا أذنب ذنبًا يستوجب العقوبة، فلا يعاقب إلا بعد أن يعترف بذنبه ويبذل خطه بذلك ويُعرض خطهُ على أُمناء الملك ويأمر الأخير بتأديبهِ على جنايته[٥]. وعلى هذا الأساس فإن القانون الصيني لم يترك جُرمًا إلا ووضع له عقوبات للحد والتقليل من وقوع الجرائم والمظالم.

٥-قانون الضمان الاجتماعي للفرد الصيني:

من أبرز القوانين التي عرفها المجتمع الصيني هي تلك المتعلقة بالتسجيل المدني للولادات، فالكل في بلاد الصين لا يشتبه عليهم السن بفضل هذا القانون " وإذا ولد لأحد ذكر كتب إسمه عند السلطان، فأذا بلغ ثماني عشرة سنة أُخذت منه الجزية[٦]، فإذا بلغ ثمانين سنة لم يؤخذ منه جزية وأجرى عليه من بيت المال،

---

(١) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧١.

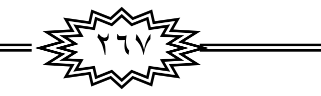
(٢) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٢.

(٣) المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، ص١٤.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٨؛ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة، ص٤٧٥.

(٥) المعروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٥.

(٦) لابد من الأشارة أن سليمان التاجر أذ شبهَ نظام الضريبة على الفرد الصيني ،بنظام الجزية عند المسلمين ؛والمعروف أن الجزية من أقدم المصطلحات الأسلامية تداولًا والمعروف عن هذهِ الضريبة يدفعها اهل الكتاب بصفةُ عامة ،وقد يسأل القارئ لماذا شبه سليمان التاجر النظام الظريبي في الصين بنظام الجزية عند العرب ؟ ويمكننا أن نستنتج ذلك من خلال ما جاء عند السيرافي نفسهُ ،أذ من المعلوم أن ضريبة الجزية فرضـــــــــت علـــى أهل الكتاب تميزًا بينهم=



ويقولون: إخذنا منه شبابًا وتجري عليه شيخًا. لذا ألزم هذا القانون الذكور عند بلوغهم سن الثامنة عشر بدفع الجزية، وهي نوع من أنواع الضرائب يؤخذ من الفرد الصيني إلى أن يصل إلى سن ثمانين عامًا.[١] يذكر " سبعين عامًا "، وعليه ينفقون عليه من بيت مال الملك.

وعليه إن القانون الصيني اختص بالذكور دون الإناث، ومن قوانينهم بحق المرأة أن ترث الإناث أكثر من الذكور[٢]، ولو أمعنا النظر فيما جاء به السيرافي عن الضرائب المفروضة في بلاد الصين، فهي نوعين الأول يختص بالرجل الصيني، أما الثاني على التجار الأجانب، إذ يؤخذ الثلث من مجمل التجارة المحملة لبلاد الصين سواء برًا أو بحرًا[٣].

ج- مجال التعليم:

يضمن القانون الصيني مسؤولية تعليم وإعالة الشريحة الفقيرة، " فالفقير والغني من أهل الصين والصغير والكبير يتعلم الخط والكتابة "[٤]. إذ في كل مدينة من مدنهم كُتّابًا ومعلم يُعلم الفقراء وأولادهم من بيت المال يأكلون[٥]، وهذا يدل على إن التعليم كان مجانًا في بلاد الصين في العصور المبكرة وكانت بلادهم أقدم الأمم في الشرق، وأقواها وأكثرها حياًة ونشاطًا في سبيل التقدم الإنساني، فاهتمت بالعلم والقراءة والكتابة والعلوم أيضًا لا سيما علم الفلك والنجوم والطب[٦].

=وبين المسلمين الذين فرض عليهم الزكاة ،أما النظام الضريبي في الصين أيضا جعلوا بها شرط التميز ،أذاختص هذا القانون بالذكور دون الأناث . للسيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٥.

(١) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١١-١٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٣.

(٢) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٠.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٣٩؛ المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١١؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص١٠٦.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٠.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٥.

(٦) الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص٩٣.

ح- البناء العمراني في بلاد الصين:

يشير سليمان التاجر إلى المواد الأولية المستخدمة في البناء والعمران ببلاد الصين " وحيطان أهل الصين الخشب، وبناء الهند حجارة وجص وآجر وطين، وكذلك ربما كان بالصين أيضًا[١].

والبلد مبني على ما قيل من خشب ومن قنا[٢] مشبك على مثال الشقاق القصب عندنا ويليط بالطين وبعلاج لهم يتخذونه من حب الشهدانج فيصير في بياض اللبن، تدهن به الجدر فيشرق إشراقًا عجيبًا[٣].

وعليه كانت مباني الصين أكثر عُرضة للحرائق التي كثيرًا ما تحدث " فيأتي الحريق على المتاع، وذلك إن بيوتهم هناك من خشب القنا "[٤]، وكان هذا سبب عامل من عوامل قلة المتاع إلى بلاد العرب " فيأتي الحريق على المتاع، وذلك إن بيوتهم هناك من خشب القنا "، وعليه كان للصينيون تدابير خاصة، إذ يجلبون كل ما يملكونه من نفائس وذخائر من صناديق مركبة على عجل وفي حالة الخطر دفعت بما فيها إلى الخارج، وقد بنيت مخازنهم بدون عتب (أي عتبة الدار)، ويعلل أبو زيد السيرافي ذلك؛ فإذا وقع الحريق دفعت تلك الصناديق بما فيها فلم يمنعها العتب من سرعة النفوذ[٥].

أما دور العامة يكون ذو بناء واسع، ويجعلون عتباتها مرتفعة لتمنع دخول القمامة، فهم يحرصون على نظافتها، ويزينوها بالنقوش الجميلة ويضعون في مجالسها التماثيل المختلفة[٦].

---

(١) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٤٩.

(٢) أي خشب الخيزران، وهذا الخشب يعرف بطبيعته المرنة الذي يستعمل لعدة أغراض منها بناء الجدران أو الأرضية فتشبك اطرافه ثم تضاف إليه طبقة من الطين المعالج. ينظر: ول ديرانت، قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص١٨٥-١٨٦.

(٣) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٨.

(٤) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢٤.

(٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٥٨.

(٦) المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، ص١٥.

ويقتصر استعمال الآجر عادة على الجدران الخارجية، أما السقف فتتخذ من لبنات رقيقة، وأما الأعمدة مُزينة والجدران الداخلية تقام من الخشب(١).

وأهل الصين ليسوا بأصحاب فرش(٢). أما سككهم مغطاة بكنائس من خشب الشربين، وكذلك أكثر أسواقهم، وتكنس في كل يوم دفعاتٍ وترش(٣). وذكر بن بطوطة وهو يتجول في بلاد الصين أتو بنا إلى بُستان عليه حائط من خشب، وفي وسطها دار بناؤها بالخشب، مفروشة بقطائف قطن يسمونها المخملات، منها المصبوغ وغير المصبوغ(٤).

ختامًا نختصر ما جئنا به من نتيجة لهذا المبحث عند المسعودي(٥)، لقوله: لبلاد الهند والصين ولغيرهم من الأمم أخلاق وشيّم في المآكل، والمشارب، والمناكح، والملابس، والأدوية، والكي بالنار وغيره.

---

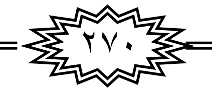
(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٤، ص١٨٥.

(٢) السيرافي، ص٤٩.

(٣) المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحّاك بن محمود (ت٤٤٣هـ/١٠٥١م)، **زين الأخبار**، ترجمة: عفاف السيد زين، (مط الأميرية، القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص٣٨٤.

(٤) ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٦٣١.

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٤.



الاستنتاجات



الاستنتـــــــــــــاجات

الحمد لله حمد الشاكرين وسبحانه تعداد الأيام والسنين وصلى الله على رسوله خاتم النبيين وخيرته من خلقه الأمين وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحابتهِ الغُر الميامين، وبعد ...

بعد الانتهاء من إتمام هذهِ الدراسة الموسومة **(بلاد الهند والصين في رحلة ابي زيد السيرافي دراسة تاريخية نقدية)**، توصلنا إلى جملة استنتاجات من أهمها:

١. أكدت الدراسة إن رحلة السيرافي من أوائل الرحلات العربية المدونة والتي أشارت إلى عمق الصلات التجارية بين العرب و بلاد الهند والصين .

٢. توصلت الدراسة على إن رحلة السيرافي مكونة من جزئين: الجزء **الأول** يعود لمذكرات سليمان التاجر، أما الجزء **الثاني** وهو الذيل الذي وضعهُ أبو زيد السيرافي بعد أن أمر بالبحث وتدوين تلك الحقائق بعد لقاءهُ بالمؤرخ والرحالة أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي سنة ٣٠٣هـ، في البصرة على حسب ما جاء في آراء الباحثين، والمحققين العرب، والمستشرقين.

٣. تمكن المستشرق فيرن على الوقوف بالضد من الشكوك في حقيقة نسب الرحلة لسليمان التاجر، إذ لفت الأنظار إلى أن ابن الفقيه جاء في كتابهِ البلدان برواية منفرده يؤكد بهِا في إن الرحلة وبصراحة هي لسليمان التاجر، وعلية إن مسألة تدوينهُ للرحلة لا يحوم حولها أدنى شك .

٤. بينت الدراسة إلى الحقيقة التي توصل لها العرب في العصور الوسطى ولم يعرفُ من تقدمهم؛ إن البحر الذي أُطلق علية بحر الصين والهند يتصل ببحر الشام؛ وذلك لأنهم عثروا على خشب مراكب العرب المخروزة التي قد انكسرت بأهلها فقطّعها الموجُ وساقتها الرياح إلى بحر الخزر.

٥. أثبتت الدراسة إلى أن بلاد الهند أوسع من بلاد الصين، إلا إن بلاد الصين أنزه وأحسن، ولبلاد الهند جزر عدة ولكل جزيرة ملك يحكمهم. أما بلاد الصين يحكمهم الملك الأكبر وتحت يدهِ الملوك الصغار. أما نظام الحكم في الهند كان وراثيًا على عكس نظام الحكم في الصين.

٦. يمكننا أن نجزم وبكل فخر أن العرب كانوا هُم السبّاقون في كشف سر الملاحة الموسمية التي عرفها رحالو العرب والفرس منذ أقدم العصور، وأدركوا انتظام هبوب الرياح في ستة أشهر في العام، إذ كانت تلك الرياح وما تتركها من تأثير على أمواج البحار، متجبرًة في ظاهرها نافعة في نتائجها. وعليه أثبتت الدراسة إن مواسم الرحلة إلى بلدان المشرق يبدأ من (كانون الثاني/شباط)، إذ تكون العواصف الهوجاء على أقلها، وبعد قضاء الصيف في الهند والصين تعود المراكب مع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية بين (تشرين الأول/كانون الأول) بعد أن تخوض سبعة أبحر، ثم تُكمل رحلتها مستعينة بالرياح الموسمية إلى بحر فارس، وقد أسبغ فصل الصيف السكينة والهدوء على سواحلها وكانت تستغرق الرحلة عامًا ونصف، وكان الرجال يقضون الصيف بين أهليهم قبل الرحلة الثانية .

٧. تأثرت حركة التبادل التجاري بين بلاد العرب والهند والصين بحالات من الركود والتراجع؛ وذلك لعدة أسباب منها الطبيعية والأخرى بشرية (سياسية)، إذ تعرضت تلك العلاقات لاضطرابات على أثر اندلاع الثورات ضد نظام الحكم ومنها ثورة آن لوشان وثورة بابشو؛ وكان من نتائج هذهِ الثورات هو انقطاع الحرير عن بلاد العرب، وقلة المتاع. وعليه كانت التجارة متأرجحة بين الركود والنشاط، متأثرة بالعوامل الطبيعية والبشرية .

٨. أكدت الدراسة على تنوع المعاملات المالية لبلاد الهند والصين، وأثبتت إن عملات بلاد الهند كانت أقل قيمة من عملات بلاد السند، إذ كانت تحمل إليهم العملات السندية المعروفة بـ (الفهزي) التي تساوي قيمتها ثلاث دنانير هندية.

أما بلاد الصين كانت هي الأُخرى عملتها مصنوعة من نحاس معجونًة ببعض المعادن، وتدعى تلك العملات بالفُلُوس، وكانت قيمتها الصرفية والاقتصادية أقل من

العملات العربية في تلك الحقبة، إذ أن ألف فلس منها يساوي مثقالًا من الذهب، حتى إن اللصوص في الصين لا يلجئون إلى السرقة؛ لأنهم يجدون صعوبة في حمل مبالغ تافهة، إذ أن الف فلس لا تساوي عشرة دنانير من الدنانير العربية .

٩. انفردت بلاد الصين على غيرها من الأمم على سَن العديد من الأنظمة والقوانين التجارية، والاقتصادية، في تلك العهود المبكرة، ومن خلال تلك القوانين استطاعت الدولة تسيير عجلة التجارة مع البلدان الخارجية،فضلاًعن ضمان حقوق الرعايا من خلال اصدار قانون الكتب المرخِصة للسفر (تذاكر المرور)، إذ يدوّن فيه اسم الشخص وجميع أملاكهُ وتدوّن تلك المعاملات بسجلات الحكومية إذ يضمن حماية أموال التجار والجاليات الوافدة إلى الصين والمحافظة على أرواحهم و أموالهم .

١٠. بيّنت الدراسة المذاهب والطوائف الدينية في بلاد الهند والصين، فهم عبدة البراهمة، فضلاً عن عبادة صنم البد(الديانة البوذية)، كما إنهم يقولون بأثنينية الاله، أي أله الخير والشر، وليس لأهل الصين علم وإنما أصل ديانتهم من الهند، وعلية إن كل شرائعهم ومعتقداتهم من عبدة البددّة ومعتقد تناسخ الأرواح إلى الديانة الإبراهيمية مستمدة من عقيدة الهنود.

١١. توصلت الدراسة إلى أن بلاد الصين أهل تحضُّر وتمدُّن، على عكس بلاد الهند. أما عن المأكل والمشرب فكلا البلدين لا يشربون الشراب (الخمر) ويأنفون منها ليس تدينًا؛ ولكن أنفَة منهم.

١٢–بينت الدراسة أن ما دونهُ السيرافي هي بيان لرحلة تمت عن طريق البحار من خلال ما ذكره عن أسماء البحار والمدن والجزر والمرافئ من سيراف إلى بلاد الهند والصين بالتتابع، فهي رحلة بحرية إلى بلاد الهند والصين وليست عن طريق البر.

ملحق رقم(١)

التسميات الحديثة للمدن، والجزائر، والبحار، الواردة ذكرها في فصول ومباحث الرسالة[١] من عمل الباحثة:

ت	ا لتسميات القديمة	التسميات المحديثة
١	البحر الحبشي	المحيط الهندي
٢	بحر الروم (بحر الشام)	البحر المتوسط
٣	البحر الفارسي	الخليج العربي
٤	بحر الصنف ، كدرنج ،بحر الصنجي	بحر الصين الجنوبي
٥	بحر لاروى	بحر العرب (خليج عمان)
٦	بحر هركند	خليج البنغال
٧	الأبلة	مركزها كوت الزين جنوب أبي الخصيب
٨	سيراف	سيراف
٩	أبن كاوا ن (جزيرة أوال)	البحرين
١٠	شحر لبان	ظفار
١١	كولم ملي	كويلون جنوب مالابار
١٢	أرض سفالة الزنج	موزمبيق
١٣	مدينة كله بار	ولاية (كيدا) بالملايو

(١)تم اقتباس التسميات الحديثة على حسب ما جاء بهِ حسن صالح شهاب محقق كتاب عجائب الهند، للمؤرخ بزرك بن شهريار.

١٤	مدينة صيمور	سيميلا أحدى مؤانئ سواحل مالابار
١٥	مدينة المنصورة	كراتشي
١٦	جزيرة سرنديب	جزيرة سيلان (سريلانكا)
١٧	جزيرة القمار	كمبوديا
١٨	جزيرة جاوة(الزابج)	سومطرة(إندونيسيا)
١٩	جزيرة لنجبالوس	جزائر نيكوبار
٢٠	جزيرة صندرفولات	من جزائر فيتنام الشرقي
٢١	جزيرة الصنف	مملكة شامبا بالقسم الجنوبي من فيتنام
٢٢	جزائر الديبجات	جزائر المالديف
٢٣	جزيرة كلة	كوالالمبور
٢٤	جزيرة المايط	يورنيو من مدن فيتنام
٢٥	بلاد الفلفل	مالابار
٢٦	غوانجو	هونغ كونغ
٢٧	خانجو	تشوان_تشو_فو
٢٨	قانصو	هانجتشو
٢٩	لوقين	تنج_كنج
٣٠	كانتون(خانفوا)	تُيمم(كوانج_نشو)أوقوانغشووتسي
٣١	أبواب الصين	شعاب باراكل(اليابان)
٣٢	شيلا(سيلا)	كوريا
٣٣	بلاد الواق واق	سومطرة

ملحق رقم (٢)

مسجد (الحنين إلى النبي)في الصين بنيت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي


الإسلام فى الصين :

myphotolife.com

مسجد هوايشنغ بمدينة قوانغتشو (الحنين إلى النبي)

مسجد الحنين إلى النبـي من الخارج وبناء المسجد على الطراز المعمـاري الصيني ،تحيط به الأشجار وتعانق المنارة السحاب.

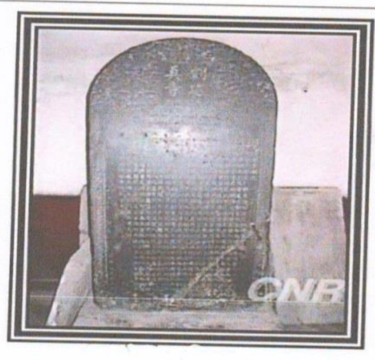
مئذنة مسجد تشينغقوان في بلدة شيونهوا في مقاطعة تشينغهاي ويظهر النمط المعماري الصيني ، وهي سداسية الأضلاع م أربعة عقود ، ارتفاعها أكثر من عشرين متراً .

حمد، الاسلام في الصين، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١٩٨.

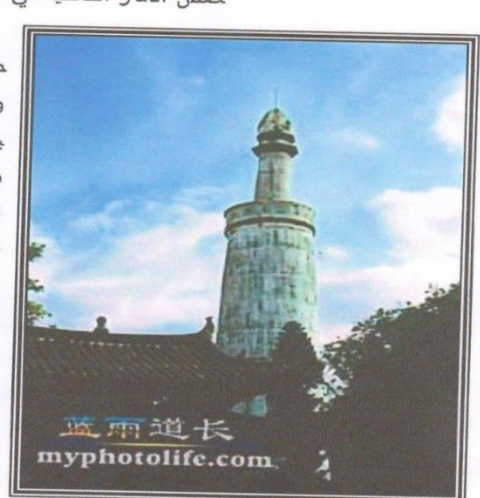
ملحق رقم (٣)

الشاهد الحجري لمسجد الشوق إلى النبي (ﷺ) أدرج ضمن الآثار المحمية في الصين:


الإسلام فى الصين :



الشاهد الحجرى لمسجد هولجيوية و يمثل تاريخ بناءه والقائمين عليه ، وقد أدرج ضمن الآثار المحمية في الصين .



مسجد هوايشنغ فى مدينة قوانغتشو وهى إحدى المدن الساحلية استوطن بها المسلمون الأوائل وبنوا مـسجد هوايشنغ (الحنين إلى النبي) وتقول الروايات الصينية إنه أول مسجد بنى في الصين وبناه الـصحابي الجليـل (سعد بن أبي وقاص) وقد كتب ذلك على اللوح الرخامي بالمسجد

وقد تم تجديده ولكن مئذنته مازالت بحالتها القديمة وبشكلها الاسـطواني ويبلغ ارتفاعها 36 مترا .

الحمد ،الإسلام في الصين، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١٩

ملحق رقم (٤)

خريطة توضيحية لموقع ميناء بندر عباس



الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنيت)، موقع المعرفة

http//www.m.marefa.org تم الاقتباس بتاريخ ١١/يونيو/٢٠٢٢

ملحق رقم (٥)

خريطة توضيحية لموقع ميناء سيراف في بلاد فارس:

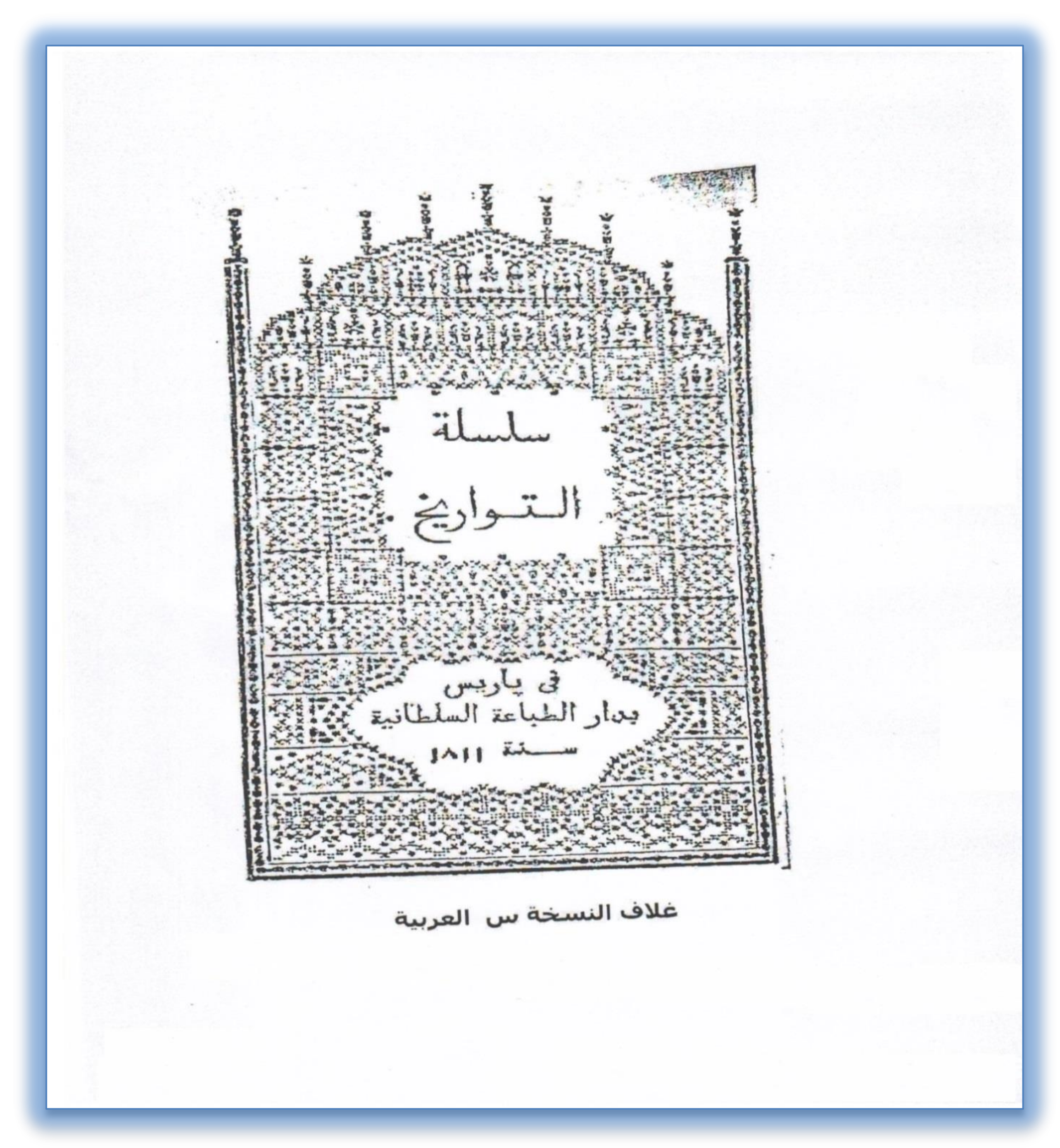


الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنيت)، موقع المعرفة

http//www.m.marefa.org تم الاقتباس بتاريخ ١١/يونيو/٢٠٢٢م.

ملحق رقم (٦)

غلاف مخطوطة أبي زيد السيرافي النسخة العربية في متحف باريس

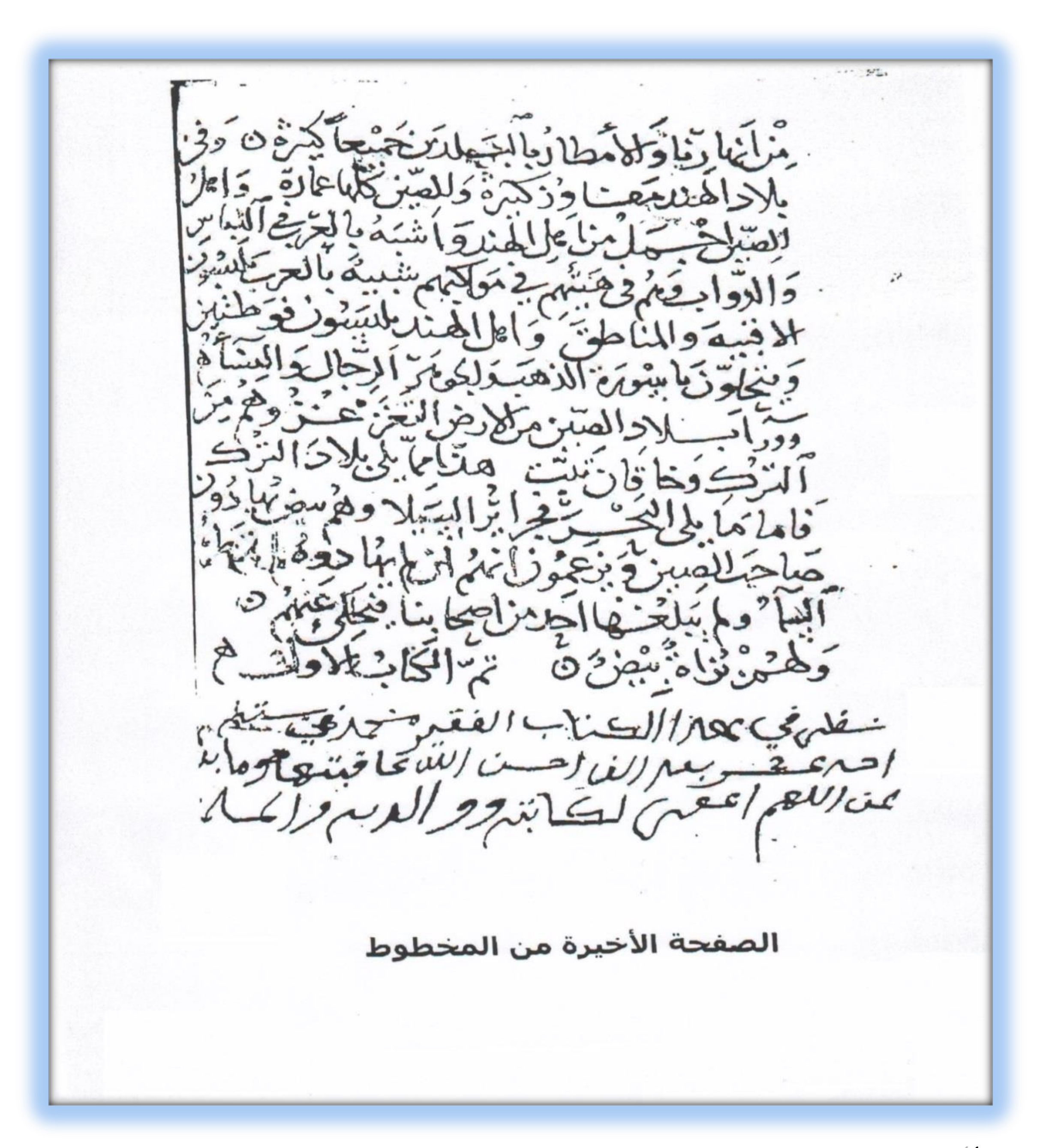


غلاف النسخة س العربية

سُليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، سيف شاهين، ص٨٨.

ملحق رقم (٧)

الصفحة الأخيرة من مخطوطة أبي زيد السيرافي في متحف باريس



من أنهارها والأمطار بالجبال من جميعها كثيرة وفي
بلاد الهند مفاوز كثيرة والصين كلها عامرة وأهل
الصين أجمل من أهل الهند وأشبه بالعرب في اللباس
والدواب وهم في هيئتهم في مواكبهم شبيه بالعرب يلبسون
الأقبية والمناطق وأهل الهند يلبسون فوطتين
ويتحلون بأسورة الذهب والجوهر الرجال والنساء
ووراء بلاد الصين من الأرض التغزغز وهم من
الترك وخاقان تبت هذا مما يلي بلاد الترك
فأما ما يلي البحر فجزائر السيلا وهم بيض يهادون
صاحب الصين ويزعمون أنهم إن لم يهادوه لم تمطرهم
السماء ولم يبلغها أحد من أصحابنا فيحكي عنهم
ولهم بزاة بيض تم الكتاب الأول

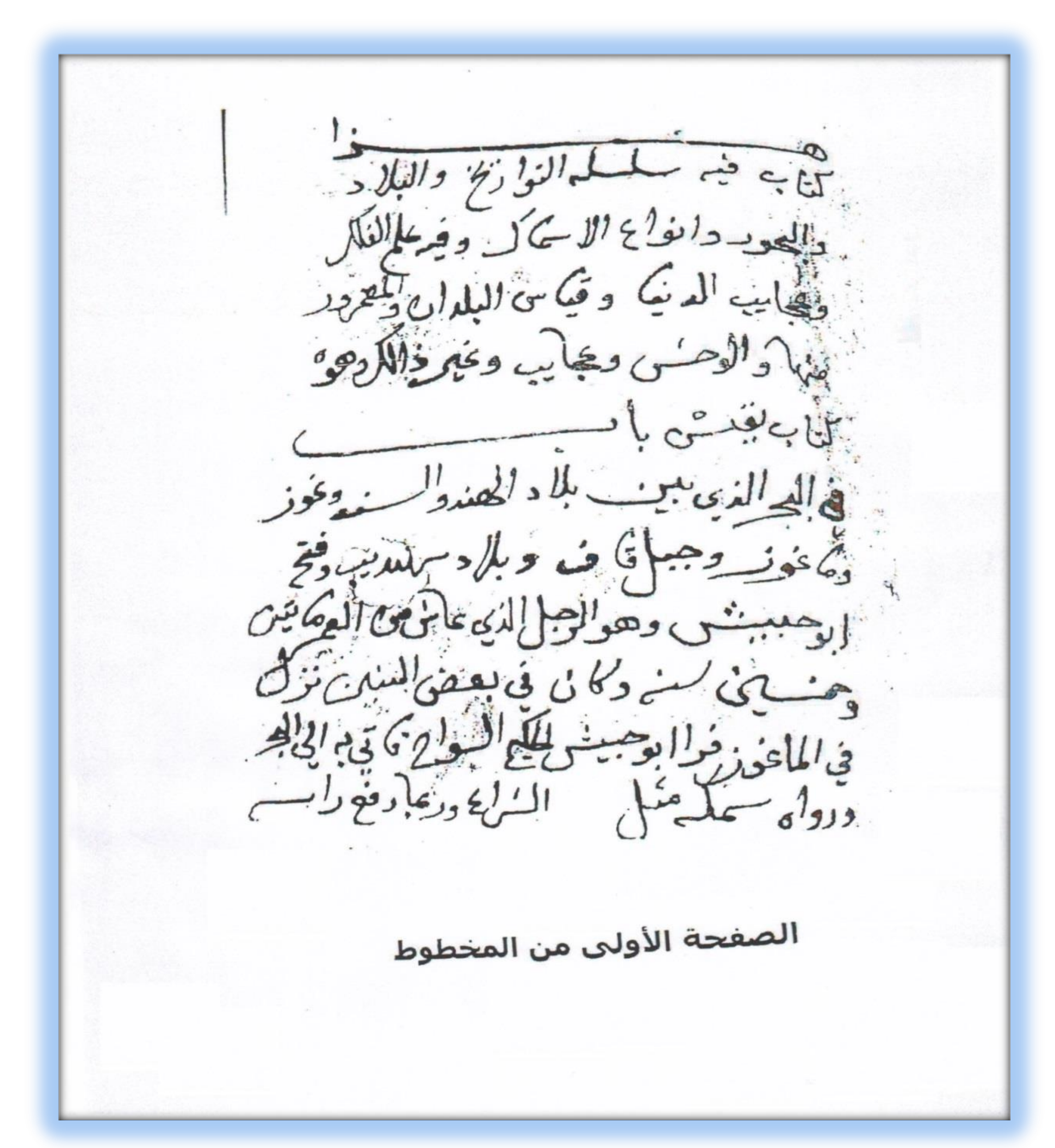
نظر في هذا الكتاب الفقير محمد [illegible]
[illegible]
[illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوط

سُليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، تح :سيف شاهين ،ص٨٦.

ملحق رقم (٨)

الصفحة الأولى من مخطوط أبي زيد في متحف باريس



هذا

كتاب فيه سلسلة التواريخ والبلاد

والبحور وانواع الاسماك وفيه علم الفلك

وعجايب الدنيا وقياس البلدان والمعروف

منها والوحش وعجايب وغير ذلك وهو

كتاب [illegible] باب

في البحر الذي بين بلاد الهند والسند وعوز

وماعوز وجبل قاف وبلاد سرنديب وفتح

ابوحبيش وهو الرجل الذي عاش مع [illegible]

وحشي [illegible] وكان في بعض السنين نزل

في الماعوز [illegible] ابوحبيش [illegible]

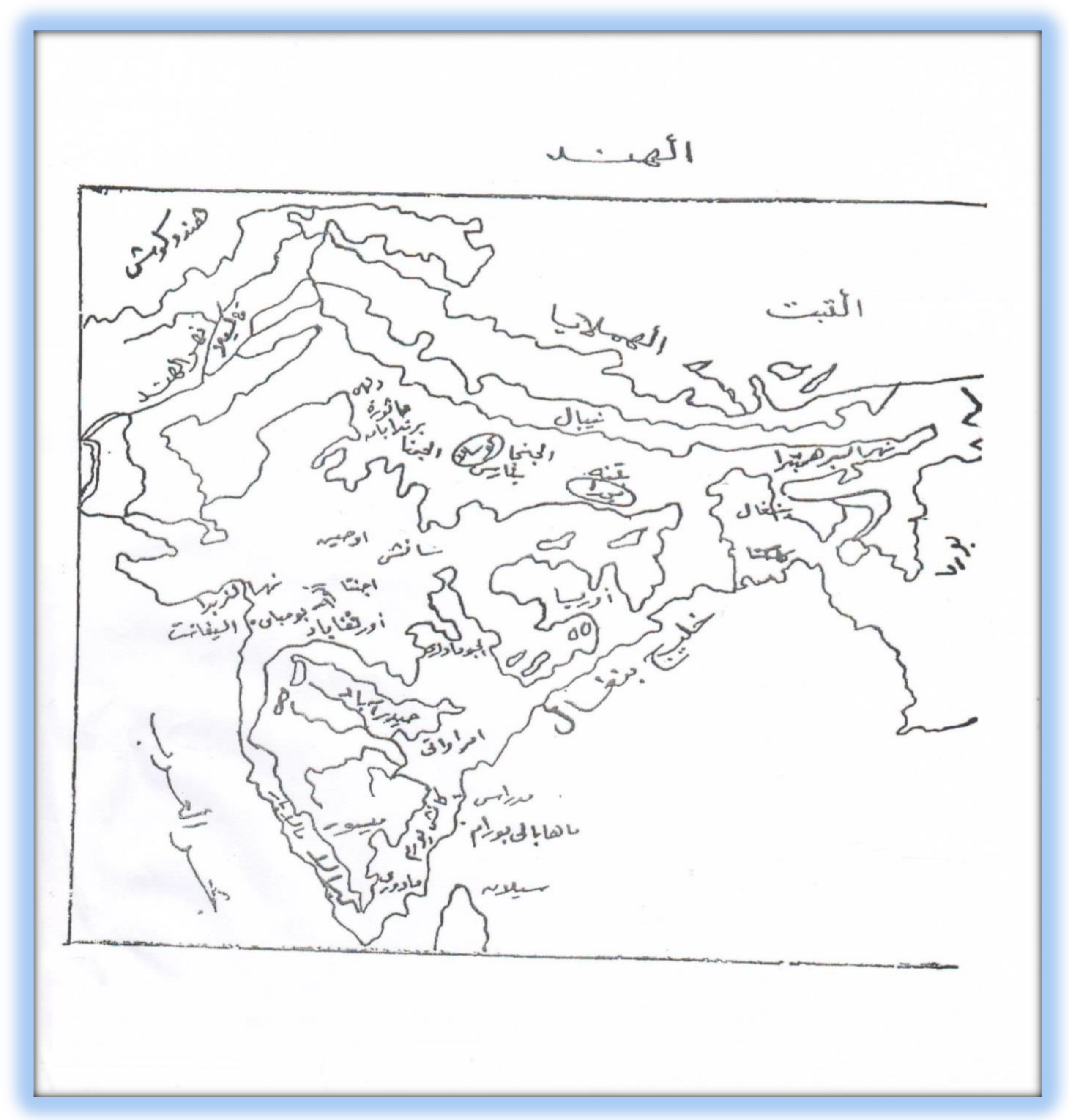
ودواه سمكه مثل الشراع وربما دفع راسه

الصفحة الأولى من المخطوط

سُليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، تح: سيف شاهين، ص٨٥.

ملحق رقم (٩)

خريطة توضيحية لبلاد الهند تبين على أنها مقسمة الى ثلاث أقاليم رئيسية ألا وهي الهند الشمالية ،والهضاب الشرقية ،والأرض الجنوبية.



الندوي، الهند القديمة حضارتها ودياناتها.

ملحق رقم (١٠)

جدول توضيحي لأسماء أشهر السنة باللغة الهندية (السنسكريتية)

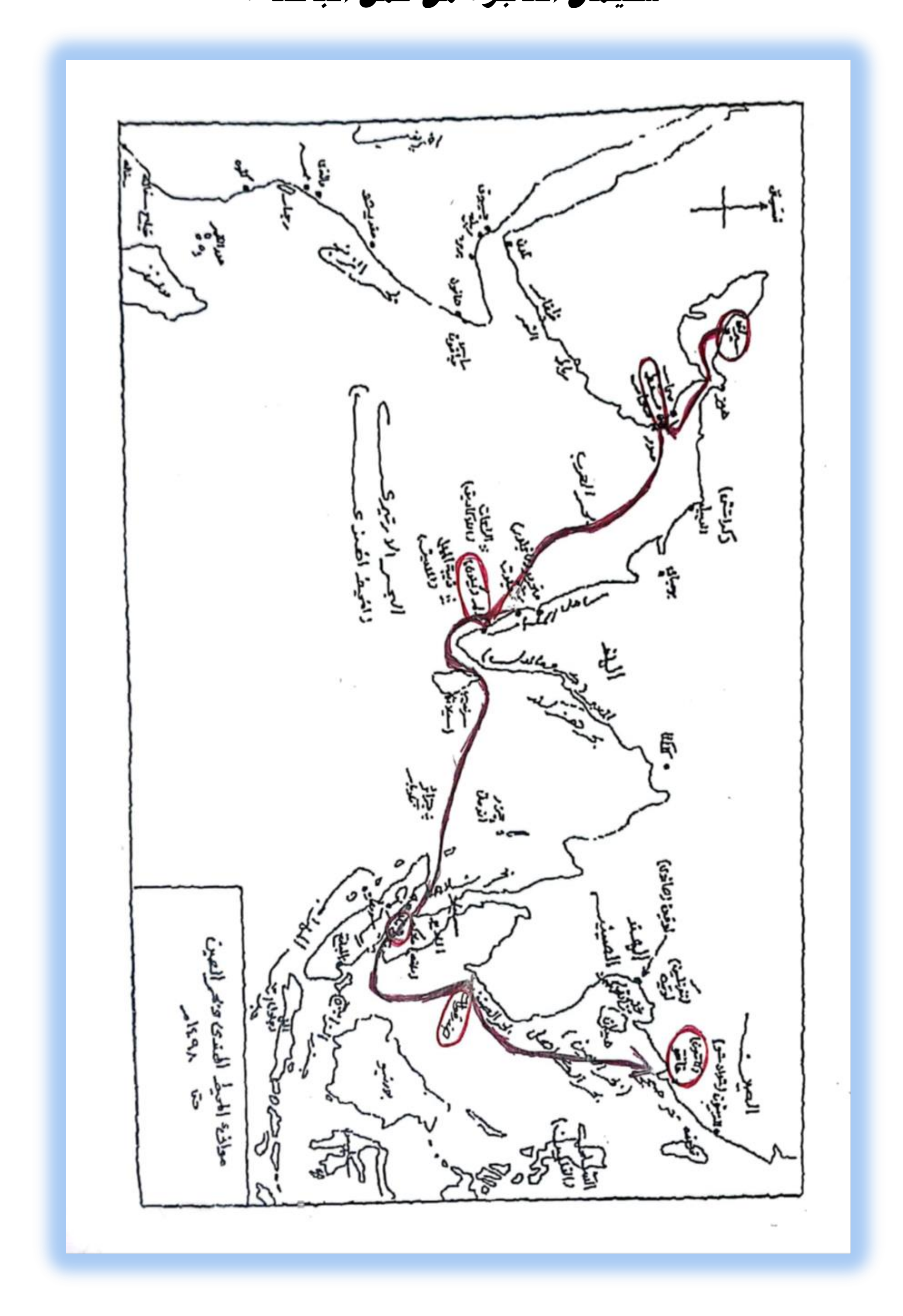
أرباعه ؛ وأمّا الشهور فإنّها مبعّضة بالأنصاف التي فيما بين الاجتماعات والاستقبالات ، ولأنصاف الشهور أرباب مذكورة في كتاب « بشن دهرم » وضعناها في هذا الجدول :

أسماء الشهور	أصحاب النصف الأبيض من كلّ شهر	أصحاب النصف الأسود من كلّ شهر
جيتْر	دُوَرتَرَ	جآمْ
بَيشَاكْ	إندَرَاكِنْ	آكَني
جيرت	شكَرْ	رَوْدْرَ
آشار	بِشوَدِيو	سَارْبُ
أشْرَابَنْ	بِشْنُ	بِتْرُ
بَهادْرَبَتْ	أَجُ	سانِتْ
أشُوجج	آشْنُ	مَيَتْرُ
كارْتكْ	إكنْ	شكَرْ
مَنكَهِر	سوْمْ	نَرِدِ
يَوش	جيب	بشنُ
ماك	بِتْرْ	بَرْنْ
بالكُن	بَهكْ	پوش

البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في القلب أو مرذوله، ص٢٧١ .

ملحق رقم (١١)

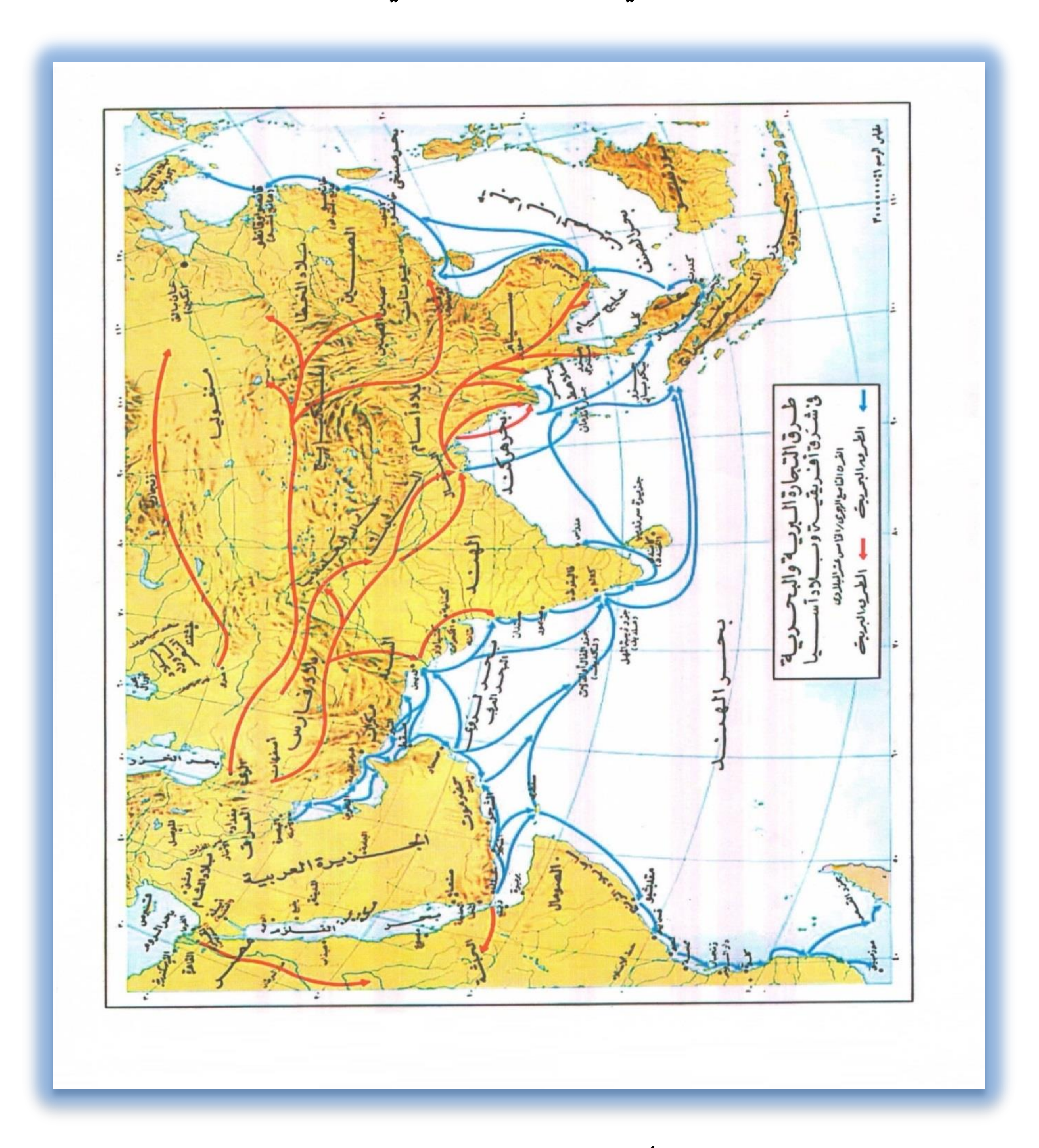
خريطة مقتبسة لموانئ المحيط الهندي ،وبحر الصين،موضحا عليها خط سير رحلة سليمان التاجر ، من عمل الباحثة :



عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص١٨٠

ملحق رقم (١٢)

طرق التجارة البرية والبحرية في شرق أفريقيا وبلاد أسيا في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.



مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٨٨.

ملحق رقم (١٣)

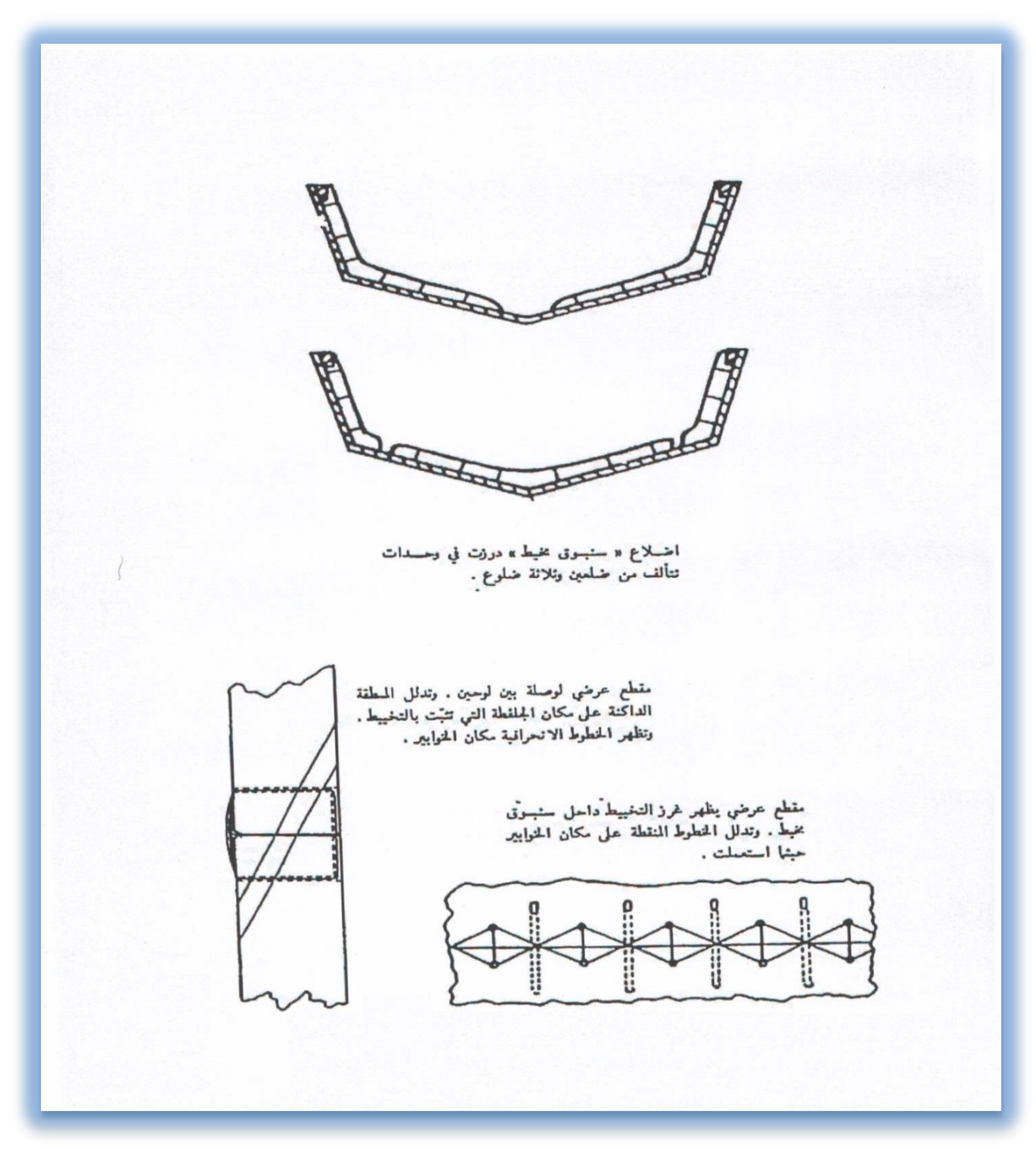
خريطة شرق أفريقيا وأسيا موضحاً عليها تسميات القديمة والحديثة للبحار والجزائر والمدن .



فوزي، حديث السندباد القديم، ص٢.

ملحق رقم (١٤)

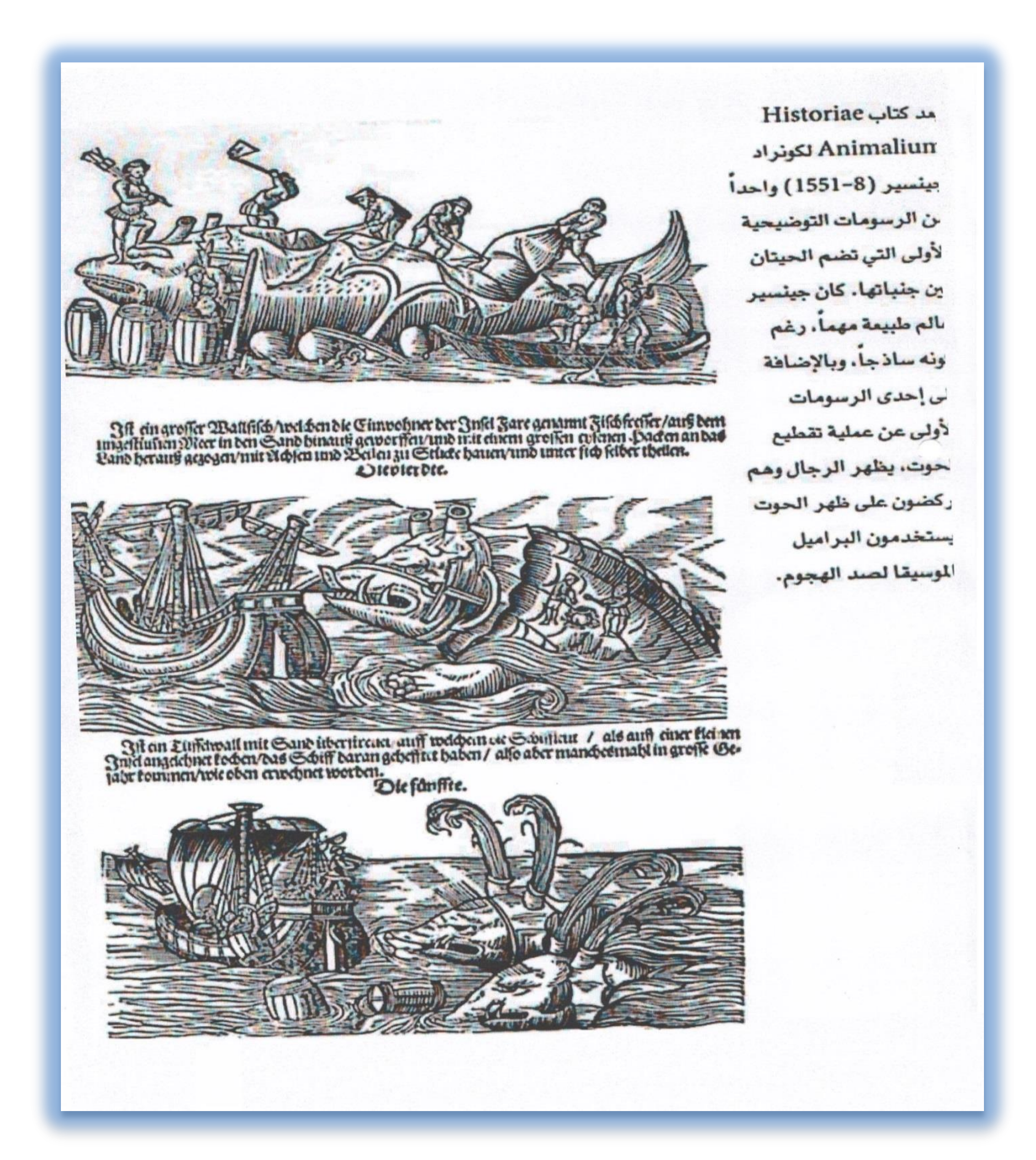
رسم توضيحي لكيفية خياطة السفن بحر القلزم وبحر الهند.



الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص١٢١ .

ملحق رقم (١٥)

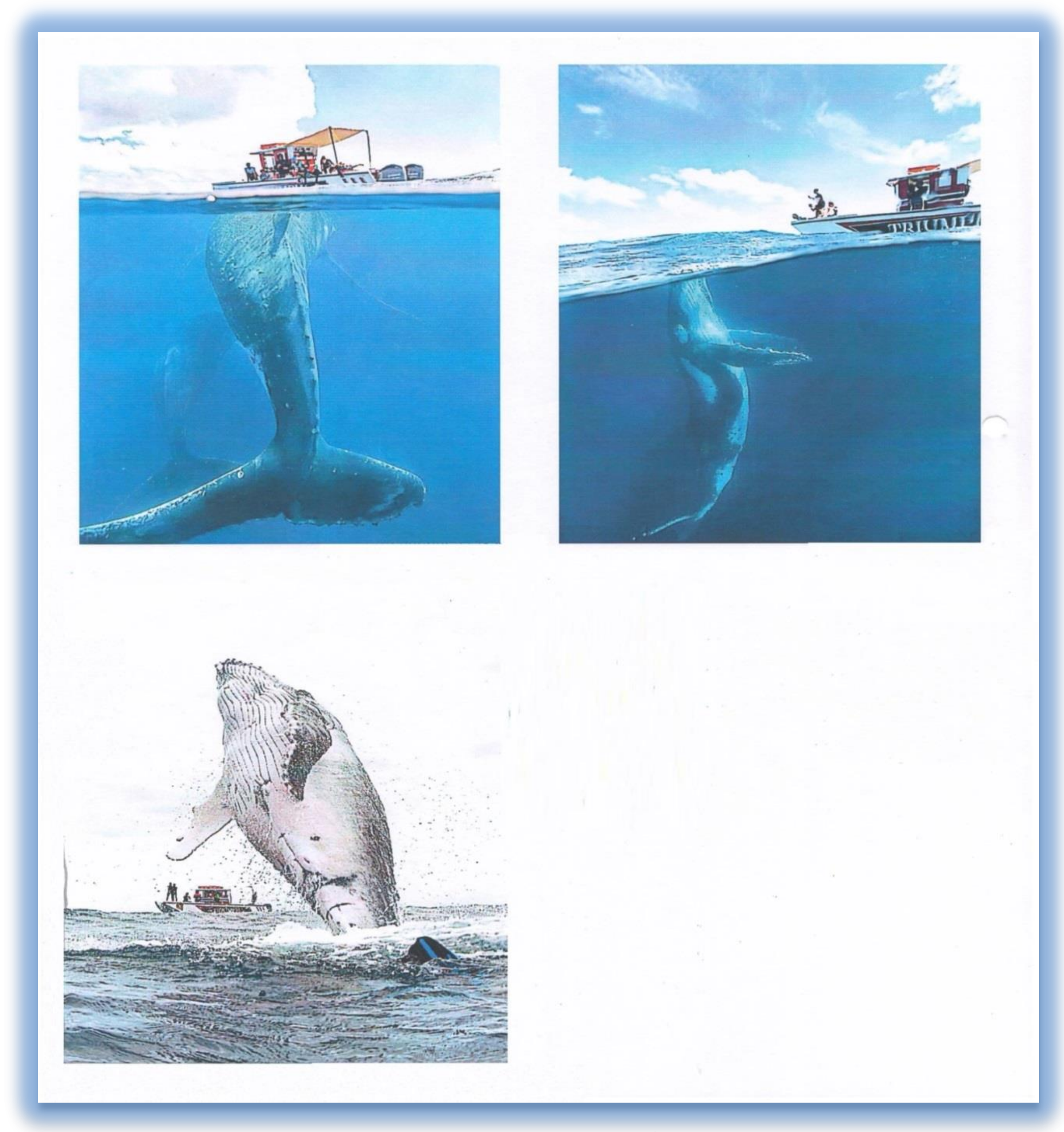
صورة توضيحية لكيفية تقطيع الحوت (البال) على الساحل لإخراج (الودك) الدهن.



جورومان، الحوت التأريخ الطبيعي والثقافي، ص٢٨.

ملحق رقم (١٦)

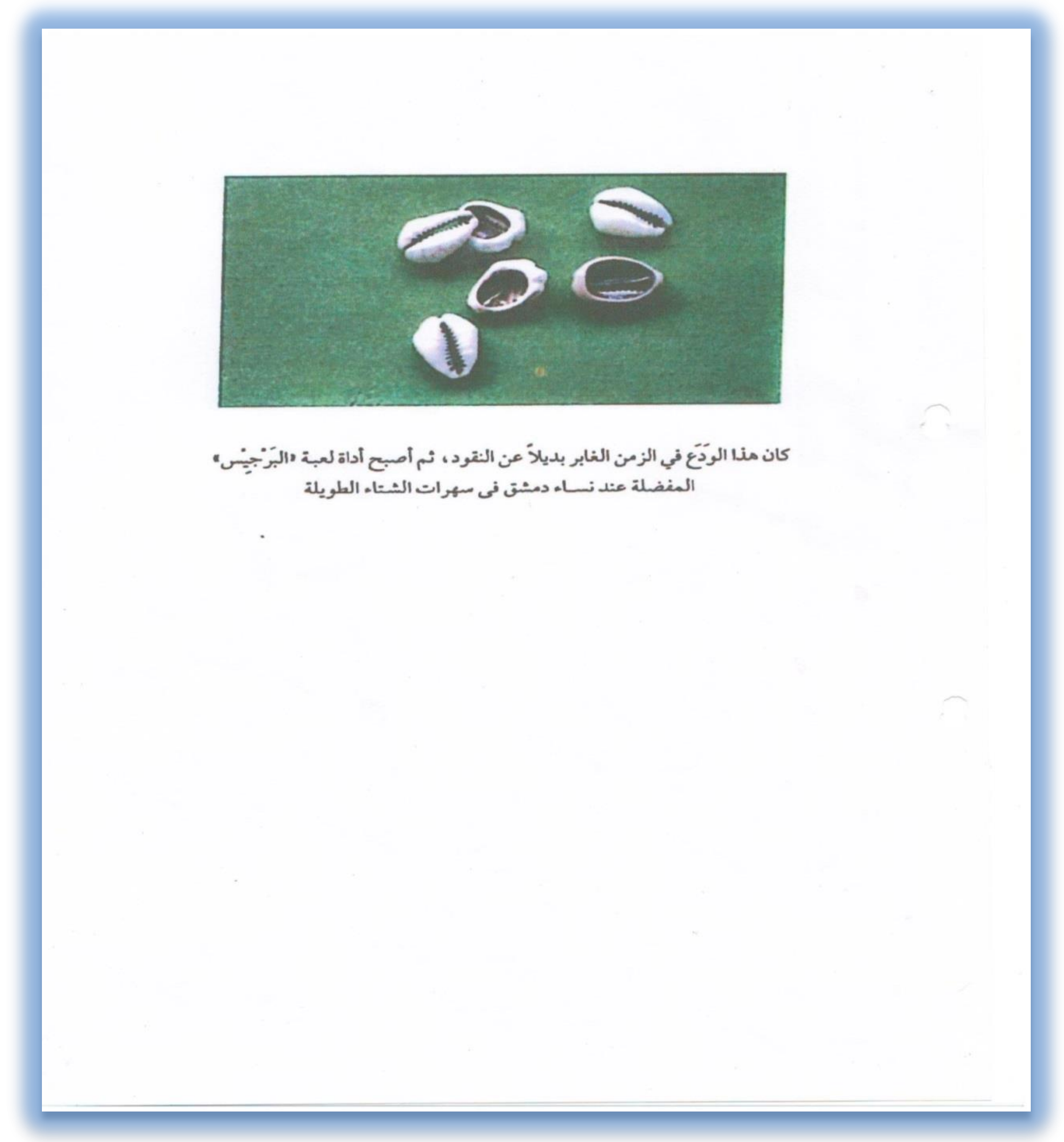
صورة لحيتان قرب جزائر هاباي على سواحل سرنديب (سريلانكا)لتفاجئ السياح وهي تستريح على سطح الماء.



الشبكة المعلوماتية الإلكترونية (الأنترنيت) CGTN ARABIC، جهة إعلامية خاضعة لسيطرة الصين http;//www.facebook

ملحق رقم (١٧)

صورة لعملة الودع في بلاد الهند في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي



كان هذا الوَدَع في الزمن الغابر بديلاً عن النقود، ثم أصبح أداة لعبة «البَرْجِيس» المفضلة عند نســاء دمشق فى سهرات الشتاء الطويلة

الشهابي، نقود الشام دراسة تاريخية للعملات التي كانت متداولة في الشام، ص٢٠.

ملحق رقم (١٨)

عملة نحاسية صينية ذات الفتحة المربعة يعود تأريخهُ إلى (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)..





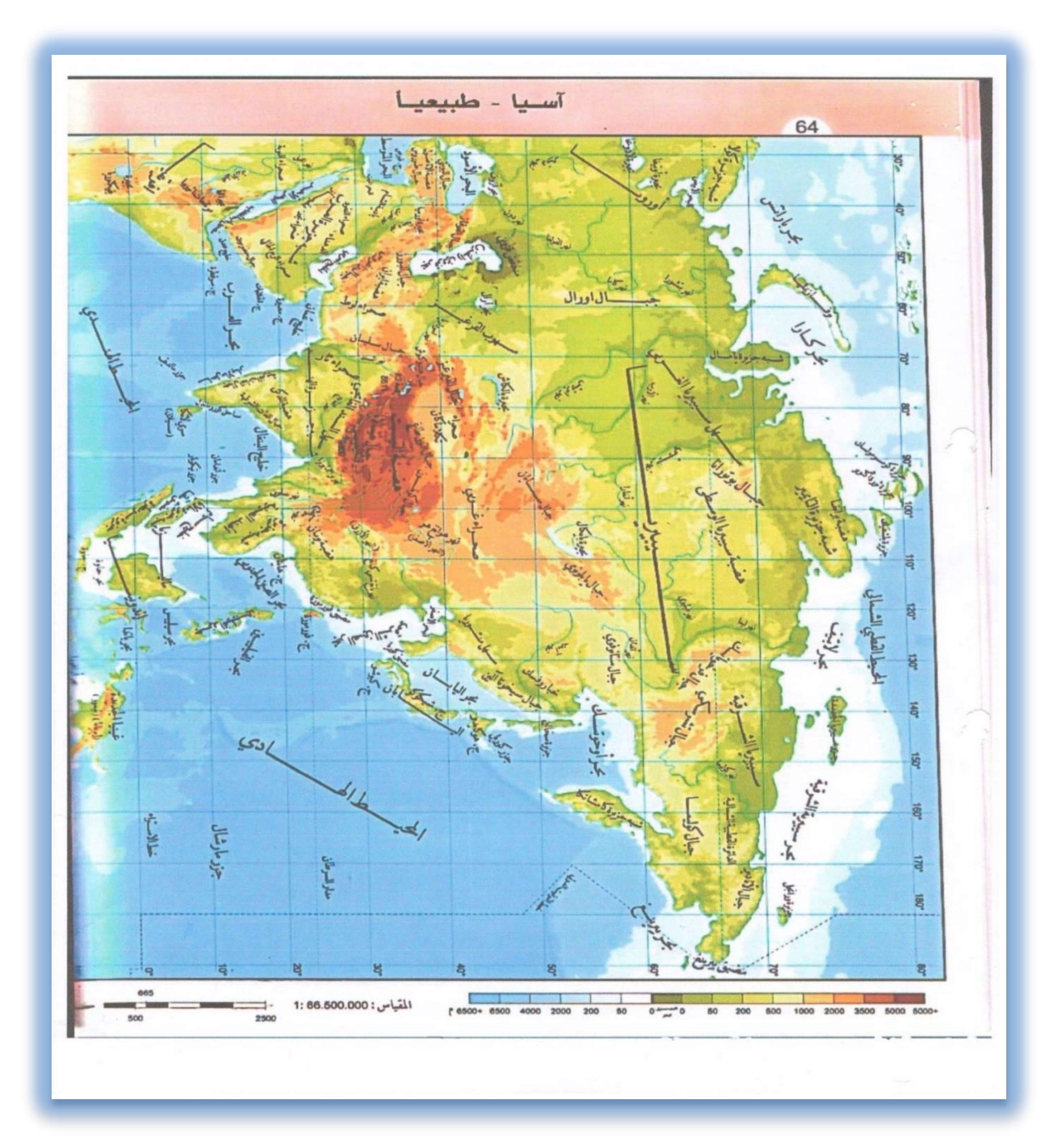
بـوابة اوكرانيا – كييف في 8 يناير 2021 – فجأة ، تم العثور على عملة معدنية صينية صدرت في العصور الوسطى في بريطانيا. ولم يكتشف العلماء كيف وصلت الآثار الصينية إلى جنوب إنجلترا ، لكنها تُظهر أن أوروبا والصين في العصور القديمة كانتا أكثر ارتباطًا سابقًا.

وتعود العملة المصنوعة من سبائك النحاس إلى عهد أسرة سونغ.
وتم إصدارها بين عامي 1008 و 1016 م في عهد الإمبراطور تشنغتشو (على الرغم من أنه ظل متداولًا لعدة قرون).
ويوجد في وسط العملة المستديرة ذات النقش فتحة مربعة.

الشبكة المعلوماتية الإلكترونية (الأنترنيت)، بوابة أوكرانيا، ukrate.co

ملحق رقم (١٩)

خريطة حديثة لقارة آسيا



المعارف، أطلس الوطن العربي والعالم، ص٦٤.

ملحق رقم(١٩)

أوجه التشابه والاختلاف بين الحضارتين الهندية والصينية حسب ما جاء به السيرافي من عمل الباحثة:

أوجه الاختلاف:

أولاً: من الجوانب الجغرافية:

بلاد الهند	بلاد الصين
١. أكثر الهند لا مدائن لها، ولها مفاوز كثيرة، وهي أوسع من بلاد الهند وأضعافها.	١. الصين في موضع لهم مدينة محصنة عظيمة، والصين كلها عمارة، وبلادهم أجمل من بلاد الهند.

ثانياً: المناخ:

بلاد الهند	بلاد الصين
١. مناخ الهند غير صحي. ويُرى فيها أعمى وأعور في كُل ناحية.	١. أما بلادهم أصّحُ وأقل أمراضاً، وأطيب هواءً لا يكاد يُرى بها أعمى ولا أعور ولا ذو عاهةٍ، وهكذا كثير ببلاد الهند.

ثالثاً: **الجانب السياسي**:

بلاد الهند	بلاد الصين
١. عدد مُلوك الهند أكثر من بلاد الصين، فلكل جزيرة لهم ملك. ٢. نظام الحكم وراثياً. ٣. جنودهم كثيرة ولا يرزقون، وإنما يدهم إلى الجهاد فيخرجون وينفقون من أموالهم ليس على الملك من ذلك شيء. ٤. مُلوك الهند يعدون ملوك الدنيا المعروفين أربعة، هُم: ملك العرب، (ثم الملك بلهرا)، ملك الهند، ثم ملك الصين، ومن بعده ملك الروم.	١. يحكمهم الملك الأكبر وتحت يده الملوك الصغار. ٢. ليس لهم ولاة عُهود. ٣. ملوكهم يرزقون الجنود من أموالهم ويدعونهم إلى الجهاد والقتال، وعطاء ملوك الصين كعطاء العرب وأرزاقهم من بيت مال المدينة. ٤. أما مُلوك الصين يعدون مُلوك العالم خمسة، أولهم: من يملك العراق؛ لأنه في وسط الدنيا، ونجد اسمه عندنا ملك الملوك، ثم ملك الصين، ومن بعده ملك التُرك، وبعدهم ملك الفيلة وهو ملك الهند، ومن ثم ملك الروم.

رابعاً: ***الجوانب الاجتماعية***:

بلاد الهند	بلاد الصين
١. الجنس الهندي طويل القامة، مفلفلوا الشعر، مناكير الوجه والأعين، طوال الأرجُل. ٢. وهم يطولون لحاهم، ربما رأيت لحية أحدهم ثلاث أذرع ولا يأخذون شواربهم. ٣. لا يأتون النساء في الحيض ويخرجونهم عن منازلهم؛ تقززاً منهم. ٤. أهل الهند يستاكون ولا يأكلون حتى يستاكوا ويغتسلوا. ٥. لا يأكلون الحنطة.	١. هُم أهل بياض وجمال، وهُم أشد النَّاس سواد الشُعور، وهم قومٌ قصار القامة، ويغلب عليهم الشكل المستدير، وفطوسة الأنف. ٢. أكثر بلاد الصين لا لحى لهم. ٣. الصين يأتوهنَّ في الحيض ولا يخرجونهم من منازلهنَّ؛ لأنهم كالمجوس. ٤. وليس ذلك يفعل أهل الصين. ٥. يأكلون الحنطة والأرز. ٦. ربما جار الملك الذي من تحت يد الملك

٦. فيهم قومٌ يأكلون النَّاس.	الأكبر فيذبحونه ويأكلون لحمه.
٧. لا عنب لهم ولا رُمّان.	٧. وهو بالصين قليل.
٨. للهند خيلٌ قليل.	٨. وهي بالصين أكثر.
٩. لا يشربون الشراب، إلا ملك جزيرة سرنديب، يُحمل الشراب إليه من العراق.	٩. لا يشربون الشراب، ويعدون شراباً خاصاً من ماء الأرز المطبوخ ويجعلونه كالخل.
١٠. بناء أهل الهند من حجارة، وجص، وآجر، وطين، ربما كان ذلك في الصين.	١٠. حيطانهم من الخشب وأحياناً من الحجارة والطين.

أوجه التشابه بين الحضارتين الهندية والصينية، حسب ما جاء به السيرافي وابن الفقيه:

١. أنهار البلدين جميعاً عظام، وفيهما ما هو أعظم من أنهارنا، وأمطار البلدين جميعاً كثيرة.

٢. أهل الهند والصين إذا أرادوا التزويج تهانئوا بينهم، ثم تهادوا، ثم يشهرون التزويج بالصندج والطُبُول.

٣. البغاء في بلاد الهند والصين ظاهر.

٤. لا يغتسل كلا أهل البلدين من الجنابة.

٥. لا يختتن كلا أهل البلدين.

٦. هما يقتلون ما يريدون أكله ولا يذبحونه فيضربون هامته حتى الموت.

٧. طعام كلا أهل البلدين هو الأرز.

٨. ليس لهما في بلديهما (نخل)، ولهم سائر الشجر والثمر الذي ليس موجوداً في بلادنا.

٩. أما عن عبادتهم فهم يعبدون الأصنام والبَددة، ويزعمون أنَّ البددة تكلمهم، وإنما يكلمهم عبادهم.

١٠. وكلا البلدين يرجعون إلى التناسخ ويختلفون في فروع دينهم.

١١. ولا أعلم أحد من القريبين مسلماً ولا يتكلم العربية.

١٢. الطب في كلا البلدين، وأكثر الطب في الصين الكي.

١٣. هما أهل كتابة وخط.

١٤. في كلا البلدين قُضاة يحكمون بينهم دون العُمال،

١٥. ومن سُننهما قتل السارق إذا ظفروا به، ويؤدون الأمانة، وينصفون في أنفسهم من غير احتياج إلى حاكم أو مُصلح.

المصادر الأولية والمراجع الثانوية:

القرآن الكريم.

١. المصادر الأولية:

- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١. **الكامل في التاريخ**، تح: أبو حبيب الكرمي، (بيت الأفكار الدولية، مكة المكرمة- بلات).

- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م):

٢. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطاحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م):

٣. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة- ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

- الأصطخري، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت٣٥٠هـ/٩٥٧م)،

٤. **المسالك والممالك**، (مط بريل، مدينة ليدن، ١٩٣٧م).

- الأندلسي، أبي القاسم صاعد بن أحمد (ت٤٦٢هـ/١٠٧٠م):

٥.**طبقات الأُمم**، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، (مط الكاثوليكية، بيروت،١٩١٢م).

- الانطاكي، داود بن عمر (ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م):

٦. **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العُجاب**، تح: أحمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٧١م).

- ابن إياس، الشيخ محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م):

٧. **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، (مط مصطفى البابي، مصر -بلات).

- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي (ت٧٧٩هـ-١٣٧٧م):

٨. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، (دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

٩. **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، (دار الكتب العلمية- لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١٠. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تح: مصطفى السقّا، (لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٥م، القاهرة).

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):

١١. **فُتُوح البلدان**، تح: شوقي أبو خليل، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧م).

- البيروني، أبو ريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م):

١٢. **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله**، ط٢، (عالم الكتب- بيروت، لبنان،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- التنوخي، أبي علي المحسن بن علي:

١٣. **الفرج بعد الشدّة**، تح: عبود الشالجي، (دار صادر، بيروت، ١٣٩٨م).

- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م):

١٤.**البيان والتبين**،(دار الكتب العامية، بيروت ، لبنان،١٩١٧م).

١٥. **التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والإعلاق النفيسة والجواهر الثمينة**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، ط٣، (مطبعة الخانجي، القاهرة-١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

١٦-**الحيوان**، تح: عبد السلام محمد هارون، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة)..

- ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م):

١٧. **رحلة ابن جبير**، (بيروت-١٩٦٤م).

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م):

١٨. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

- ابن الجوزي، الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

١٩. **صيد الخاطر**، تح: عبد القادر أحمد عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٢٠. **المنتظم في تاريخ المُلوك والأُمم**، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، (دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م):

٢١. **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، (مكتبة لبنان، بيروت-١٩٧٥م).

- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م):

٢٢. **صورة الأرض**، (دار ومكتبة الحياة، بيروت- لبنان ، بلات).

- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٧٩هـ/٩١٢م):

٢٣. **المسالك والممالك**، (مطبعة بريل، ليدن، ١٩٩٨م).

- ناصر خسرو، قابادياني العلوي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م):

٢٤. **سفرنامة**، ترجمة يحيى الخشاب، (الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة،١٩٤٣م).

- ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي التونسي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

٢٥. **تاريخ ابن خلدون المسمى، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: أبو صهيب الكوفي، (بيت الأفكار الدولية، الرياض – السعودية، بلات).

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٢٦. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت—بلات).

- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت٣٧٨هـ/٩٩٧م):

٢٧. **مفاتيح العلوم**، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ/٢٩٨٩م).

- الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م):

٢٨. **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، (مط البعث- الجزائر، قسنطينة- بلات).

- ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م):

٢٩. **جمهرة اللغة**، تح: رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م).

- أبي دلف الخزرجي، مسعر بن المهلهل (المتوفي أواخر القرن الرابع الهجري):

٣٠. **الرسالة الأولى**، تح: مريزن سعيد مريزن، (مط مركز الدراسات الإسلامية، بلامك-١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

- الدمشقي، أبي الفضل جعفر (عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين):

٣١. **الاشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة صيد الأعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها**، (مط المؤيد ، بلا مك ،١٣١٨هـ).

- الدمشقي، جمال الدين بن نور الدين الحسيني الدمشقي (ت١١٤١هـ/١٦٨٧م):

٣٢. **رسالة في الشاي والقهوة والدخان**، (بلا مط، بلا مك، بلا ت).

- الدمشقي، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين):

٣٣. **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، (مكتبة المثنى، بغداد).

- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

٣٤. **حياة الحيوان الكبرى**، تهذيب: أسعد فارس، (طلاس للدراسات والترجمة والنشر–١٩٩٢م).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

٣٥. **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**،تح: عمر عبد السلام التدمري، ط٢،(دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م).

- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م):

٣٦. **الأعلاق النفيسة**، ط٢، (مط بريل، ليدن–١٨٩١م).

- ابن رسول، الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي الغساني التركماني (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م):

٣٧. **المعتمد في الأدوية المنفردة**، صححه محمود عمر الدمياطي، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

٣٨. **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: علي هلالي، ط٢، (مط حكومة الكويت– ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- بن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م):

٣٩. **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، (إتحاد الكُتّاب العرب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

- الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م):

٤٠. **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

- ابن سباهي، محمد بن علي (ت٩٩٧هـ/١٥٨٩م):

٤١. **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تح: المهدي عبد الرواضية، (دار المغرب الإسلامي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

- سليمان التاجر:

٤٢. **رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندونيسية سنة (٢٢٧هـ/٨٥١م)، أول عربي يقوم بهذه الرحلة الممتعة قبل أحد عشر قرناً التاجر سليمان السيرافي**، تح: علي البصري، (شركة دار الوراق، بيروت- لبنان،٢٠١٦م).

- التاجر سليمان (عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي):

٤٣. **عجائب الدنيا وقياس البلدان، المنسوب لسليمان التاجر، ألفه سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م)**، تح: سيف شاهين المريخي، (دار الباروني، أبو ظبي،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

- ابن سيده، أبو الحسن بن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م):

٤٤. **المخصص**، (المكتب التجاري للطباعة، بيروت).

٤٥. **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تح: عبد الستار أحمد خراج، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م).

- السيرافي، أبو زيد الحسن بن عمرو بن بدر (كان حياً ٢٠٣هـ/٨١٨م):

٤٦. **رحلة السيرافي**، تح: عبد الله الحبشي، (المجمع الثقافي، أبو ظبي- الامارات العربية-١٩٩٩م).

- السيرافي، أبو زيد حسن السيرافي (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي):

٤٧. **كتاب أخبار الصين والهند (٢٣٧هـ)**، تح: وترجمة المستشرق جان سوفاجيه- دراسة للمستشرق ج. أكرامرز، (دار بيبليون، باريس،٢٠٠٩م).

- السيرافيين، سليمان التاجر وأبو زيد (عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي):

٤٨. **أخبار الصين والهند،** تح: يوسف الشاروني، ط١، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة-١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

- شهريار، بزرك (المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري):

٤٩. **عجائب الهند،** تح: حسن صالح شهاب، (مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أُم القرى،١٤١٥هـ).

- المرزبان ، أبي سعيد الحسن بن عبد الله (ت٣٦٨هـ/٩٩٦م):

٥٠. **شرح كتاب سيبويه،** (دار الكتب العلمية ، بيروت- **لبنان، ٢٠٠٨م).**

- الصاحب بن عباد ، إسماعيل (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)،

٥١. **المحيط في اللغة،** تح: محمد حسن آل ياسين، ط١، (عالم الكتب، بيروت،١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م):

٥٢. **تاريخ الرسل والملوك،** تح: أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، القاهرة، بلا ت).

- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ/١٣٢٨م):

٥٣. **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تح: علي محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت،١٤٢٠هـ/١٩٩٢م).

- العتبي، أبي المنذر سلمة بن مسلم (عاش في أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري):

٥٤. الانساب، تح: محمد إحسان النص، ط٤، (بلا دار، ١٤٣٧هـ/٢٠٠٦م

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٩م):

٥٥. **الإصابة في تمييز الصحابة**، (المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

- الغرناطي، أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م):

٥٦. **تحفة الألباب ونخبة الاعجاب**. تح: إسماعيل العربي، (دار الآفاق الجديدة، المغرب–١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

- أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):

٥٧. **تقويم البلدان**، تح: رينو وبارون مالك كوكين، (دار صادر، بيروت–١٨٤٠م).

- الفراهيدي، أبو عبد عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت١٧٠هـ/٧٨٦م):

٥٨. **العين**، تح: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد (ت٣٠٩هـ/٩٢١م):

٥٩. **رسالة ابن فضلان**، تح: سامي الدهان، (مط الهاشمية، دمشق، ١٩٦٠م).

- أبن فضل الله العمري شهاب الدين محمد (ت٧٤٩هـ/١٣٨٤م):

٦٠. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، ط١، (دار الكتب العلمية– لبنان، بيروت،٢٠١٠هـ)

- ابن الفقيه الهمذاني ، أبي بكر أحمد بن محمد (ت٣٤٠هـ/٩٥١م):

٦١. **البلدان**، (مدينة ليدن، بيروت،١٣٠٢هـ).

- الفيروز آبادي، مجد الدين بن محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م):

٦٢. **القاموس المحيط**، تح: أبو الوفا نصر، (دار الحديث، القاهرة،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م):

٦٣. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تح: عبد العظيم الشناوي، (دار المعارف، القاهرة ،بلات).

- ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩):

٦٤. **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، ط٤، (دار المعارف، القاهرة ،بلات).

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م):

٦٥. **آثار البلاد وأخبار العباد**، (دار صادر، بيروت– بلات).

٦٦.**عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، تح: علي صراط الحق، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

- القلقشندي، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القاضي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

٦٧. **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (مط الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م).

- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م):

٦٨. **مختصر تفسير القرآن العظيم**، تح: أحمد شاكر، ط٢، (دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود(ت٤٤٣هـ/١٠٥١م):

٦٩. زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زين ،(مط الأميرية، القاهرة ،٢٠٠٦م)

- المروزي، الطبيب شرف الزمان طاهر (كتبه نحو ٥١٤ هـ):

٧٠. **أبواب في الصين والتُرك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان**، (بلا مط، بلا مك ، بلا ت).

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)،

٧١. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: كمال حسن مرعي، (مط العصرية- صيدا، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).

٧٢. **أخبار الزمان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، (المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٧٣. **التنبيه والاشراف**، (مط بريل، مدينة ليدن، ١٨٩٣م).

- المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت٦١٠هـ/١٢٨٦م):

٧٤. **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، (المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٧٠م).

- المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م):

٧٥. **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٣، (مكتبة مدبولي، القاهرة- ١٤١١هـ/١٩٩١م).

- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م):

٧٦. **البدء والتاريخ**، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،بلات).

- المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

٧٧. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، (دار صادر، بيروت ،بلات).

- المناوي، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت١٠٣١هـ/١٦٢١م)،

٧٨. **فيض شرح الجامع الصغير**، (دار المعرفة بيروت - لبنان، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن فضل (٧١١هـ/١٣١١م):

٧٩. **لسان العرب**، تح: أمين محمد عبد الوهاب محمد صادق، ط٣، (دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

- مؤلف مجهول:

٨٠. **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، كتبه سنة (٣٧٢هـ)، تح: يوسف الهادي، (دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

- النباكتي، أبو سليمان بن داود بن أبي الفضل محمد (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م):

٨١. **روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب**، ترجمة: محمود عبد الكريم علي، (المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م).

- ابن النديم، محمد بن إسحاق المعتزلي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م):

٨٢. **الفهرست**، (دار المعرفة، بيروت– لبنان).

- نظام الملك الطوسي، الحسن بن علي بن إسحاق الملقب بقوّام الدين (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م):

٨٣. **سياسة نامة**، ترجمة يوسف بكّار، (دار المناهل للطباعة، بيروت– لبنان، ١٤٢٨هـ/١٩٠٢م).

- النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م):

٨٤. **تهذيب الأسماء واللغات**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، بلات).

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٥٧٧هـ/١٣٣٣م):

٨٥. **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تح: مفيد قميحة، (دار الكتب العلمية، لامك– لات).

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ/١٠٩٣م):

٨٦. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: صفوان عدنان داوودي، (دار الشامية، بيروت،١٤٢٥هـ/١٩٩٥م).

- ابن الوردي، سراج الدين (ت٨٦١هـ/١٤٥٧م):

٨٧. **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمود زناتي، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).

- ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

٨٨. **معجم البلدان،** (دار صادر، بيروت،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٨٩. **تاريخ اليعقوبي،** تح: عبد الأمير مهنا، (شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

٩٠. **البلدان،** (مط الحيدرية، النجف الأشرف-١٣٣٧هـ/١٩١٨م).

٢. المراجع الثانوية العربية والمعربة:

- إبراهيم، رجب عبد الجواد:

١. **المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث،** تقديم: محمود فهمي حجازي، (دار المعارف العربية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

- إبراهيم، عبد الله:

٢. **عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين،** (منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة ،بلات) .

- أدى شير:

٣. **كتاب الألفاظ الفارسية المعربة،** ط٢، (دار العرب للبستاني، القاهرة،١٩٨٧-١٩٨٨).

- باليديية، آن لوفيفرا:

٤. **البحار والمحيطات،** ترجمة: زينب منعم، (المجلة العربية، الرياض، ١٤٣٥هـ).

- بدوي، عبد الرحمن:

٥. **مؤسسة المستشرقين،** ط٣، (دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، تموز/١٩٩٣م).

- بروكلمان، كارل:

٦. **تاريخ الأدب العربي،** ترجمة: السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، ط٣، (دار المعارف، القاهرة- بلات).

- برّوى، إدوار:

٧. **تاريخ الحضارات العام في القرون الوسطى،** ترجمة: يوسف أسعد داغر، بأشراف مويس كروزيه، ط٢، (منشورات عويدان، بيروت- لبنان،١٩٨٦م).

- البطاينة، محمد ضيف:

٨. **الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية، الأولى،** (دار الكندي، الأردن ،بلات).

- تشن، تتنغ يوي:

٩.**لمحة عن الثقافة في الصين،** ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، (مطبعة كلمة- هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، لامك-١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

- التميمي، عباس جبير سلطان وانتصار لطيف:

١٠. **أخلاق الشعوب من خلال الرحالة العرب والمسلمين،** (تموزة للطباعة والنشر، دمشق،٢٠١٤م).

- جلال، السيد حسين:

١١. **فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند ١٤١٥هـ-١٤٩٨م)،** (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٥م).

- جمال الدين، عبد الله محمد:

١٢.**التاريخ والحضارة الاسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي (١٥-٤١٦هـ/٦٢٦-١٠٢٥م)**، (دار الصحوة القاهرة، مصر ،بلات).

- جورج، بيار:

١٣. **معجم المصطلحات الجغرافية**، ترجمة: حمد الطفيلي، ط٢، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

- جورومان:

١٤. **الحوت التاريخ الطبيعي والثقافي**، ترجمة: أيزمير الإحميدان، (مط كلمة، أبو ظبي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

- حسن، زكي محمد:

١٥.**الرحلة والرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، (دار الرائد العربي، بيروت–لبنان، ١٤٠١/١٩٨١م).

١٦. **الصين وفنون الإسلام**، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م).

- حسين، عبد الرحمن بن محمد:

١٧. **شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي** ﴿رضي الله عنه﴾، تح: محمد ضياء شهاب، (عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

- حلاق، حسّان:

١٨. **مُدن وشعوب إسلامية ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري**، (دار الكتاب الجامعة، القاهرة ،بلات).

- حميدة، عبد الرحمن:

١٩. **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، ط١، (دار الفكر، دمشق – سوريا، ١٩٨٤م).

- الحوراني، إبراهيم بن عيسى بن يحيى:

٢٠. **الآيات البينات في غرائب الأرض والسموات**، (بلا مط ، بيروت، ١١٨٣م).

- الحوراني، جورج فصلو:

٢١. **العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى**، ترجمة وزاد عليه: يعقوب بدر، (دار الكتاب العربي، القاهرة– بلات).

- خان، محمد عبد الحميد:

٢٢. **الأساطير العربية قبل الاسلام**، (مط لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٧م).

- الخطيب، مصطفى، عقيل:

٢٣. **الخليج العربي دراساتٍ في الأُصول التاريخية والتطور السياسي**، (الشركة الحديثة للطباعة، الدوحة–قطر، ٢٠١٣م).

- خلاف، محمود مرعي:

٢٤. **التاريخ السياسي والإداري للمسلمين في الهند (٦٠٢-٨١٦هـ/١٢٠٦-١٤١٤م)**، (الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة– جمهورية مصر العربية،بلات).

- خلف، محمود محمد:

٢٥. **بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي (١٣٢-٣٦١هـ/٧٥٠-٨٧٣م)**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،بلات).

- الداغر، نزار عبد المحسن:

٢٦. **الأحوال الدينية في بلاد ما وراء النهر حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، (دار الفيحاء، العراق، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

- الدفاع، علي بن عبد الله:

٢٧. **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والاسلامية**، (مكتبة التوبة، لامك- بلات).

- الدوري، عبد العزيز:

٢٨. **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، ط٣، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م).

٢٩. **النظم الإسلامية**، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م).

- راغب، نبيل:

٣٠. **فنون الأدب العالمي**، (دار لويار للطباعة، القاهرة-جمهورية مصر العربية، ١٩٩٦م).

- الريامي، كمال بن محمد:

٣١. **مشاهير الرحالة العرب**، (كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

- السبحاني، آية الله جعفر:

٣٢. **بحوث في الملل والنِحل**، (مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام)، قُم المقدسة، إيران- ١٤٢٨هـ).

- سعفان، كامل:

٣٣. **معتقدات آسيوية (العراق- فارس- الهند- الصين- اليابان)**، (دار الندى، مدينة النصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

- السفير، محي يوسف:

٣٤. **الصين الإسلام والتجارة**، (بلا مط،القاهرة-٢٠٢٠م).

- السقاف، أبكار:

٣٥. **الدين في الهند والصين وإيران**، (مط العصور الجديد، بلا مك، بلا ت).

- السيابي، سالم بن حمود بن شامس:

٣٦. **طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباظي**، (وزارة التراث القومي والثقافة- عمّان- الأردن، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

- سير توماس، آرنولد:

٣٧. **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين وآخرون، ط٢، (مكتبة النهضة المصرية، بلا مك، ١٩٧٥م).

٣٩. **الدعوة إلى الاسلام**، ترجمة: حسين إبراهيم حسن، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م).

- شاكر، محمود:

٣٨. **تركستان الصينية (الشرقية)**، (مؤسسة الرسالة، بيروت،١٣٩٣هـ /١٩٧٣م).

- الشرباصي، أحمد:

٣٩. **المعجم الاقتصادي الاسلامي**، (دار الجيل، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

- شلبي أحمد:

٤٠. **أديان الهند الكبرى**، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٨٤م).

- الشهابي، قتيبة:

٤١. **نقود الشام دراسة تأريخيه للعملات التي كانت متداولة في الشام**، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق- الجمهورية العربية السورية، ٢٠٠٠م).

- الشمخاني، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد:

٤٢. **كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود السيابي، ط٢، (وزارة التراث القومي، سلطنة عُمان،١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- الصوفي، محمد عبد العظيم أبو النصر:

٤٣. **تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب**، (شركة نوابغ الفكر، القاهرة–١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

- الصيني، بدر الدين حي:

٤٤. **العلاقات بين العرب والصين**، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥٩م).

- ضيف، شوقي:

٤٥. **الرحلات**، ط٤، (دار المعارف، القاهرة–١١١٩م).

- الطائي، سعاد هادي حسن:

٤٦. **الأويغور دراسة في أحوالهم التاريخية وأحوالهم العامة (١٢٧–٦٥٦هـ/٧٤٤–١٢٥٨م)**، ط٢(مكتبة عدنان للطباعة،بغداد–العراق،٢٠١٦م).

- طعيمة، صابر:

٤٧. **الأباظية "عقيدة ومذهباً"**، (دار الجيل، بيروت–١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

- عبد الرحمن، محمد نصر:

٤٨. **الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى**، (الهيئة المصرية العامة، القاهرة–٢٠١٤م).

- عبد الله، حسين:

٤٩. **المسألة الهندية**، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- جمهورية مصر العربية، القاهرة، ٢٠١٢م).

٥٠. **سلسلة نظم التعليم الصين- الهند- ماليزيا**، تح: إيمان الدواخلي، (مط إيداع، بلا مك، بلات)

- عبدة، أحمد محمد وحورية محمد حسين:

٥١. **جغرافية البحار والمحيطات**، (دار المعرفة الجامعية، القاهرة ،بلات).

- عثمان، شوقي عبد القوي:

٥٢. **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية (٤١-٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م)**، (عالم المعرفة، بلا مك، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

- أبو العز، آتربي وعبد العزيز حمد:

٥٣. **نبذة عن الصين**، (مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة- جمهورية مصر العربية ،بلات).

- عطية، محمد:

٥٤. **قاموس الأمثال الإنكليزية**، مترجمة ومشروحة أكثر من ١٥٠٠ مثَل من ذخائر الحكمة في الثقافة الانكليزية، (بلا مط- بلا دار-٢٠٠٤م).

- العقيقي، نجيب:

٥٥. **المستشرقون**، (دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٦٤م).

- العنبسي، طوبيا:

٥٦. **كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه**، تح: يوسف توما البتاني، ط٢، (مكتبة العرب، مصر، ١٩٣٢م).

- العليم، أنور عبد:

٥٧. **الملاحة وعلوم البحر عند العرب**، (عالم المعرفة، الكويت،١٩٧٩م).

- عيسوي، عبد الرحمن:

٥٨. **سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي**، (منشأة المعارف، الاسكندرية، الاسكندرية، ١٩٨٣م).

- ف. هايد:

٥٩. **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، ترجمة: أحمد محمد رضا، مراجعة وتقديم: عز الدين فودة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م).

- الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف:

٦٠. **بلاد السند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري**، (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م).

- فهمي، نعيم زكي:

٦١. **طرق التجارة الدولية محطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

- فوزي، حسين:

٦٢. **حديث السندباد القديم**،(مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة-١٩٤٣م).

- قنديل فؤاد:

٦٣. **آداب الرحلة في التراث العربي**، ط٢، (الدار العربية للكتاب، القاهرة–١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

- قوانغ، شيوى:

٦٤. **جغرافيا الصين**، ترجمة: محمد أبو جرادن ط١،(الدار للنشر باللغات الأجنبية، بكين– الصين، بلا ت).

- كراتشكوفسكي، أغناطيوس:

٦٥. **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، أيغور بلبايق، (الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة– بلات).

- كرسيتنسن، آرثر:

٦٦. **إيران في عهد الساسانيين**، ترجمة: يحيى الخشاب، راجعه: عبد الوهاب عزام، (دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، بلات).

- الكرملي، أنستاس ماري:

٦٧. **النقود العربية وعلم النميات**، (مط العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م).

- الكيلاني، جمال الدين فالح:

٦٨. **الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي "دراسة في مصادر التاريخ الاسلامي الوسيط**"، (دار الزنبقة للطباعة، القاهرة،٢٠١٤م).

- الكيلاني، شمس الدين:

٦٩. **صورة شعوب الشرق الأقصى في الثقافة الغربية الوسيطة (الصين والهند وجيرانها)**، (منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق،٢٠٠٨م).

- لوبون، غوستاف:

٧٠. **حضارات الهند**، ترجمة: عادل زعيتر، (دار العلم العربي ، بلا مك، ٢٠٠٩م).

- لومبار، مُوريس:

٧١. **الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري/ الثامن إلى الحادي عشر الميلادي**، ترجمة: إسماعيل العربي، ط٣، (دار الآفاق الجديدة، الإسكندرية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٧٢. **الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، (دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، ١٩٩٨م).

- لي هواين، محمود يوسف:

٧٣. **المساجد في الصين**، (دار النشر باللغات الأجنبية– جمهورية الصين الشعبية، بكين،١٩٨٩م).

- ماخوفكسي، ياتسيك:

٧٤. **تاريخ القرصنة في العالم**، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م).

- ماركوبولو:

٧٥. **رحلات ماركوبولو**، ترجمه إلى الإنكليزية: وليم مارسدن، ط٢، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٥م).

- المباركفوري، أبو المعالي محمد عبد الرحمن:

٧٦. **رجال السند والهند إلى القرن السابع**، (مط الحجازية، بومباي– الهند، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م).

- متز، آدم:

٧٧. **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام،** ترجمة: محمد عبد الهادي، ط٥، (دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، بلات).

- مجمع اللغة العربية:

٧٨. **المعجم الوسيط،** ط٤، (مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

- محمد، عبد الرحمن فهمي:

٧٩. **النقود العربية ماضيها وحاضرها،** (دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤م).

- مظهر، سليمان:

٨٠. **قصة الديانات،** (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

- المعارف:

٨١. **أطلس الوطن العربي والعالم،** (دار الشرق العربي، بيروت– لبنان ،بلات).

- مؤنس، حسين:

٨٢ . **أطلس تاريخ الإسلام،** (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- ميتورسلي، م.ت:

٨٣. **الجغرافيون والرحالة المسلمون،** ترجمة: عبد الرحمن حميدة، (الجمعية الجغرافية الكويتية الخالدية، الكويت،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

- نافع إبراهيم:

٨٤. **الصين حتى نهاية القرن العشرين،** ط١، (مؤسسة الأهرام– مصر، القاهرة، ١٩٩٩م).

- الندوي، محمد إسماعيل:

٨٥. **الهند القديمة حضاراتها ودياناتاها،** (مطبوعات دار الشعب، القاهرة،١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

- نيرهام، جوزيف:

٨٦. **موجز التاريخ العام والحضارة في الصين**، ترجمة محمد غريب جودة، (الهيئة المصرية العامة، القاهرة،١٩٩٥م).

- هنتس، فالتر:

٨٧. **المكاييل والأوزان الإسلامية أو ما يعادلها في النظام المتري**، ترجمه عن الألمانية: د. كامل العلي، (منشورات الجامعة الأردنية، عمّان- الأردن، ١٩٧٠م).

- هوخام، هيلدا:

٨٨. **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ترجمة: أشرف ومحمد كيلاني، ط١، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٢م).

- هويدي، فهمي:

٨٩. **الإسلام في الصين**، (عالم المعرفة، الكويت-١٩٨٧م).

- ول ديورانت:

٩٠. **قصة الحضارة الشرق الأقصى الصين**، ترجمة: محمد بدران، (دار الجيل، بيروت- بلات).

٩١. **سلسلة كتب سور الصين العظيم، تاريخ الصين**، (مجلة بناء الصين، مط الأجنبية، بكين، الصين،١٩٨٦م.

٣- الرسائل والأطاريح الجامعية:

- إياس سليم سلمان:

١.**المسلمون في الصين (١٣١-٧٦٩/٧٤٨-١٣٦٧م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة- فلسطين، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- البياتي، صدام جاسم محمد:

٢.**الحياة الاجتماعية في خُراسان من الفتح الإسلامي إلى نهاية سنة ٦٥٦ هجرية**، رسالة ماجستير منشورة، (دار الكتب والوثائق، بغداد،٢٠١٧م).

- الجميلي، عمار مرضي علاوي:

٣. **التجار مكانتهم ومساهماتهم الحضارية في الدولة العربية الإسلامية ١٣٢-٤٤٧هـ/٧٤٩-١٠٥٥م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية- قسم التاريخ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- حمد، محمد حسن محمد:

٤. **الاسلام في الصين**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.

- سلطان، طارق فتحي:

٥. **العرب والصين في القرون الوسطى "دراسة سياسية حضارية" (١-٧٦٩هـ/٦٢٢-١٣٦٨م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

- الشمري، محمد حمزة جار الله:

٦. **موانئ شبه الجزيرة العرب وأثرها في النشاط التجاري البحري قبل الإسلام**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية ابن رشد، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

- العظيمي، سلام ناصر والي ناهض:

٧. **الأساطير والخُرافات في كتابات الرحالة العرب والمسلمين المشارقة (١٣٢-٦٥٦هـ/١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، رســـــالة ماجستير غير منشـــــــــــــــــورة (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) جامعة الواسط ، العراق.

- عواودة، مروة وسلمى بن حمدي:

٨. **صورة الصين والهند والسند في المدونات الجغرافية الاسلامية (٣-٩هـ/٩-١٥م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجمهورية الجزائرية، جامعة قالمة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ.

- العيساني ،شفيقة:

٩.شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين الفترة بين القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري/ من ١٩ إلى ١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، (٢٠٠٨/٢٠٠٩م).

- القناوي، يحيى محمد الشربيني:

١٠- نشاط المسلمين التجاري في الصين وأثره على الحضارة الاسلامية في العصر العباسي (٩٦٠-١٣٦٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث الاسيوية، جامعة الزقازيق

11-**T**RAN, IF TIKHAR AHMAD. TRADE RELATIONS BE TWEEN INDIA AND THE ARAB WORLD THE 10 TH TO THE 18TH CENTURY, DISSERTATION AHASTER, CENTRE OF WEST ASIAN STUDIES, ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY,1984.

٤- المراجع الأجنبية:

1-ABDULRAHMAN AL-SALIMI,IBADISM EAST OF MESOPOTAMIA EARLY ISTAMIC IRAN, CENTRAL ASIA AND INDIA,ARABSCIENTIFIC PUBLISHERRS,LIBANON,2001.

2-AL. SIRAFI, ABU ZAYD, ACOOWNTS OF YHINA ANINDA, TRANSLATED IMMACINTOSH-SMITH,FOR EWORD BY.ZVIBEN-DORBENITE,NEW YORK UNIVERSITY PRESS.

3- **AL. SIRAFI**, **ABU ZAYD**/ **R**EATION DESVOYAGES. DANS L'INDETA LA GHINE. **T**EXTE ARABE IN PRIME EN 1811, PARLES SOINS DE FKU LANG LES, PARM. REINAUD, PARIS.

٥- البحوث في المجلات والدوريات:

- إبراهيم، سفيان ياسين:

١. **بلاد المهراج في العصر العباسي جزيرة جاوة أنموذجاً**، مجلة العلوم الانسان والمجتمع، العدد٢، المجلد ١٠، سنة٢٠٢١م.

- إبراهيم، سفيان ياسين:

٢. **القرصنة في بحر الهند خلال العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)**، مجلة جامعة كركوك، المجلد: ١١، العدد ٢، نشر (٢٠١٦/١/٢٥م).

- حوالة، يوسف بن أحمد:

٣. **رحلة ابن وهب القريشي إلى بلاد الصين**، دار المنظومة، المجلد ٨، العدد ٤٦، ١٩٩١م.

- خطاب، محمود شيت:

٤. **الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه**، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني والثلاثون، الجزء الأول، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

- صادر، كارين:

٦-**جان سوفاجيه المستشرق الفرنسي الذي عاش حلم حلب (١٩٠١-١٩٥٠م)**، مجلة المعرفة، العدد ٥٠٨، ٢٤ ذي الحجة، ١٤٢٦هـ- كانون الثاني ٢٠٠٦م.

- الطائي، سعاد هادي حسن:

٦. **المعتقدات الدينية في الهند والصين في كتاب الفهرست لابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م دراسة مقارنة**، بحث منشور في مجلة جامعة بغداد، كلية التربية- ابن رشد(بلا عدد، بلا مجلد ، بلا ت).

- علاوي، قاسم عمر:

٧. **مدينة خانفو في العصور الوسطى**، مجلة آداب الرافدين، العدد ٨٠، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

٨. **مدينة خانقوا في العصور الوسطى**، مجلة آداب الرافدين، العدد ٨٠، لسنة ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

- عبد الرحمن، هدى حسن محمد:

٩. **الملامح الحضارية لرحلة سليمان السيرافي**، (دار المنظومة، العدد ١٢٥،٢٠١٩م).

- اللهيبي وإيمان، محمود وعبد الجبار محمود:

١٠. **التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)**، العدد ٥٧،بلا مجلد،١٤٣٨هـ-٢٠١٧م

- المجيدل، عبد الله شمت:

١٠. **الهند في آدب الرحالة العرب**، مجلة التراث العربي، بلا مجلد، بلا عدد ،(١٤٨-١٤٩/ ربيع/ ٢٠١٨م).

- القصير، هيلة بنت محمد بن علي:

١١. **النشاط التجاري وأبعاده الاقتصادية في ميناء سيراف خلال العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م**، المجلد ٧، العدد ٣، ٢٠١٤م.

- الندابي، ناصر بن علي:

١٢. **دور التجار العمانيين في نشر الإسلام في جنوبي شرق آسيا**، مجلة الجامعة، العدد العاشر- ٢٠١٤م.

٦- البحوث :

- **أدب الرحلة بين التباس المفهوم واستعصاء التجسيس**، بحث غير منشور، جامعة حمة لخضر الوادي،(بلا مجلد ،بلا عدد، بلات).

٧- المعلومات المقتبسة والموثقة من الأنترنيت:

مجلة عين الإخبارية (ثقافة منارات)- مجلة الإلكترونية، , 1.http://al-ain.com
نشر في يوم (الجمعة ٢٠١٧/١/١٢م).

الشبكة المعلوماتية الإلكترونية (الأنترنيت), 2. http://www.m.marefa.org

موقع المعرفة، بندر عباس، تم الاقتباس بتاريخ ١١/يونيو/٢٠٢٢م. 3.

4. http://www.iicss-q/?=142sid=2244 ,   المركز الآسيوي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، تم الاقتباس من الموقع بتاريخ ٥/حزيران/٢٠٢٢م.

5. @alshaibani.m , الشيباني، محمد تم اقتباس هذا النص بتاريخ ٢٣/كانون الأول/٢٠٢١م.

6. http://www.torathhona.org , الشبكة المعلوماتية الإلكترونية (الأنترنيت)، مجلة تراثنا الثقافية.

7. الشيباني، محمد بن إبراهيم، **التاجر سليمان البحري ورحلة أول مسلم إلى الصين**، مجلة تراثنا الثقافية الإلكترونية (الثلاثاء) ٢ جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ/٣-٥-٢٠١٥م،تم اقتباس هذا النص بتاريخ ٢٣/كانون الأول/٢٠٢١م.

8. http://www.faceeebook ,CGTN ARABIC, جهة إعلامية خاضعة لسيطـــــــــــــرة الصـــــــــــــــــين ،تم الاقتباس بتاريخ٢٧/٦/٢٠٢٢م.

9. ukrate.com , الشبكة المعلوماتية الإلكترونية (الأنترنيت)، بوابة أو كرانيا، العثور على عملة صينية عمرها ألف عام في بريطانيا. تم الاقتباس بتاريخ ٢٦/٥/٢٠٢٢م.

Abstract

The Book of Al-Sirafi Journey is considered an important journey that has aroused the interest of many Arab and Orientalist researchers and historians alike because of the rich information contained about the countries of the Orient in those early times. This journey is one of the early Arab written journeys that assured us of depth of trade connections with those countries. As we came to the middle of the Orient, we were able to appreciate with confidence that the main attention of the Arabs was really focused on those countries, and Abi Zaid al-Sirafi's journey came to prove to us those facts, and therefore the study (India and China on Abi Zaid Sirafi's journey a critical historical study) is of the important and enjoyable studies that highlighted many unknown facts about those societies, which proved that Arabs were not isolated from the large overseas business activity from earlier times. While foreign ships were committed to shore navigation in the Sea of India, they did not discover the secret of seasonal navigation known to Arab and Persian navigators since ancient times, and later realized the regularity of its breezes six months a year.

Thus, at the beginning of the third and fourth century Hijri (9^{th} and 10^{th} century AD) witnessed many journeys, because of the interest of heirs of the sons of Abbas in trade and encouraged trade with the countries of the East, knowing that these areas were subject to punishment for the Abbasid caliphate. However, the travelers and Arab merchants entertained go to journeys in West and East and dive deeply into seas reaching far and unknown place of those nations that precede them. It is useful that those men aim is trade but they entertained men of geography and history with their descriptive writings of the daily lives of

the population in different regions and they recorded them or narrate them out of wonder and scarcity in various natures and boredom, and it must be noted that the author of the book Al- Sirafi Journey has combined two things, as the book consists of two parts in one volume, the first part of the book refers to the memoirs of merchant Solomon, who wrote it in the third century AH/ 9 AD, and the second part of the book is the footnote developed by the historian and the amateur to collect the stories of the sailor, Abi Zaid Hassan Al-Sirafi. This work has aroused the interest of many leading Arab and Orientalist researchers alike, as the book achieved about eight times, and they have assigned the journey with many names according to the investigators through the study. The researchers investigated the version of the Islamic writer, researcher and historian from Governorate of Hadramout Professor Abdullah bin Mohammed Al Habshi, and he is one of the scholars of Hadramout encyclopedias, as attributed to the people of AL Al-bait and from Imam Hussein branch. The historian has written twenty-nine books in history, heritage, dictionaries and literature, and has achieved more than fifty-five books, including the book of Al-Sirafi Journey. The nature of the study obliges it to be in three chapters precede by an introduction and conclude by a conclusion with the most important results and each chapter included three sections agreeable with the content. The first chapter is intitled (Biography of Abi Zaid Hassan al-Sirafi, mentioning the geography of the countries of India and China), the second chapter had the title (The Journey of Abi Zaid Al-Sirafi), and the third chapter is (the political, religious, and social aspects) according to what is mentioned by Abi Zaid Al- Sirafi.

It is unfortunate that the sources that dealt with the journey of Al-Sirafi were very few and almost non-existent if it were not mentioned in only two sources, namely the book of countries for ibn al-Faqih (D. 340

AH/951 AD), and the book of (Murooj Al-Dhahab Wa Madin Al-Jouhar) translated as (The Meadows of Gold and The Minerals of Essence) for Al-Massoudi (D. 346 AH/957 AD). But we can find the effect of this journey in the books of geographers and travelers by mentioning pieces from that journey without referring to Suleiman al-Tajer or Abi Zaid al-Sirafi, so these sources were very important because they were contemporary to create the era we are studying.

These historians were the means to prove these facts, which were brought by Al-Sirafi, and it was rare to find a specialized source and unique from other topics that Abi Zaid al-Sirafi had previously stated, with the exception of the book of (Murooj Al-Dhahab Wa Madin Al-Jouhar) translated as (The Meadows of Gold and The Minerals of Essence).



Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Diyala
College of Education for Human Sciences
Department of History – Higher Studies



The Countries of India and China in Abi Zaid Al-Sirafi Journey
A Historical Critical Study

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Education for Humanities University of Diyala in Partial Fulfilment of the Requirements for the Degree of M.A. in Islamic History

By

Esraa Ali Rahman

Supervised By

Saddam Jasim Mohammed Al-Bayate (Ph.D.)

2022 A.D. **1444 A.H.**